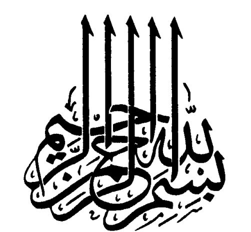
صحيح الأحاديث القدسية

جمع وترتيب

محمد محمد تامر — عبد العزيز محمد

الناشر

دار البيان العربي




صحيح الأحاديث القدسية

اسم الكتاب : صحيح الأحاديث القدسية
إعداد : محمد محمد تامر - عبد العزيز محمد
مقاس الكتاب : ١٧ X ٢٤
عدد الصفحات : ٣٨٤ صفحة
عدد الأجزاء : جزء واحد
رقم الإيداع : ٥٢٧٠ / ٢٠٠٦ م



دار البيان العربي
الأزهر، درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، أرسله الله بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وبعدُ:

فهذا كتاب في الأحاديث القدسية الصحيحة مع شروحها، راعينا فيه أن تكون الأحاديث المودعة فيه صحيحة، وإن كان في بعضها اختلاف يسير في صحتها، وقد حرصت على نقل شرحها من كتب شراح الحديث وأولها: فتح الباري، ثم شرح النووي على مسلم، ثم عون المعبود، ثم تحفة الأحوذي، وحاشية السندي على النسائي وابن ماجه.

وقد بدأت هذه الأحاديث بما رواه البخاري، ثم مسلم، ثم أبو داود، ثم الترمذي، ثم النسائي، ثم ابن ماجه. على حسب ترتيبها في كتبهم.

ولعلك تلحظ في شرح الحافظ ابن حجر أنه يقول في بعض المواضع: وقد سبق شرح هذا في باب كذا، أو في كتاب كذا، أو سيأتي شرحه مفصلًا في كتاب كذا، فاعلم أنه يريد بهذا سبق شرحه في الفتح أو أنه سيأتي في موضعه في فتح الباري.

وتَرى في بعض هذه الشروح أن بعض الأئمة - رضوان الله عليهم - يؤولون في بعض الأحاديث التي أخبر النبي ﷺ فيها عن بعض صفات الله عز وجل، وترى بعضًا آخر ينهج منهج السلف الصالح في عدم التأويل، وإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله الكريم ﷺ من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل.

وهذا هو المنهج الحق في آيات وأحاديث الصفات، وقد سار على هذا المنهج صحابةُ رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان. وجديرٌ بنا أن نقتفي آثار هؤلاء السلف ونتمسك بهديهم؛ وذلك لأنهم خير القرون كما أخبر المصطفى ﷺ في قوله: «خير أمتي القرن الذين بُعِثْتُ فيهم ثم

الذين يلونهم . . . .».

تعريف الحديث القدسي: الحديث القدسي هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجلَّ. وهو غير معجز في لفظه. وغالبًا ما يُصدر الحديث القدسي بقول النبي ﷺ: قال الله تعالى: . . . ، أو يقول الله تعالى: . . . . ، أو قال ربكم: . . . أو أوحى الله تعالى إلي كذا. . . وما أشبه ذلك من الصيغ التي تشير إلى أن المحكي هو من كلام الله تعالى وليس من كلام النبي ﷺ.

والأحاديث القدسية تدور حول تقريب العباد من ربهم عز وجل، وتزهيدهم في الدنيا، وتحبيبهم في الله تعالى، وتحذيرهم من المعاصي. ويُمْكِن أن نقول: إن معظم الأحاديث القدسية تدور حول تربية النفس البشرية على الأخلاق الزكية.

وقد أُلِّفَ في الأحاديث القدسية بعضُ المؤلفات، ومنها:

- كتاب «الإتحافات السَّنيَّة بالأحاديث القدسية» للحافظ المُناوي.

- كتاب «الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية»، للشيخ محمد المدني.

- كتاب «الأحاديث القدسية» الذي أعدته ونشرته لجنة القرآن والحديث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي: قال ابن حجر الهيثمي في شرح الأربعين النووية: اعلمْ أن الكلام المضاف إلى الله تعالى أقسام ثلاثة:

أولها: وهو أشرفها «القرآن»؛ لتمَيُّزِه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممرِّ الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسِّه لمُحْدِثٍ، وتلاوته لنحو الجنب، وروايته بالمعنى، وبِتَعَيُّنِه في الصلاة، وبتسميته قرآنًا، وبأنَّ كل حرف منه بعشر حسنات، وبتسمية الجملة منه آيةً وسورةً. وغيرُه من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك؛ فيجوز مسُّه وتلاوته لمن ذُكِر، وروايته بالمعنى، ولا يُجزِي في الصلاة بل يُبْطِلها، ولا يُسَمَّى قرآنًا، ولا يُعْطَى قارئُه بكل حرفٍ عشرا، ولا يُمْنَع بيعُه، ولا يُكْرَه اتفاقًا، ولا يُسَمَّى بعضه آيةً ولا سورةً اتفاقًا أيضًا.

ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قبل تغييرها وتبديلها.

ثالثها: بقية الأحاديث القدسية، وهي ما نُقِل إلينا آحادًا عن النبي ﷺ مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتُضاف إليه وهو الأغلب، ونسبتُها إليه حينئذ نسبة إنشاء؛ لأنه المتكلم بها أولا، وقد تُضاف إلى النبي ﷺ ، لأنه المُخْبِر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن؛ فإنه لا يُضاف إلا

إليه تعالى، فيقال فيه: «قال الله تعالى»، وفيها: «قال رسول الله ﷺ فيما يَرْوِي عن ربه». واخْتُلِف في بقية السنة هل هو كله بوحي أَوْ لا؟. انتهى. ونسأل الله تعالى أن يجعل سعينا لديه مقبولا؛ إنه البَرُّ الرحيم.

محمد محمد تامر

أَخْرِجُوا مِن النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِن النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا - أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً».

قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: «الْحَيَاةِ»، وَقَالَ: «خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ»[١].

الشرح[٢]:

قوله: (يدخل) للدارقطني من طريق إسماعيل وغيره: «يدخل الله» وزاد من طريق معن: «يدخل من يشاء برحمته» وكذا له وللإسماعيلي من طريق ابن وهب.

قوله: (مثقال حبة) بفتح الحاء هو إشارة إلى ما لا أقل منه، قال الخطابي: هو مثل ليكون عيارًا في المعرفة لا في الوزن؛ لأن ما يشكل في المعقول يرد إلى المحسوس ليفهم. وقال إمام الحرمين: الوزن للصحف المشتملة على الأعمال، ويقع وزنها على قدر أجور الأعمال. وقال غيره: يجوز أن تجسد الأعراض فتوزن، وما ثبت من أمور الآخرة بالشرع لا دخل للعقل فيه، والمراد بحبة الخردل هنا ما زاد من الأعمال على أصل التوحيد، لقوله في الرواية الأخرى: «أخرجوا من قال لا إله إلا الله وعمل من الخير ما يزن ذرة»[٣]. ومحل بسط هذا يقع في الكلام على حديث الشفاعة حيث ذكره المصنف في كتاب الرقاق.

قوله: (في نهر الحياء) كذا في هذه الرواية بالمد، ولكريمة وغيرها بالقصر، وبه جزم الخطابي وعليه المعنى؛ لأن المراد كل ما به تحصل الحياة، والحيا بالقصر هو المطر، وبه تحصل حياة النبات، فهو أليق بمعنى الحياة من الحياء الممدود الذي هو بمعنى الخجل.

قوله: (الحبة) بكسر أوله، قال أبو حنيفة الدينوري: الحبة جمع بزور النبات واحدتها حبة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، حديث (٢٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٧٣).

(٣) البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، برقم (٧٤١٠).

بالفتح، وأما الحب فهو الحنطة والشعير، واحدتها حبة بالفتح أيضًا، وإنما افترقا في الجمع. وقال أبو المعالي في المنتهى: الحبة بالكسر بزور الصحراء مما ليس بقوتٍ.

قوله: (قال وهيب) أي: ابن خالد(حدثنا عمرو) أي: ابن يحيى المازني المذكور.

قوله: (الحياة) بالخفض على الحكاية، ومراده أن وهيبًا وافق مالكًا في روايته لهذا الحديث عن عمرو بن يحيى بسنده، وجزم بقوله في نهر الحياة ولم يشك كما شك مالك.

(فائدة): أخرج مسلم [(١)] هذا الحديث من رواية مالك فأبهم الشاك، وقد يفسر هنا.

قوله: (وقال خردل من خير) هو على الحكاية أيضًا، أي: وقال وهيب في روايته: مثقال حبة من خردل من خير، فخالف مالكًا أيضًا في هذه الكلمة. وقد ساق المؤلف حديث وهيب هذا في كتاب الرقاق عن موسى، بن إسماعيل عن وهيب، وسياقه أتم من سياق مالك؛ لكنه قال: «من خردل من إيمان» كرواية مالك، فاعترض على المصنف بهذا، ولا اعتراض عليه فإن أبا بكر بن أبي شيبة أخرج هذا الحديث في مسنده [(٢)] عن عفان بن مسلم عن وهيب فقال: «من خردل من خير» كما علقه المصنف، فتبين أنه مراده لا لفظ موسى. وقد أخرجه مسلم عن أبي بكر هذا، لكن لم يسق لفظه، ووجه مطابقة هذا الحديث للترجمة ظاهر، وأراد بإيراده الرد على المرجئة لما فيه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان، وعلى المعتزلة في أن المعاصي موجبة للخلود.



(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، برقم (١٨٤).
(٢) أخرجه من طريق أبي نعيم في مستخرجه (١/ ٢٥٢)، برقم (٤٦٢).

لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيرَهُ؟!

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَبِهِ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟! فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً.

قَالَ عَطَاءٌ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ «مِثْلُهُ مَعَهُ» (١).

* * *

الشرح (٢):

قوله: (قال أناسٌ يا رسول الله) في رواية شعيب: «إن الناس قالوا» ويأتي في التوحيد (٣) بلفظ: «قلنا».

قوله: (هل نرى ربنا يوم القيامة) في التقييد بيوم القيامة إشارة إلى أن السؤال لم يقع عن الرؤية في الدنيا. وقد أخرج مسلم (٤) من حديث أبي أمامة: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» وسيأتي الكلام على الرؤية في كتاب التوحيد لأنه محل البحث فيه، وقد وقع في رواية العلاء بن عبد الرحمن عند الترمذي (٥) أن هذا السؤال وقع على سببٍ. وذلك أنه ذكر الحشر والقول: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد» وقول المسلمين: «هذا مكاننا حتى نرى ربنا، قالوا: وهل نراه» فذكره، ومضى في الصلاة وغيرها ويأتي في التوحيد من رواية جرير قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر» الحديث مختصر، ويحتمل أن يكون الكلام وقع عند سؤالهم المذكور.

قوله: (هل تضارون) بضم أوله وبالضاد المعجمة وتشديد الراء بصيغة المفاعلة من الضرر وأصله تضاررون بكسر الراء وبفتحها أي لا تضرون أحدًا ولا يضركم بمنازعةٍ ولا مجادلةٍ ولا مضايقةٍ، وجاء بتخفيف الراء من الضير وهو لغة في الضر أي لا يخالف بعض بعضًا فيكذبه وينازعه

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، حديث (٦٥٧٤).

(٢) فتح الباري (١١/٤٤٦).

(٣) برقم (٧٤٣٨).

(٤) لم أقف عليه عند مسلم، وأخرجه ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم، برقم (٤٠٧٧).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في خلود أهل الجنة والنار، برقم (٢٥٥٧).

فيضيره بذلك، يقال: ضاره يضيره، وقيل: المعنى لا تضايقون أي لا تزاحمون، كما جاء في الرواية الأخرى: **«لا تضامون»** بتشديد الميم مع فتح أوله، وقيل المعنى لا يحجب بعضكم بعضًا عن الرؤية فيضر به، وحكى الجوهري ضرني فلانٌ إذا دنا مني دنوا شديدًا، قال ابن الأثير: فالمراد المضارة بازدحام.

وقال النووي: أوله مضموم مثقلاً ومخففًا قال: وروى: **«تضامون»** بالتشديد مع فتح أوله وهو بحذف إحدى التاءين وهو من الضم، وبالتخفيف مع ضم أوله من الضيم والمراد المشقة والتعب، قال: وقال عياض: قال بعضهم في الذي بالراء وبالميم بفتح أوله والتشديد وأشار بذلك إلى أن الرواية بضم أوله مخففًا ومثقلاً وكله صحيح ظاهر المعنى، ووقع في رواية البخاري: **«لا تضامون أو تضاهون»** بالشك كما مضى في فضل صلاة الفجر، ومعنى الذي بالهاء لا يشتبه عليكم ولا ترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضًا، ومعنى الضيم الغلبة على الحق والاستبداد به أي لا يظلم بعضكم بعضًا، وفي رواية شعيب: **«هل تمارون»** بضم أوله وتخفيف الراء أي تجادلون في ذلك أو يدخلكم فيه شك من المرية وهو الشك، وجاء بفتح أوله وفتح الراء على حذف إحدى التاءين، وفي روايةٍ للبيهقي: **«تتمارون»** بإثباتهما.

قوله: (ترونه كذلك) المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك ورفع المشقة والاختلاف، وقال البيهقي: سمعت الشيخ أبا الطيب الصعلوكي يقول: **«تضامون»** بضم أوله وتشديد الميم يريد لا تجتمعون لرؤيته في جهة ولا ينضم بعضكم إلى بعضٍ فإنه لا يرى في جهة، ومعناه بفتح أوله لا تتضامون في رؤيته بالاجتماع في جهة، وهو بغير تشديدٍ من الضيم معناه لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض فإنكم ترونه في جهاتكم كلها وهو متعالٍ عن الجهة، قال: والتشبيه برؤية القمر لتعيين الرؤية دون تشبيه المرئي سبحانه وتعالى، وقال الزين بن المنير: إنما خص الشمس والقمر بالذكر مع أن رؤية السماء بغير سحاب أكبر آية وأعظم خلقًا من مجرد الشمس والقمر لما خصا به من عظيم النور والضياء بحيث صار التشبيه بهما فيمن يوصف بالجمال والكمال سائغًا شائعًا في الاستعمال.

وقال ابن الأثير: قد يتخيل بعض الناس أن الكاف كاف التشبيه للمرئي وهو غلطٌ، وإنما هي كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي ومعناه أنه رؤيةٌ مزاحٌ عنها الشك مثل رؤيتكم القمر.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: في الابتداء بذكر القمر قبل الشمس متابعةٌ للخليل، فكما أمر باتباعه في الملة اتبعه في الدليل، فاستدل به الخليل على إثبات الوحدانية واستدل به الحبيب على إثبات الرؤية، فاستدل كل منهما بمقتضى حاله لأن الخلة تصح بمجرد الوجود والمحبة لا تقع غالبًا إلا بالرؤية، وفي عطف الشمس على القمر مع أن تحصيل الرؤية بذكره كافٍ

لأن القمر لا يدرك وصفه الأعمى حسا بل تقليدًا، والشمس يدركها الأعمى حسا بوجود حرها إذا قابلها وقت الظهيرة مثلاً فحسن التأكيد بها، قال: والتمثيل واقع في تحقيق الرؤية لا في الكيفية، لأن الشمس والقمر متحيزان والحق سبحانه منزه عن ذلك.

قلت: وليس في عطف الشمس على القمر إبطال لقول من قال في شرح حديث جرير: الحكمة في التمثيل بالقمر أنه تتيسر رؤيته للرائي بغير تكلف ولا تحديق يضر بالبصر، بخلاف الشمس، فإنها حكمة الاقتصار عليه، ولا يمنع ذلك ورود ذكر الشمس بعده في وقتٍ آخر، فإن ثبت أن المجلس واحدٌ خدش في ذلك، ووقع في رواية العلاء بن عبد الرحمن: **«لا تمارون في رؤيته تلك الساعة ثم يتوارى»**.

قال النووي: مذهب أهل السنة أن رؤية المؤمنين ربهم ممكنةٌ ونفتها المبتدعة من المعتزلة والخوارج، وهو جهل منهم، فقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة على إثباتها في الآخرة للمؤمنين، وأجاب الأئمة عن اعتراضات المبتدعة بأجوبةٍ مشهورةٍ، ولا يشترط في الرؤية تقابل الأشعة ولا مقابلة المرئي وإن جرت العادة بذلك فيما بين المخلوقين، والله أعلم.

واعترض ابن العربي على رواية العلاء وأنكر هذه الزيادة وزعم أن المراجعة الواقعة في حديث الباب تكون بين الناس وبين الواسطة لأنه لا يكلم الكفار ولا يرونه ألبتة، وأما المؤمنون فلا يرونه إلا بعد دخول الجنة بالإجماع.

قوله: (يجمع الله الناس) في رواية شعيب: **«يحشر»** وهو بمعنى الجمع، وقوله في رواية شعيب: **«في مكان»** زاد في رواية العلاء **«في صعيدٍ واحدٍ»** ومثله في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة بلفظ: **«يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر»** وقد تقدمت الإشارة إليه في شرح الحديث الطويل في الباب قبله.

قال النووي: الصعيد: الأرض الواسعة المستوية، وينفذهم بفتح أوله وسكون النون وضم الفاء بعدها ذال معجمة أي: يخرقهم بمعجمةٍ وقاف حتى يجوزهم، وقيل بالدال المهملة أي يستوعبهم، قال أبو عبيدة: معناه ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم، وقال غيره: المراد بصر الناظرين وهو أولى.

وقال القرطبي: المعنى أنهم يجمعون في مكان واحد بحيث لا يخفى منهم أحد بحيث لو دعاهم داعٍ لسمعوه ولو نظر إليهم ناظر لأدركهم، قال: ويحتمل أن يكون المراد بالداعي هنا من يدعوهم إلى العرض والحساب لقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر:٦] وقد تقدم بيان حال الموقف في

«باب الحشر» وزاد العلاء بن عبد الرحمن في روايته: «**فيطلع عليهم رب العالمين**».

قال ابن العربي: لم يزل الله مطلعًا على خلقه، وإنما المراد إعلامه باطلاعه عليهم حينئذٍ، ووقع في حديث ابن مسعود عند البيهقي في البعث وأصله في النسائي [(١)] «**إذا حشر الناس قاموا أربعين عامًا شاخصةً أبصارهم إلى السماء لا يكلمهم، والشمس على رءوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر**»، ووقع في حديث أبي سعيد عند أحمد [(٢)] أنه «**يخفف الوقوف عن المؤمن حتى يكون كصلاةٍ مكتوبةٍ**» وسنده حسن، ولأبي يعلى [(٣)] عن أبي هريرة «**كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب**» وللطبراني من حديث عبد الله بن عمرو «**يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمن من ساعةٍ من نهارٍ**» [(٤)].

قوله: (فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر) قال ابن أبي جمرة: في التنصيص على ذكر الشمس والقمر مع دخولهما فيمن عبد دون الله التنويه بذكرهما لعظم خلقهما، وقع في حديث ابن مسعود «**ثم ينادي منادٍ من السماء: أيها الناس أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم ثم توليتم غيره أن يولي كل عبد منكم ما كان تولى؟ قال فيقولون: بلى. ثم يقول: لتنطلق كل أمة إلى من كانت تعبد**»، وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن: «**ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد**».

ووقع في رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة في مسند الحميدي وصحيح ابن خزيمة وأصله في مسلم [(٥)] بعد قوله: «**إلا كما تضارون في رؤيته**»: «**فيلقى العبد فيقول ألم أكرمك وأزوجك وأسخر لك؟ فيقول: بلى فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني**» الحديث وفيه: «**ويلقى الثالث فيقول: آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت، فيقول: ألا نبعث عليك شاهدًا؟ فيختم على فيه وتنطق جوارحه وذلك المنافق. ثم ينادي منادٍ: ألا لتتبع كل أمة ما كانت تعبد**».

قوله: (ومن كان يعبد الطواغيت) الطواغيت جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم ويكون جمعًا ومفردًا ومذكرًا ومؤنثًا، وقد تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك في تفسير سورة النساء، وقال

---

(١) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٤٨٥)، برقم (٨٤٢) به.
(٢) أخرجه أحمد، برقم (١١٣٢٠).
(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤١٥)، برقم (٦٠٢٥).
(٤) مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٧)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة.
(٥) أخرجه الحميدي (٢/ ٤٩٦) برقم (١١٧٨)، ومسلم (٢٩٦٨).

الطبري: الصواب عندي أنه كل طاغ طغى على الله يعبد من دونه إما بقهرٍ منه لمن عبد وإما بطاعةٍ ممن عبد إنسانًا كان أو شيطانًا أو حيوانًا أو جمادًا، قال: فاتباعهم لهم حينئذٍ باستمرارهم على الاعتقاد فيهم، ويحتمل أن يتبعوهم بأن يساقوا إلى النار قهرًا.

ووقع في حديث أبي سعيد الآتي في التوحيد «**فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب كل الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهةٍ مع آلهتهم**» وفيه إشارة إلى أن كل من كان يعبد الشيطان ونحوه ممن يرضى بذلك أو الجماد والحيوان داخلون في ذلك، وأما من كان يعبد من لا يرضى بذلك كالملائكة والمسيح فلا، لكن وقع في حديث ابن مسعود: «**فيتمثل لهم ما كانوا يعبدون فينطلقون**» وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن «**فيتمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره**» فأفادت هذه الزيادة تعميم من كان يعبد غير الله إلا من سيذكر من اليهود والنصارى فإنه يخص من عموم ذلك بدليله الآتي ذكره. وأما التعبير بالتمثيل فقال ابن العربي: يحتمل أن يكون التمثيل تلبيسًا عليهم، ويحتمل أن يكون التمثيل لمن لا يستحق التعذيب، وأما من سواهم فيحضرون حقيقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قوله: (وتبقى هذه الأمة) قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون المراد بالأمة أمة محمد ﷺ، ويحتمل أن يحمل على أعم من ذلك فيدخل فيه جميع أهل التوحيد حتى من الجن، ويدل عليه ما في بقية الحديث أنه يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر.

قلت: ويؤخذ أيضًا من قوله في بقية الحديث: «**فأكون أول من يجيز**» فإن فيه إشارةً إلى أن الأنبياء بعده يجيزون أممهم.

قوله: (فيها منافقوها) كذا للأكثر، وفي رواية إبراهيم بن سعد: «**فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم**» والأول المعتمد، وزاد في حديث أبي سعيد: «**حتى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر**». وغبرات أهل الكتاب بضم الغين المعجمة وتشديد الموحدة، وفي رواية مسلم: «**وغبر**» وكلاهما جمع غابر، أو الغبرات جمع وغبر جمع غابر، ويجمع أيضًا على أغبار، وغبر الشيء بقيته، وجاء بسكون الموحدة والمراد هنا من كان يوحد الله منهم. وصحفه بعضهم في مسلم بالتحتانية بلفظ التي للاستثناء، وجزم عياض وغيره بأنه وهم، قال ابن أبي جمرة: لم يذكر في الخبر مآل المذكورين، لكن لما كان من المعلوم أن استقرار الطواغيت في النار علم بذلك أنهم معهم في النار كما قال تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

قلت: وقد وقع في رواية سهيل التي أشرت إليها قريبًا: «**فتتبع الشياطين والصليب أولياؤهم إلى جهنم**» ووقع في حديث أبي سعيدٍ من الزيادة: «**ثم يؤتى بجهنم كأنها سرابٌ - بمهملةٍ ثم**

موحدة - **فيقال لليهود ما كنتم تعبدون»** الحديث وفيه ذكر النصارى، وفيه: **«فيتساقطون في جهنم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر»** وفي رواية هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عند ابن خزيمة وابن منده [1] وأصله في مسلم: **«فلا يبقى أحد كان يعبد صنمًا ولا وثنًا ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار»**.

وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن: **«فيطرح منهم فيها فوجٌ ويقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيدٍ»** الحديث، وكان اليهود وكذا النصارى ممن كان لا يعبد الصلبان؛ لما كانوا يدعون أنهم يعبدون الله تعالى تأخروا مع المسلمين، فلما حققوا على عبادة من ذكر من الأنبياء ألحقوا بأصحاب الأوثان. ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البينة:٦] الآية. فأما من كان متمسكًا بدينه الأصلي فخرج بمفهوم قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وعلى ما ذكر من حديث أبي سعيد يبقى أيضًا من كان يظهر الإيمان من مخلصٍ ومنافقٍ.

قوله: (فتدعي اليهود) قدموا بسبب تقدم ملتهم على ملة النصارى.

قوله: (فيقال لهم) لم أقف على تسمية قائل ذلك لهم، والظاهر أنه الملك الموكل بذلك.

قوله: (كنا نعبد عزيرًا ابن الله) هذا فيه إشكال لأن المتصف بذلك بعض اليهود وأكثرهم ينكرون ذلك، ويمكن أن يجاب بأن خصوص هذا الخطاب لمن كان متصفًا بذلك ومن عداهم يكون جوابهم ذكر من كفروا به كما وقع في النصارى فإن منهم من أجاب بالمسيح ابن الله مع أن فيهم من كان بزعمه يعبد الله وحده وهم الاتحادية الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم.

قوله: (فيقال لهم كذبتم) قال الكرماني: التصديق والتكذيب لا يرجعان إلى الحكم الذي أشار إليه، فإذا قيل جاء زيد بن عمرو بكذا فمن كذبه أنكر مجيئه بذلك الشيء لا أنه ابن عمرو، وهنا لم ينكر عليهم أنهم عبدوا وإنما أنكر عليهم أن المسيح ابن الله.

قال: والجواب عن هذا أن فيه نفي اللازم وهو كونه ابن الله ليلزم نفي الملزوم وهو عبادة ابن الله. قال: ويجوز أن يكون الأول بحسب الظاهر وتحصل قرينةٌ بحسب المقام تقتضي الرجوع إليهما جميعًا أو إلى المشار إليه فقط، قال ابن بطال: في هذا الحديث إن المنافقين يتأخرون مع المؤمنين رجاء أن ينفعهم ذلك بناء على ما كانوا يظهرونه في الدنيا، فظنوا أن ذلك يستمر لهم، فميز الله تعالى المؤمنين بالغرة والتحجيل إذ لا غرة للمنافق ولا تحجيل.

قلت: قد ثبت أن الغرة والتحجيل خاص بالأمة المحمدية، فالتحقيق أنهم في هذا المقام

---

(١) أخرجه ابن منده في الإيمان (٢/ ٧٩٧- ٧٩٨)، برقم (٨١٦).

يتميزون بعدم السجود وبإطفاء نورهم بعد أن حصل لهم، ويحتمل أن يحصل لهم الغرة والتحجيل ثم يسلبان عند إطفاء النور.

وقال القرطبي: ظن المنافقون أن تسترهم بالمؤمنين ينفعهم في الآخرة كما كان ينفعهم في الدنيا جهلًا منهم، ويحتمل أن يكونوا حشروا معهم لما كانوا يظهرونه من الإسلام فاستمر ذلك حتى ميزهم الله تعالى منهم، قال: ويحتمل أنهم لما سمعوا «**لتتبع كل أمة من كانت تعبد**» والمنافق لم يكن يعبد شيئًا بقي حائرًا حتى ميز.

قلت: هذا ضعيف لأنه يقتضي تخصيص ذلك بمنافقٍ كان لا يعبد شيئًا، وأكثر المنافقين كانوا يعبدون غير الله من وثن وغيره.

قوله: (فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون) في حديث أبي سعيد الآتي في التوحيد «**في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة**»، وفي رواية هشام بن سعد «**ثم يتبدى لنا الله في صورة غير صورته التي رأيناه فيها أول مرة**» ويأتي في حديث أبي سعيد من الزيادة «**فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كل قوم ما كانوا يعبدون وإننا ننتظر ربنا**» ووقع في رواية مسلم هنا «**فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم**» ورجح عياض رواية البخاري، وقال غيره: الضمير لله والمعنى فارقنا الناس في معبوداتهم ولم نصاحبهم ونحن اليوم أحوج لربنا، أي إنا محتاجون إليه.

وقال عياض: بل أحوج على بابها لأنهم كانوا محتاجين إليه في الدنيا فهم في الآخرة أحوج إليه.

وقال النووي: إنكاره لرواية مسلم معترض، بل معناه التضرع إلى الله في كشف الشدة عنهم بأنهم لزموا طاعته وفارقوا في الدنيا من زاغ عن طاعته من أقاربهم مع حاجتهم إليهم في معاشهم ومصالح دنياهم، كما جرى لمؤمني الصحابة حين قاطعوا من أقاربهم من حاد الله ورسوله مع حاجتهم إليهم والارتفاق بهم، وهذا ظاهر في معنى الحديث لا شك في حسنه.

وأما نسبة الإتيان إلى الله تعالى فقيل: هو عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن كل من غاب عن غيره لا يمكن رؤيته إلا بالمجيء إليه فعبر عن الرؤية بالإتيان مجازًا.

وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى يجب الإيمان به مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن سمات الحدوث [1].

---

(١) هذا هو مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم.

وقيل: فيه حذف تقديره يأتيهم بعض ملائكة الله، ورجحه عياض قال: ولعل هذا الملك جاءهم في صورة أنكروها لما رأوا فيها من سمة الحدوث الظاهرة على الملك لأنه مخلوق.

قال: ويحتمل وجهًا رابعًا وهو أن المعنى يأتيهم الله بصورة - أي بصفةٍ - تظهر لهم من الصور المخلوقة التي لا تشبه صفة الإله ليختبرهم بذلك، فإذا قال لهم هذا الملك: أنا ربكم ورأوا عليه من علامة المخلوقين ما يعلمون به أنه ليس ربهم استعاذوا منه لذلك. انتهى.

وقد وقع في رواية العلاء بن عبد الرحمن المشار إليها: «**فيطلع عليهم رب العالمين**» وهو يقوي الاحتمال الأول، قال: وأما قوله بعد ذلك: «**فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونها**» فالمراد بذلك الصفة، والمعنى فيتجلى الله لهم بالصفة التي يعلمونه بها، وإنما عرفوه بالصفة وإن لم تكن تقدمت لهم رؤيته لأنهم يرون حينئذٍ شيئًا لا يشبه المخلوقين، وقد علموا أنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته فيعلمون أنه ربهم فيقولون: أنت ربنا، وعبر عن الصفة بالصورة لمجانسة الكلام لتقدم ذكر الصورة.

قال: وأما قوله: «**نعوذ بالله منك**» فقال الخطابي: يحتمل أن يكون هذا الكلام صدر من المنافقين، قال القاضي عياض: وهذا لا يصح ولا يستقيم الكلام به.

وقال النووي: الذي قاله القاضي صحيحٌ، ولفظ الحديث مصرح به أو ظاهرٌ فيه. انتهى.

ورجحه القرطبي في «**التذكرة**» وقال: إنه من الامتحان الثاني يتحقق ذلك، فقد جاء في حديث أبي سعيد «**حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب**».

وقال ابن العربي: إنما استعاذوا منه أولاً لأنهم اعتقدوا أن ذلك الكلام استدراج، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، ومن الفحشاء اتباع الباطل وأهله، ولهذا وقع في الصحيح «**فيأتيهم الله في صورة - أي بصورةٍ - لا يعرفونها**» وهي الأمر باتباع أهل الباطل، فلذلك يقولون: «**إذا جاء ربنا عرفناه**» أي إذا جاءنا بما عهدناه منه من قول الحق.

وقال ابن الجوزي: معنى الخبر يأتيهم الله بأهوال يوم القيامة ومن صور الملائكة بما لم يعهدوا مثله في الدنيا فيستعيذون من تلك الحال ويقولون: إذا جاء ربنا عرفناه، أي إذا أتانا بما نعرفه من لطفه، وهي الصورة التي عبر عنها بقوله: «**يكشف عن ساقٍ**» أي عن شدةٍ.

وقال القرطبي: هو مقامٌ هائلٌ يمتحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيب، وذلك أنه لما بقي المنافقون مختلطين بالمؤمنين زاعمين أنهم منهم ظانين أن ذلك يجوز في ذلك الوقت، كما جاز في الدنيا، امتحنهم الله بأن أتاهم بصورةٍ هائلة قالت للجميع: أنا ربكم، فأجابه المؤمنون بإنكار ذلك لما سبق لهم من معرفته سبحانه وأنه منزهٌ عن صفات هذه الصورة، فلهذا قالوا: نعوذ بالله

منك لا نشرك بالله شيئًا، حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب أي يزل فيوافق المنافقين.

قال: وهؤلاء طائفة لم يكن لهم رسوخ بين العلماء ولعلهم الذين اعتقدوا الحق وحوموا عليه من غير بصيرة، قال: ثم يقال بعد ذلك للمؤمنين هل بينكم وبينه علامة؟.

قلت: وهذه الزيادة أيضًا من حديث أبي سعيد ولفظه: **«آية تعرفونها فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيصير ظهره طبقًا واحدًا»** أي يستوي فقار ظهره فلا ينثني للسجود.

وفي لفظٍ لمسلم: **«فلا يبقى من كان يسجد من تلقاء نفسه إلا أذن له في السجود»** أي سهل له وهون عليه **«ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقًا واحدًا كلما أراد أن يسجد خر لقفاه»** وفي حديث ابن مسعود نحوه لكن قال: **«فيقولون: إن اعترف لنا عرفناه، قال: فيكشف عن ساقٍ فيقعون سجودًا، وتبقى أصلاب المنافقين كأنها صياصي البقر»**. وفي رواية أبي الزعراء عنه عند الحاكم [1] **«وتبقى ظهور المنافقين طبقًا واحدًا كأنما فيها السفافيد»** وهي بمهملة وفاءين جمع سفود بتشديد الفاء وهو الذي يدخل في الشاة إذا أريد أن تشوى.

ووقع في رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عند ابن منده [2]: **«فيوضع الصراط ويتمثل لهم ربهم»** فذكر نحو ما تقدم وفيه **«إذا تعرف لنا عرفناه»** وفي رواية العلاء ابن عبد الرحمن **«ثم يطلع عز وجل عليهم فيعرفهم نفسه ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيتبعه المسلمون»** وقوله في هذه الرواية: **«فيعرفهم نفسه»** أي يلقي في قلوبهم علمًا قطعيا يعرفون به أنه ربهم سبحانه وتعالى.

وقال الكلاباذي في «معاني الأخبار»: عرفوه بأن أحدث فيهم لطائف عرفهم بها نفسه، ومعنى كشف الساق زوال الخوف والهول الذي غيرهم حتى غابوا عن رؤية عوراتهم. ووقع في رواية هشام بن سعد: **«ثم نرفع رءوسنا وقد عاد لنا في صورته التي رأيناه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فنقول: نعم، أنت ربنا»** وهذا فيه إشعار بأنهم رأوه في أول ما حشروا والعلم عند الله.

وقال الخطابي: هذه الرؤية غير التي تقع في الجنة إكرامًا لهم، فإن هذه للامتحان وتلك لزيادة الإكرام كما فسرت به **«الحسنى وزيادة»** قال: ولا إشكال في حصول الامتحان في الموقف لأن آثار التكاليف لا تنقطع إلا بعد الاستقرار في الجنة أو النار.

قال: ويشبه أن يقال إنما حجب عنهم تحقق رؤيته أولاً لما كان معهم من المنافقين الذين لا

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٤١- ٥٤٢)، برقم (٨٥١٩).

(٢) أخرجه ابن منده في الإيمان (٢/ ٧٩٤)، برقم (٨١١).

يستحقون رؤيته، فلما تميزوا رفع الحجاب فقال المؤمنون حينئذٍ: أنت ربنا.

قلت: وإذا لوحظ ما تقدم من قوله: «إذا تعرف لنا عرفناه» وما ذكرت من تأويله ارتفع الإشكال. وقال الطيبي: لا يلزم من أن الدنيا دار بلاء والآخرة دار جزاء أن لا يقع في واحدةٍ منهما ما يخص بالأخرى، فإن القبر أول منازل الآخرة، وفيه الابتلاء والفتنة بالسؤال وغيره، والتحقيق أن التكليف خاص بالدنيا وما يقع في القبر وفي الموقف هي آثار ذلك. ووقع في حديث ابن مسعود من الزيادة «ثم يقال للمسلمين: ارفعوا رءوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم» وفي لفظ: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل ودون ذلك ومثل النخلة ودون ذلك حتى يكون آخرهم من يعطى نوره على إبهام قدمه».

ووقع في رواية مسلم [1] عن جابر: «ويعطى كل إنسان منهم نورًا - إلى أن قال - ثم يطفأ نور المنافقين» وفي حديث ابن عباس عند ابن مردويه: «فيعطى كل إنسان منهم نورًا، ثم يوجهون إلى الصراط فما كان من منافق طفئ نوره» وفي لفظ: «فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين فقالوا للمؤمنين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾» الآية. وفي حديث أبي أمامة عند ابن أبي حاتم: «وإنكم يوم القيامة في مواطن حتى يغشى الناس أمرٌ من أمر الله فتبيض وجوهٌ وتسود وجوهٌ، ثم ينتقلون إلى منزلٍ آخر فتغشى الناس الظلمة، فيقسم النور فيختص بذلك المؤمن ولا يعطى الكافر ولا المنافق منه شيئًا، فيقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ الآية، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئًا، فيضرب بينهم بسورٍ».

قوله: (فيتبعونه) قال عياضٌ: أي: فيتبعون أمره أو ملائكته الذين وكلوا بذلك.

قوله: (ويضرب جسر جهنم) في رواية شعيب بعد قوله: أنت ربنا: «فيدعوهم فيضرب جسر جهنم».

(تنبيهٌ): حذف من هذا السياق ما تقدم من حديث أنس في ذكر الشفاعة لفصل القضاء، كما حذف من حديث أنس ما ثبت هنا من الأمور التي تقع في الموقف، فينتظم من الحديثين أنهم إذا حشروا وقع ما في حديث الباب من تساقط الكفار في النار ويبقى من عداهم في كرب الموقف فيستشفعون، فيقع الإذن بنصب الصراط فيقع الامتحان بالسجود ليتميز المنافق من المؤمن ثم يجوزون على الصراط. ووقع في حديث أبي سعيد هنا: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم».

قوله: (قال رسول الله ﷺ فأكون أنا وأمتي أول من يجيز) في رواية شعيب: «يجوز بأمته»

---

(١) مسلم برقم (١٩١).

وفي رواية إبراهيم بن سعد: «يجيزها» والضمير لجهنم. قال الأصمعي: جاز الوادي مشى فيه، وأجازه قطعه، وقال غيره: جاز وأجاز بمعنًى واحدٍ. وقال النووي: المعنى أكون أنا وأمتي أول من يمضي على الصراط ويقطعه، يقول جاز الوادي وأجازه إذا قطعه وخلفه.

وقال القرطبي: يحتمل أن تكون الهمزة هنا للتعدية لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط لزم تأخير غيرهم عنهم حتى يجوز، فإذا جاز هو وأمته فكأنه أجاز بقية الناس. انتهى.

ووقع في حديث عبد الله بن سلام عند الحاكم [1]: «ثم ينادي منادٍ أين محمد وأمته؟ فيقوم فتتبعه أمته برها وفاجرها، فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون من يمين وشمال، وينجو النبي والصالحون» وفي حديث ابن عباس يرفعه: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب» وفيه: «فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمر غرا محجلين من آثار الطهور، فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن يكونوا أنبياء».

قوله: (ودعاء الرسل يومئذٍ: اللهم سلم سلم) في رواية شعيب: «ولا يتكلم يومئذٍ أحد إلا الرسل» وفي رواية إبراهيم بن سعد: «ولا يكلمه إلا الأنبياء، ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم سلم سلم» ووقع في رواية العلاء: «وقولهم: اللهم سلم سلم» وللترمذي [2] من حديث المغيرة: «شعار المؤمنين على الصراط: رب سلم سلم» والضمير في الأول للرسل، ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فسمي ذلك شعارًا لهم، فبهذا تجتمع الأخبار، ويؤيده قوله في رواية سهيل: «فعند ذلك حلت الشفاعة اللهم سلم سلم».

وفي حديث أبي سعيد من الزيادة: «فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب» وفي حديث حذيفة وأبي هريرة معًا: «فيمر أولهم كمر البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجري بهم أعمالهم» وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن: «ويوضع الصراط فيمر عليه مثل جياد الخيل والركاب»، وفي حديث ابن مسعود: «ثم يقال لهم انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كطرف العين، ثم كالبرق، ثم كالسحاب، ثم كانقضاض الكوكب، ثم كالريح، ثم كشد الفرس، ثم كشد الرحل، حتى يمر الرجل الذي أعطي نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر بيدٍ ويعلق يدٌ، ويجر برجلٍ ويعلق رجلٌ، وتضرب جوانبه النار حتى يخلص».

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٦١٢)، برقم (٨٦٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصراط، برقم (٢٤٣٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

وعند ابن أبي حاتم في التفسير من طريق أبي الزعراء عن ابن مسعود: «**كمر البرق، ثم الريح، ثم الطير، ثم أجود الخيل، ثم أجود الإبل، ثم كعدو الرجل حتى إن آخرهم رجل نوره على موضع إبهامي قدميه، ثم يتكفأ به الصراط**».

وعند هناد بن السري [١] عن ابن مسعود بعد الريح: «**ثم كأسرع البهائم حتى يمر الرجل سعيًا ثم مشيًا ثم آخرهم يتلبط على بطنه فيقول: يا رب لم أبطأت بي؟ فيقول: أبطأ بك عملك**». ولابن المبارك [٢] من مرسل عبد الله بن شقيق: «**فيجوز الرجل كالطرف وكالسهم وكالطائر السريع وكالفرس الجواد المضمر، ويجوز الرجل يعدو عدوًا ويمشي مشيًا حتى يكون آخر من ينجو يحبو**».

قوله: (وبه كلاليب) الضمير للصراط، وفي رواية شعيب: «**وفي جهنم كلاليب**» وفي رواية حذيفة وأبي هريرة معًا: «**وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به**» وفي رواية سهيل «**وعليه كلاليب النار**» وكلاليب جمع كلوب بالتشديد، وتقدم ضبطه وبيانه في أواخر كتاب الجنائز.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث الماضي «**حفت النار بالشهوات**» قال: فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار لأنها خطاطيفها، وفي حديث حذيفة: «**وترسل الأمانة والرحم، فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً**» أي: يقفان في ناحيتي الصراط، وهي بفتح الجيم والنون بعدها موحدة ويجوز سكون النون، والمعنى أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن والمواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل.

قال الطيبي: ويمكن أن يكون المراد بالأمانة ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية، وصلة الرحم ما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] فيدخل فيه معنى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فكأنهما اكتنفتا جنبتي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم وفطرتي الإيمان والدين القويم.

قوله: (مثل شوك السعدان) بالسين والعين المهملتين بلفظ التثنية، والسعدان جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه قالوا: مرعًى ولا كالسعدان.

قوله: (أما رأيتم شوك السعدان) هو استفهام تقرير لاستحضار الصورة المذكورة.

---

(١) أخرجه هناد في الزهد (١/ ١٩٨)، برقم (٣٢٢).
(٢) ابن المبارك في الزهد (ص١٢٢)، برقم (٤٠٨).

قوله: (غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله) أي الشوكة، والهاء ضمير الشأن، ووقع في رواية الكشميهني «**غير أنه**» وقع في رواية مسلم «**لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله**»، قال القرطبي: قيدناه - أي لفظ قدر - عن بعض مشايخنا بضم الراء على أنه يكون استفهامًا وقدر مبتدأ، وبنصبها على أن تكون ما زائدةً وقدر مفعول يعلم.

قوله: (فتخطف الناس بأعمالهم) بكسر الطاء وبفتحها قال ثعلب في الفصيح: خطف بالكسر في الماضي وبالفتح في المضارع. وحكى القزاز عكسه، والكسر في المضارع أفصح.

قال الزين بن المنير: تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة، ثم استثنى إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارهما، وفي رواية السدي «**وبحافتيه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس**» ووقع في حديث أبي سعيد «**قلنا وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة**» أي زلق تزلق فيه الأقدام، ويأتي ضبط ذلك في كتاب التوحيد.

ووقع عند مسلم «**قال أبو سعيد: بلغني أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة**»، ووقع في رواية ابن منده من هذا الوجه «**قال سعيد بن أبي هلال: بلغني**» ووصله البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ مجزومًا به، وفي سنده لين. ولابن المبارك عن مرسل عبيد ابن عمير «**إن الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب، إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر**» وأخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه وفيه «**والملائكة على جنبتيه يقولون: رب سلم سلم**».

وجاء عن الفضيل بن عياض قال: «**بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسه آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله**» أخرجه ابن عساكر في ترجمته، وهذا معضلٌ لا يثبت، وعن سعيد بن أبي هلال قال: «بلغنا أن الصراط أدق من الشعر على بعض الناس، ولبعض الناس مثل الوادي الواسع» أخرجه ابن المبارك [(١)] وابن أبي الدنيا وهو مرسل أو معضل.

وأخرج الطبري [(٢)] من طريق غنيم بن قيس أحد التابعين قال: «**تمثل النار للناس، ثم يناديها منادٍ: أمسكي أصحابك ودعي أصحابي، فتخسف بكل ولي لها فهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم**» ورجاله ثقات مع كونه مقطوعًا.

قوله: (منهم الموبق بعمله) في رواية شعيب «**من يوبق**» وهما بالموحدة بمعنى الهلاك،

---

(١) الزهد لابن المبارك (ص١٢٢)، برقم (٤٠٦).

(٢) الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٩).

ولبعض رواة مسلم **«الموثق»** بالمثلثة من الوثائق، ووقع عند أبي ذر رواية إبراهيم بن سعد الآتية في التوحيد بالشك، وفي رواية الأصيلي **«ومنهم المؤمن - بكسر الميم بعدها نون - بقي بعمله»** بالتحتانية وكسر القاف من الوقاية أي يستره عمله، وفي لفظ بعض رواة مسلم **«يعني»** بغين مهملة ساكنة ثم نون مكسورة بدل بقي وهو تصحيفٌ.

قوله: (ومنهم المخردل) بالخاء المعجمة، في رواية شعيب: **«ومنهم من يخردل»** ووقع في رواية الأصيلي هنا بالجيم وكذا لأبي أحمد الجرجاني في رواية شعيب ووهاه عياض والدال مهملةٌ للجميع، وحكى أبو عبيد فيه إعجام الذال ورجح ابن قرقول الخاء المعجمة والدال المهملة، وقال الهروي: المعنى أن كلاليب النار تقطعه فيهوي في النار، قال كعب بن زهير في بانت سعاد قصيدته المشهورة:

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ

فقوله: **«معفور»** بالعين المهملة والفاء أي واقع في التراب و **«خراديل»** أي هو قطع، ويحتمل أن يكون من الخردل أي جعلت أعضاؤه كالخردل، وقيل معناه أنها تقطعهم عن لحوقهم بمن نجا، وقيل المخردل المصروع ورجحه ابن التين فقال هو أنسب لسياق الخبر، ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عند أبي ذر **«فمنهم المخردل أو المجازى أو نحوه»** ولمسلم عنه **«المجازى»** بغير شك وهو بضم الميم وتخفيف الجيم من الجزاء.

قوله: (ثم ينجو) في رواية إبراهيم بن سعد **«ثم ينجلي»** بالجيم أي يتبين، ويحتمل أن يكون بالخاء المعجمة أي يخلى عنه فيرجع إلى معنى ينجو، وفي حديث أبي سعيد **«فناجٍ مسلم ومخدوش ومكدوس في جهنم، حتى يمر أحدهم فيسحب سحبًا»**.

قال ابن أبي جمرة: يؤخذ منه أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناجٍ بلا خدوش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو. وكل قسم منها ينقسم أقسامًا تعرف بقوله: **«بقدر أعمالهم»** واختلف في ضبط مكدوس فوقع في رواية مسلم بالمهملة ورواه بعضهم بالمعجمة ومعناه السوق الشديد ومعنى الذي بالمهملة الراكب بعضه على بعض، وقيل مكردس والمكردس فقار الظهر وكردس الرجل خيله جعلها كراديس أي فرقها، والمراد أنه ينكفئ في قعرها.

وعند ابن ماجه [١] من وجه آخر عن أبي سعيد رفعه **«يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناجٍ مسلم ومخدوش به ثم ناجٍ ومحتبس به ومنكوس فيها»**.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب البعث، برقم (٤٢٨٠)، وصححه الألباني.

قوله: (حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده) كذا لمعمرٍ هنا، ووقع لغيره «بعد هذا» وقال في رواية شعيب: «حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار».

قال الزين بن المنير: الفراغ إذا أضيف إلى الله معناه القضاء وحلوله بالمقضي عليه، والمراد إخراج الموحدين وإدخالهم الجنة واستقرار أهل النار في النار، وحاصله أن المعنى يفرغ الله أي من القضاء بعذاب من يفرغ عذابه ومن لا يفرغ فيكون إطلاق الفراغ بطريق المقابلة وإن لم يذكر لفظها.

وقال ابن أبي جمرة: معناه وصل الوقت الذي سبق في علم الله أنه يرحمهم، وقد سبق في حديث عمران بن حصينٍ الماضي في أواخر الباب الذي قبله أن الإخراج يقع بشفاعة محمد ﷺ.

وعند أبي عوانة والبيهقي وابن حبان [١] في حديث حذيفة «يقول إبراهيم: يا رباه حرقت بني، فيقول: أخرجوا» وفي حديث عبد الله بن سلام عند الحاكم [٢] أن قائل ذلك آدم، وفي حديث أبي سعيد «فما أنتم بأشد مناشدةً في الحق، قد يتبين لكم من المؤمنين يومئذٍ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم المؤمنين يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا» الحديث، هكذا في رواية الليث الآتية في التوحيد، ووقع فيه عند مسلم من رواية حفص بن ميسرة اختلاف في سياقه سأبينه هناك إن شاء الله تعالى، ويحمل على أن الجميع شفعوا، وتقدم النبي ﷺ قبلهم في ذلك، ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الطبراني [٣] بسندٍ حسنٍ رفعه «يدخل من أهل القبلة النار من لا يحصى عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترءوا على معصيته وخالفوا طاعته، فيؤذن لي في الشفاعة فأثني على الله ساجدًا كما أثني عليه قائمًا، فيقال لي: ارفع رأسك» الحديث. ويؤيده أن في حديث أبي سعيد تشفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون.

ووقع في رواية عمرو بن أبي عمرو عن أنس عند النسائي ذكر سبب آخر لإخراج الموحدين من النار ولفظه: «وفرغ من حساب الناس وأدخل من بقي من أمتي النار مع أهل النار، فيقول أهل النار: ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله لا تشركون به شيئًا، فيقول الجبار: فبعزتي لأعتقنهم من النار، فيرسل إليهم فيخرجون» وفي حديث أبي موسى عند ابن أبي عاصم [٤] والبزار رفعه: «وإذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة يقول لهم الكفار: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ فقالوا: كانت لنا

---

(١) أبو عوانة في مسنده (١/ ١٥٠)، برقم (٤١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٨٢-٣٨٣)، برقم (٧٣٧٨).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) تقدم قريبًا.

(٤) ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٠٥)، برقم (٨٤٣).

ذنوبٌ فأخذنا بها، فيأمر الله من كان من أهل القبلة فأخرجوا. فقال الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين» وفي الباب عن جابر وقد تقدم في الباب الذي قبله. وعن أبي سعيد الخدري عند ابن مردويه.

ووقع في حديث أبي بكر الصديق **«ثم يقال: ادعوا الأنبياء فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون»** وفي حديث أبي بكرة عند ابن أبي عاصم [1] والبيهقي مرفوعًا **«يحمل الناس على الصراط فينجي الله من شاء برحمته، ثم يؤذن في الشفاعة للملائكة والنبيين والشهداء والصديقين فيشفعون ويخرجون»**.

قوله: (ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله) قال القرطبي: لم يذكر الرسالة إما لأنهما لما تلازما في النطق غالبًا وشرطًا اكتفى بذكر الأولى أو لأن الكلام في حق جميع المؤمنين هذه الأمة وغيرها، ولو ذكرت الرسالة لكثر تعداد الرسل.

قلت: الأول أولى، ويعكر على الثاني أنه يكتفى بلفظٍ جامعٍ كأن يقول مثلاً: ونؤمن برسله، وقد تمسك بظاهره بعض المبتدعة ممن زعم أن من وحد الله منَ أهل الكتاب يخرج من النار ولو لم يؤمن بغير من أرسل إليه، وهو قولٌ باطلٌ، فإن من جحد الرسالة كذب الله ومن كذب الله لم يوحده.

قوله: (أمر الملائكة أن يخرجوهم) في حديث أبي سعيد **«اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار فأخرجوه»** وتقدم في حديث أنس في الشفاعة في الباب قبله **«فيحد لي حدا فأخرجهم»** ويجمع بأن الملائكة يؤمرون على ألسنة الرسل بذلك، فالذين يباشرون الإخراج هم الملائكة.

ووقع في حديث أبي سعيد أيضًا بعد قوله: ذرة: **«فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا»** وفيه: **«فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط»**.

وفي حديث معبد عن الحسن البصري عن أنس **«فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال: لا إله إلا الله»** وسيأتي بطوله في التوحيد.

وفي حديث جابر عند مسلم **«ثم يقول الله: أنا أخرج بعلمي وبرحمتي»** وفي حديث أبي بكر **«أنا أرحم الراحمين، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئًا»** قال الطيبي: هذا يؤذن بأن كل ما قدر قبل ذلك بمقدار شعيرة ثم حبة ثم خردلة ثم ذرة غير الإيمان الذي يعبر به عن التصديق والإقرار،

---

(١) ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٠٣)، برقم (٨٣٧).

بل هو ما يوجد في قلوب المؤمنين من ثمرة الإيمان، وهو على وجهين:

أحدهما: ازدياد اليقين وطمأنينة النفس، لأن تضافر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لعدمه.

والثاني: أن يراد العمل وأن الإيمان يزيد وينقص بالعمل، وينصر هذا الوجه قوله في حديث أبي سعيد «**لم يعملوا خيرًا قط**».

قال البيضاوي: وقوله: ليس ذلك لك، أي أنا أفعل ذلك تعظيمًا لاسمي وإجلالاً لتوحيدي، وهو مخصص لعموم حديث أبي هريرة الآتي «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله مخلصًا**» قال: ويحتمل أن يجري على عمومه ويحمل على حالٍ ومقامٍ آخر، قال الطيبي: إذا فسرنا ما يختص بالله بالتصديق المجرد عن الثمرة وما يختص برسوله هو الإيمان مع الثمرة من ازدياد اليقين أو العمل الصالح حصل الجمع.

قلت: ويحتمل وجهًا آخر وهو أن المراد بقوله ليس ذلك لك مباشرة الإخراج لا أصل الشفاعة، وتكون هذه الشفاعة الأخيرة وقعت في إخراج المذكورين فأجيب إلى أصل الإخراج ومنع من مباشرته فنسبت إلى شفاعته في حديث «**أسعد الناس**» لكونه ابتدأ بطلب ذلك، والعلم عند الله تعالى. وقد مضى شرح حديث «**أسعد الناس بشفاعتي**» في أواخر الباب الذي قبله مستوفًى.

قوله: (فيعرفونهم بعلامة آثار السجود) في رواية إبراهيم بن سعد: «**فيعرفونهم في النار بأثر السجود**». قال الزين بن المنير: تعرف صفة هذا الأثر مما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح:٢٩] لأن وجوههم لا تؤثر فيها النار فتبقى صفتها باقية. وقال غيره: بل يعرفونهم بالغرة، وفيه نظرٌ لأنها مختصةٌ بهذه الأمة والذين يخرجون أعم من ذلك.

قوله: (وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود) هو جوابٌ عن سؤال مقدرٍ تقديره كيف يعرفون أثر السجود مع قوله في حديث أبي سعيد عند مسلم: «**فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن الله بالشفاعة**» فإذا صاروا فحمًا كيف يتميز محل السجود من غيره حتى يعرف أثره.

وحاصل الجواب: تخصيص أعضاء السجود من عموم الأعضاء التي دل عليها من هذا الخبر، وأن الله منع النار أن تحرق أثر السجود من المؤمن، وهل المراد بأثر السجود نفس العضو الذي يسجد، أو المراد من سجد؟ فيه نظرٌ، والثاني أظهر.

قال القاضي عياض: فيه دليل على أن عذاب المؤمنين المذنبين مخالفٌ لعذاب الكفار، وأنها لا تأتي على جميع أعضائهم إما إكرامًا لموضع السجود وعظم مكانهم من الخضوع لله تعالى أو لكرامة تلك الصورة التي خلق آدم والبشر عليها وفضلوا بها على سائر الخلق.

قلت: الأول منصوص والثاني محتمل، لكن يشكل عليه أن الصورة لا تختص بالمؤمنين، فلو كان الإكرام لأجلها لشاركهم الكفار وليس كذلك. قال النووي: وظاهر الحديث أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان، وبهذا جزم بعض العلماء. وقال عياض: ذكر الصورة ودارات الوجوه يدل على أن المراد بأثر السجود الوجه خاصة خلافًا لمن قال يشمل الأعضاء السبعة، ويؤيد اختصاص الوجه أن في بقية الحديث **«أن منهم من غاب في النار إلى نصف ساقيه»** وفي حديث سمرة عند مسلم **«وإلى ركبتيه»**. وفي رواية هشام بن سعد في حديث أبي سعيد **«وإلى حقوه»**.

قال النووي: وما أنكره هو المختار، ولا يمنع من ذلك قوله في الحديث الآخر في مسلم: **«إن قومًا يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم»** فإنه يحمل على أن هؤلاء قومٌ مخصوصون من جملة الخارجين من النار، فيكون الحديث خاصا بهم وغيره عاما فيحمل على عمومه إلا ما خص منه.

قلت: إن أراد أن هؤلاء يخصون بأن النار لا تأكل وجوههم كلها وأن غيرهم لا تأكل منهم محل السجود خاصة وهو الجبهة سلم من الاعتراض، وإلا يلزمه تسليم ما قال القاضي في حق الجميع إلا هؤلاء، وإن كانت علامتهم الغرة كما تقدم النقل عمن قاله. وما تعقبه بأنها خاصة بهذه الأمة، فيضاف إليها التحجيل وهو في اليدين والقدمين، مما يصل إليه الوضوء، فيكون أشمل مما قاله النووي من جهة دخول جميع اليدين والرجلين، لا تخصيص الكفين والقدمين، ولكن ينقص منه الركبتان، وما استدل به القاضي من بقية الحديث، لا يمنع سلامة هذه الأعضاء مع الانغمار، لأن تلك الأحوال الأخروية خارجة على قياس أحوال أهل الدنيا، ودل التنصيص على دارات الوجوه أن الوجه كله لا تؤثر فيه النار إكرامًا لمحل السجود، ويحمل الاقتصار عليها على التنويه بها لشرفها.

وقد استنبط ابن أبي جمرة من هذا أن من كان مسلمًا ولكنه كان لا يصلي لا يخرج إذ لا علامة له، لكن يحمل على أنه يخرج في القبضة لعموم قوله: لم يعملوا خيرًا قط، وهو مذكور في حديث أبي سعيد الآتي في التوحيد.

وهل المراد بمن يسلم من الإحراق من كان يسجد أو أعم من أن يكون بالفعل أو القوة؟ الثاني أظهر ليدخل فيه من أسلم مثلاً وأخلص فبغته الموت قبل أن يسجد ووجدت بخط أبي رحمه الله تعالى ولم أسمعه منه من نظمه ما يوافق مختار النووي وهو قوله: يا رب أعضاء السجود عتقتها من عبدك الجاني وأنت الواقي، والعتق يسري بالغني يا ذا الغنى فامنن على الفاني بعتق الباقي.

قوله: (فيخرجونهم قد امتحشوا) هكذا وقع هنا، وكذا وقع في حديث أبي سعيد في التوحيد

عن يحيى بن بكير عن الليث بسنده، ووقع عند أبي نعيم من رواية أحمد بن إبراهيم بن ملحان عن يحيى بن بكير **«فيخرجون من عرفوا»** ليس فيه **«قد امتحشوا»** وإنما ذكرها بعد قوله : فيقبض قبضة، وكذا أخرجه البيهقي وابن منده من رواية روح بن الفرج ويحيى بن أبي أيوب العلاف كلاهما عن يحيى بن بكير به .

قال عياض : ولا يبعد أن الامتحاش يختص بأهل القبضة والتحريم على النار أن تأكل صورة الخارجين أولاً قبلهم ممن عمل الخير على التفصيل السابق والعلم عند الله تعالى . وتقدم ضبط **«امتحشوا»** وأنه بفتح المثناة والمهملة وضم المعجمة أي احترقوا وزنه ومعناه، والمحش احتراق الجلد وظهور العظم .

قال عياض : ضبطناه عن متقني شيوخنا وهو وجه الكلام، وعند بعضهم بضم المثناة وكسر الحاء، ولا يعرف في اللغة امتشحه متعديًا وإنما سمع لازمًا مطاوع محشته يقال محشته، وأمحشته، وأنكر يعقوب بن السكيت الثلاثي، وقال غيره : أمحشته فامتحش وأمحشه الحر أحرقه والنار أحرقته وامتحش هو غضبًا . وقال أبو نصر الفارابي : والامتحاش الاحتراق .

قوله : (فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة) في حديث أبي سعيد **«فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة»** والأفواه جمع فوهة على غير قياس والمراد بها الأوائل، وتقدم في الإيمان من طريق يحيى بن عمارة عن أبي سعيد **«في نهر الحياة أو الحياء»** بالشك، وفي رواية أبي نضرة عند مسلم **«على نهر يقال له الحيوان أو الحياة»** وفي أخرى له **«فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة»** وفي تسمية ذلك النهر به إشارة إلى أنهم لا يحصل لهم الفناء بعد ذلك .

قوله : (فينبتون نبات الحبة) بكسر المهملة وتشديد الموحدة، تقدم في كتاب الإيمان أنها بزور الصحراء والجمع حبب بكسر المهملة وفتح الموحدة بعدها مثلها، وأما الحبة بفتح أوله وهو ما يزرعه الناس فجمعها حبوب بضمتين، ووقع في حديث أبي سعيد **«فينبتون في حافتيه»** وفي رواية لمسلم **«كما تنبت الغثاءة»** بضم الغين المعجمة بعدها مثلثة مفتوحة وبعد الألف همزة ثم هاء تأنيث هو في الأصل كل ما حمله السيل من عيدانٍ وورقٍ وبزور وغيرها، والمراد به هنا ما حمله من البزور خاصةً .

قوله : (في حميل السيل) بالحاء المهملة المفتوحة والميم المكسورة أي ما يحمله السيل، وفي رواية يحيى بن عمارة المشار إليها إلى جانب السيل، والمراد أن الغثاء الذي يجيء به السيل يكون فيه الحبة، فيقع في جانب الوادي، فتصبح من يومها نابتة، ووقع في رواية لمسلم **«في حمئة السيل»** بعد الميم همزة ثم هاء، وقد تشبع الميم فيصير بوزن عظيمة، وهو ما تغير لونه من الطين، وخص بالذكر لأنه يقع فيه النبت غالبًا .

قال ابن أبي جمرة: فيه إشارة إلى سرعة نباتهم، لأن الحبة أسرع في النبات من غيرها، وفي السيل أسرع لما يجتمع فيه من الطين الرخو الحادث مع الماء مع ما خالطه من حرارة الزبل المجذوب معه، قال: ويستفاد منه أنه ﷺ كان عارفًا بجميع أمور الدنيا بتعليم الله تعالى له وإن لم يباشر ذلك.

وقال القرطبي: اقتصر المازري على أن موقع التشبيه السرعة، وبقي عليه نوع آخر دل عليه قوله في الطريق الأخرى: **«ألا ترونها تكون إلى الحجر ما يكون منها إلى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»** وفيه تنبيه على أن ما يكون إلى الجهة التي تلي الجنة يسبق إليه البياض المستحسن، وما يكون منهم إلى جهة النار يتأخر النصوع عنه فيبقى أصيفر وأخيضر إلى أن يتلاحق البياض ويستوي الحسن والنور ونضارة النعمة عليهم.

قال: ويحتمل أن يشير بذلك إلى أن الذي يباشر الماء يعني الذي يرش عليهم يسرع نصوعه وأن غيره يتأخر عنه النصوع لكنه يسرع إليه، والله أعلم.

قوله: (ويبقى رجل) زاد في رواية الكشميهني **«منهم مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة»** تقدم القول في آخر أهل النار خروجًا منها في شرح الحديث الثاني والعشرين من الباب الذي قبله، ووقع في وصف هذا الرجل أنه كان نباشًا، وذلك في حديث حذيفة كما تقدم في أخبار بني إسرائيل **«أن رجلاً كان يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: أحرقوني»** الحديث وفي آخره **«كان نباشًا»**، ووقع في حديث حذيفة عن أبي بكر الصديق عند أحمد وأبي عوانة [(١)] وغيرهما وفيه **«ثم يقول الله: انظروا هل بقي في النار أحد عمل خيرًا قط؟ فيجدون رجلاً فيقال له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع»** الحديث وفيه **«ثم يخرجون من النار رجلاً آخر فيقال له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني»** الحديث.

وجاء من وجه آخر: أنه **«كان يسأل الله أن يجيره من النار ولا يقول أدخلني الجنة»** أخرجه الحسين المروزي في زيادات الزهد لابن المبارك [(٢)] من حديث عوف الأشجعي رفعه **«قد علمت آخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل كان يسأل الله أن يجيره من النار ولا يقول أدخلني الجنة، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، بقي بين ذلك فيقول: يا رب قربني من باب الجنة أنظر إليها وأجد من ريحها، فيقربه، فيرى شجرة»** الحديث، وهو عند ابن أبي شيبة أيضًا. وهذا يقوي

---

(١) أخرجه أحمد، برقم (١٦)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٧٧).
(٢) الزهد لابن المبارك (ص٤٤٦)، برقم (١٢٦٥).

التعدد، لكن الإسناد ضعيف.

وقد ذكرت عن عياض في شرح الحديث السابع عشر أن آخر من يخرج من النار هل هو آخر من يبقى على الصراط أو هو غيره وإن اشترك كل منهما في أنه آخر من يدخل الجنة، ووقع في نوادر الأصول للترمذي الحكيم [1] من حديث أبي هريرة **«أن أطول أهل النار فيها مكثًا من يمكث سبعة آلاف سنة»** وسند هذا الحديث واهٍ، والله أعلم.

وأشار ابن أبي جمرة إلى المغايرة بين آخر من يخرج من النار وهو المذكور في الباب الماضي وأنه يخرج منها بعد أن يدخلها حقيقة وبين آخر من يخرج ممن يبقى مارا على الصراط فيكون التعبير بأنه خرج من النار بطريق المجاز لأنه أصابه من حرها وكربها ما يشارك به بعض من دخلها. وقد وقع في **«غرائب مالك للدارقطني»** من طريق عبد الملك بن الحكم وهو واهٍ عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه **«إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين»** وحكى السهيلي أنه جاء أن اسمه هناد، وجوز غيره أن يكون أحد الاسمين لأحد المذكورين والآخر للآخر.

قوله: (فيقول يا رب) في رواية إبراهيم بن سعد في التوحيد **«أي رب»**.

قوله: (قد قشبني ريحها) بقافٍ وشينٍ معجمةٍ مفتوحتين مخففًا - وحكي التشديد - ثم موحدة.

قال الخطابي: قشبه الدخان إذا ملأ خياشيمه وأخذ يكظمه، وأصل القشب خلط السم بالطعام يقال: قشبه إذا سمه، ثم استعمل فيما إذا بلغ الدخان والرائحة الطيبة منه غايته. وقال النووي: معنى قشبني سمني وآذاني وأهلكني، هكذا قاله جماهير أهل اللغة. وقال الداودي: معناه غير جلدي وصورتي.

قلت: ولا يخفى حسن قول الخطابي، وأما الداودي فكثيرًا ما يفسر الألفاظ الغريبة بلوازمها ولا يحافظ على أصول معانيها. وقال ابن أبي جمرة: إذا فسرنا القشب بالنتن والمستقذر كانت فيه إشارة إلى طيب ريح الجنة، وهو من أعظم نعيمها، وعكسها النار في جميع ذلك.

وقال ابن القطاع: قشب الشيء خلطه بما يفسده من سم أو غيره، وقشب الإنسان لطخه بسوءٍ كاغتابه وعابه، وأصله السم فاستعمل بمعنى أصابه المكروه إذا أهلكه أو أفسده أو غيره أو أزال عقله أو تقذره هو، والله أعلم.

---

(١) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٦).

قوله: (وأحرقني ذكاؤها) كذا للأصيلي وكريمة هنا بالمد وكذا في رواية إبراهيم بن سعد، وفي رواية أبي ذر وغيره ذكاها بالقصر وهو الأشهر في اللغة.

وقال ابن القطاع: يقال ذكت النار تذكو ذكا بالقصر وذكوا بالضم وتشديد الواو أي كثر لهبها واشتد اشتعالها ووهجها، وأما ذكا الغلام ذكاء بالمد فمعناه أسرعت فطنته.

قال النووي: المد والقصر لغتان ذكره جماعه فيها، وتعقبه مغلطاي بأنه لم يوجد عن أحد من المصنفين في اللغة ولا في الشارحين لدواوين العرب حكاية المد إلا عن أبي حنيفة الدينوري في «كتاب النبات» في مواضع منها ضرب العرب المثل بجمر الغضا لذكائه، قال: وتعقبه علي بن حمزة الأصبهاني فقال: ذكا النار مقصور ويكتب بالألف لأنه واوي يقال ذكت النار تذكو ذكوا وذكاء النار وذكو النار بمعنًى وهو التهابها والمصدر ذكاء وذكو وذكو، بالتخفيف والتثقيل، فأما الذكاء بالمد فلم يأت عنهم في النار وإنما جاء في الفهم.

وقال ابن قرقول في «المطالع» وعليه يعتمد الشيخ، وقع في مسلم فقد أحرقني ذكاؤها بالمد والمعروف في شدة حر النار القصر إلا أن الدينوري ذكر فيه المد وخطأه علي بن حمزة فقال: ذكت النار ذكًا وذكوا، ومنه طيبٌ ذكي منتشر الريح، وأما الذكاء بالمد فمعناه تمام الشيء، ومنه ذكاء القلب، وقال صاحب الأفعال: ذكا الغلام والعقل أسرع في الفطنة، وذكا الرجل ذكاء من حدة فكره، وذكت النار ذكًا بالقصر توقدت.

قوله: (فاصرف وجهي عن النار) قد استشكل كون وجهه إلى جهة النار والحال أنه ممن يمر على الصراط طالبًا إلى الجنة فوجهه إلى الجنة، لكن وقع في حديث أبي أمامة المشار إليه قبل أنه ينقلب على الصراط ظهرًا لبطنٍ فكأنه في تلك الحالة انتهى إلى آخره فصادف أن وجهه كان من قبل النار، ولم يقدر على صرفه عنها باختياره فسأل ربه في ذلك.

قوله: (فيصرف وجهه عن النار) بضم أوله على البناء للمجهول، وفي رواية شعيب «فيصرف الله» ووقع في رواية أنس عن ابن مسعود عند مسلم [(١)] وفي حديث أبي سعيد عند أحمد والبزار [(٢)] نحوه أنه «ترفع له شجرة فيقول: رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله: لعلي إن أعطيتك تسألني غيرها، فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأل غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه» وفيه أنه «يدنو منها وأنه يرفع له شجرة أخرى أحسن من الأولى عند باب الجنة ويقول في الثالثة: ائذن لي في دخول الجنة» وكذا وقع في حديث أنس الآتي

(١) مسلم برقم (١٨٧).
(٢) أخرجه أحمد برقم (١١٢٧٠)، والبزار (٤/ ٢٧٣) برقم (١٤٤٢).

في التوحيد من طريق حميدٍ عنه رفعه: **«آخر من يخرج من النار ترفع له شجرة»** ونحوه لمسلمٍ من طريق النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد بلفظ: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثلت له شجرة»** ويجمع بأنه سقط من حديث أبي هريرة هنا ذكر الشجرات كما سقط من حديث ابن مسعود ما ثبت في حديث الباب من طلب القرب من باب الجنة.

قوله: (ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة) في رواية شعيب **«قال: يا رب قدمني»**.

قوله: (فيقول: أليس قد زعمت) في رواية شعيب **«فيقول الله: أليس قد أعطيت العهد والميثاق»**.

قوله: (لعلي إن أعطيتك ذلك) في رواية التوحيد **«فهل عسيت إن فعلت بك ذلك أن تسألني غيره»** أما **«عسيت»** ففي سينها الوجهان الفتح والكسر، وجملة **«أن تسألني»** هي خبر عسى، والمعنى هل يتوقع منك سؤال شيء غير ذلك وهو استفهام تقرير لأن ذلك عادة بني آدم، والترجي راجع إلى المخاطب لا إلى الرب، وهو من باب إرخاء العنان إلى الخصم ليبعثه ذلك على التفكر في أمره والإنصاف من نفسه.

قوله: (فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطي الله ما شاء من عهدٍ وميثاقٍ) يحتمل أن يكون فاعل **«شاء»** الرجل المذكور أو الله، قال ابن أبي جمرة: إنما بادر للحلف من غير استخلافٍ لما وقع له من قوة الفرح بقضاء حاجته فوطن نفسه على أن لا يطلب مزيدًا وأكده بالحلف.

قوله: (فإذا رأى ما فيها سكت) في رواية شعيب **«فإذا بلغ بابها ورأى زهرتها وما فيها من النضرة»** وفي رواية إبراهيم بن سعد **«من الحبرة»** بفتح المهملة وسكون الموحدة، ولمسلمٍ **«الخير»** بمعجمةٍ وتحتانيةٍ بلا هاء، والمراد أنه يرى ما فيها من خارجها، إما لأن جدارها شفاف فيرى باطنها من ظاهرها كما جاء في وصف الغرف، وإما أن المراد بالرؤية العلم الذي يحصل له من سطوع رائحتها الطيبة وأنوارها المضيئة كما كان يحصل له أذى لفح النار وهو خارجها.

قوله: (ثم قال) في رواية إبراهيم بن سعد **«ثم يقول»**.

قوله: (ويلك) في رواية شعيب **«ويحك»**.

قوله: (يا رب لا تجعلني أشقى خلقك) المراد بالخلق هنا من دخل الجنة، فهو لفظٌ عام أريد به خاص، ومراده: أنه يصير إذا استمر خارجًا عن الجنة أشقاهم، وكونه أشقاهم ظاهر لو استمر خارج الجنة وهم من داخلها.

قال الطيبي: معناه يا رب قد أعطيت العهد والميثاق ولكن تفكرت في كرمك ورحمتك فسألت وقع في الرواية التي في كتاب الصلاة **«لا أكون أشقى خلقك»** وللقابسي **«لأكونن»**.

قال ابن التين: المعنى لئن أبقيتني على هذه الحالة ولم تدخلني الجنة لأكونن، والألف في الرواية الأولى زائدة، وقال الكرماني: معناه لا أكون كافرًا.

قلت: هذا أقرب مما قال ابن التين ولو استحضر هذه الرواية التي هنا ما احتاج إلى التكلف الذي أبداه، فإن قوله: **«لا أكون»** لفظه لفظ الخبر ومعناه الطلب، ودل عليه قوله: **«لا تجعلني»** ووجه كونه أشقى أن الذي يشاهد ما يشاهده ولا يصل إليه يصير أشد حسرةً ممن لا يشاهد، وقوله: **«خلقك»** مخصوص بمن ليس من أهل النار.

قوله: (فإذا ضحك منه) تقدم معنى الضحك في شرح الحديث الماضي قريبًا.

قوله: (ثم يقال له: تمن من كذا فيتمنى) في رواية أبي سعيد عند أحمد **«فيسأل ويتمنى مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا»** وفي رواية التوحيد **«حتى إن الله ليذكره من كذا»** وفي حديث أبي سعيد **«ويلقنه الله ما لا علم له به»**.

قوله: (قال أبو هريرة) هو موصولٌ بالسند المذكور.

قوله: (وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً) سقط هذا من رواية شعيب. وثبت في رواية إبراهيم بن سعد هنا، ووقع ذلك في رواية مسلم مرتين إحداهما هنا والأخرى في أوله عند قوله: **«ويبقى رجل مقبلٌ بوجهه على النار»**.

قوله: (قال عطاء وأبو سعيد) أي الخدري، والقائل هو عطاء بن يزيد بينه إبراهيم بن سعد في روايته عن الزهري قال: قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري.

قوله: (لا يغير عليه شيئًا) في رواية إبراهيم بن سعد لا يرد عليه.

قوله: (هذا لك ومثله معه، قال أبو سعيد سمعت رسول الله ﷺ) ووقع في رواية إبراهيم بن سعد **«قال أبو سعيد وعشرة أمثاله يا أبا هريرة فقال»** فذكره، وفيه **«قال أبو سعيد الخدري: أشهد أني حفظته من رسول الله ﷺ»** ووقع في حديث أنس عند ابن مسعود **«يرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها»** ووقع في حديث حذيفة عن أبي بكر **«انظر إلى ملك أعظم ملكٍ فإن لك مثله وعشرة أمثاله، فيقول: أتسخر بي وأنت الملك»**.

ووقع عند أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعًا في هذا الحديث **«فقال أبو سعيد ومثله معه، فقال أبو هريرة: وعشرة أمثاله، فقال أحدهما لصاحبه: حدث بما سمعت**

وأحدث بما سمعت» وهذا مقلوبٌ فإن الذي في الصحيح هو المعتمد، وقد وقع عند البزار من الوجه الذي أخرجه منه أحمد على وفق ما في الصحيح.

نعم وقع في حديث أبي سعيد الطويل المذكور في التوحيد من طريق أخرى عنه بعد ذكر من يخرج من عصاة الموحدين فقال في آخره: **«فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه»** فهذا موافق لحديث أبي هريرة في الاقتصار على المثل ويمكن أن يجمع أن يكون عشرة الأمثال إنما سمعه أبو سعيد في حق آخر أهل الجنة دخولاً والمذكور هنا في حق جميع من يخرج بالقبضة، وجمع عياض بين حديثي أبي سعيد وأبي هريرة باحتمال أن يكون أبو هريرة سمع أولاً قوله: **«ومثله معه»** فحدث به ثم حدث النبي ﷺ بالزيادة فسمعه أبو سعيد، وعلى هذا فيقال سمعه أبو سعيد وأبو هريرة معًا أولاً ثم سمع أبو سعيد الزيادة بعد، وقد وقع في حديث أبي سعيد أشياء كثيرة زائدة على حديث أبي هريرة نبهت على أكثرها فيما تقدم قريبًا، وظاهر قوله: **«هذا لك وعشرة أمثاله»** أن العشرة زائدة على الأصل. ووقع في رواية أنس عن ابن مسعود **«لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا»** وحمل على أنه تمنى أن يكون له مثل الدنيا فيطابق حديث أبي سعيد. ووقع في رواية لمسلم عن ابن مسعود **«لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»** والله أعلم.

وقال الكلاباذي: إمساكه أولاً عن السؤال حياءً من ربه والله يحب أن يسأل لأنه يحب صوت عبده المؤمن فيباسطه بقوله أولاً: **«لعلك إن أعطيت هذا تسأل غيره»** وهذه حالة المقصر فكيف حالة المطيع، وليس نقض هذا العبد عهده وتركه ما أقسم عليه جهلاً منه ولا قلة مبالاةٍ بل علمًا منه بأن نقض هذا العهد أولى من الوفاء به، لأن سؤاله ربه أولى من ترك السؤال مراعاة للقسم، وقد قال ﷺ: **«من حلف على يمينٍ فرأى خيرًا منها، فليكفر على يمينه، وليأت الذي هو خير»** فعمل هذا العبد على وفق هذا الخبر، والتكفير قد ارتفع عنه في الآخرة.

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: في هذا الحديث من الفوائد: جواز مخاطبة الشخص بما لا تدرك حقيقته، وجواز التعبير عن ذلك بما يفهمه، وأن الأمور التي في الآخرة لا تشبه بما في الدنيا إلا في الأسماء والأصل مع المبالغة في تفاوت الصفة والاستدلال على العلم الضروري بالنظري، وأن الكلام إذا كان محتملاً لأمرين يأتي المتكلم بشيءٍ يتخصص به مراده عند السامع، وأن التكليف لا ينقطع إلا بالاستقرار في الجنة أو النار، وأن امتثال الأمر في الموقف يقع بالاضطرار.

وفيه: فضيلة الإيمان لأنه لما تلبس به المنافق ظاهرًا بقيت عليه حرمته إلى أن وقع التمييز بإطفاء النور وغير ذلك، وأن الصراط مع دقته وحدته يسع جميع المخلوقين منذ آدم إلى قيام الساعة.

وفيه: أن النار مع عظمها وشدتها لا تتجاوز الحد الذي أمرت بإحراقه، والآدمي مع حقارة

جرمه يقدم على المخالفة ففيه معنًى شديد من التوبيخ وهو كقوله تعالى في وصف الملائكة: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وفيه: إشارة إلى توبيخ الطغاة والعصاة.

وفيه: فضل الدعاء وقوة الرجاء في إجابة الدعوة ولو لم يكن الداعي أهلاً لذلك في ظاهر الحكم لكن فضل الكريم واسع.

وفي قوله في آخره في بعض طرقه «ما أغدرك»: إشارة إلى أن الشخص لا يوصف بالفعل الذميم إلا بعد أن يتكرر ذلك منه.

وفيه: إطلاق اليوم على جزء منه لأن يوم القيامة في الأصل يوم واحد وقد أطلق اسم اليوم على كثير من أجزائه.

وفيه: جواز سؤال الشفاعة خلافًا لمن منع محتجا بأنها لا تكون إلا لمذنبٍ.

قال عياض: وفات هذا القائل أنها قد تقع في دخول الجنة بغير حساب وغير ذلك، كما تقدم بيانه، مع أن كل عاقل معترف بالتقصير، فيحتاج إلى طلب العفو عن تقصيره، وكذا كل عامل يخشى أن لا يقبل عمله فيحتاج إلى الشفاعة في قبوله.

قال: ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة ولا بالرحمة وهو خلاف ما درج عليه السلف في أدعيتهم. وفي الحديث أيضًا: تكليف ما لا يطاق لأن المنافقين يؤمرون بالسجود وقد منعوا منه، كذا قيل وفيه نظرٌ لأن الأمر حينئذٍ للتعجيز والتبكيت.

وفيه: إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، قال الطيبي: وقول من أثبت الرؤية ووكل علم حقيقتها إلى الله فهو الحق، وكذا قول من فسر الإتيان بالتجلي هو الحق لأن ذلك قد تقدمه قوله: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر» وزيد في تقرير ذلك وتأكيده وكل ذلك يدفع المجاز عنه والله أعلم.

واستدل به بعض السالمية ونحوهم على أن المنافقين وبعض أهل الكتاب يرون الله مع المؤمنين، وهو غلطٌ لأن في سياق حديث أبي سعيد أن المؤمنين يرونه سبحانه وتعالى بعد رفع رءوسهم من السجود وحينئذٍ يقولون أنت ربنا، ولا يقع ذلك للمنافقين ومن ذكر معهم، وأما الرؤية التي اشترك فيها الجميع قبل فقد تقدم أنه صورة الملك وغيره.

قلت: ولا مدخل أيضًا لبعض أهل الكتاب في ذلك لأن في بقية الحديث أنهم يخرجون من المؤمنين ومن معهم ممن يظهر الإيمان، ويقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ وأنهم يتساقطون في النار،

وكل ذلك قبل الأمر بالسجود.

وفيه: أن جماعةً من مذنبي هذه الأمة يعذبون بالنار ثم يخرجون بالشفاعة والرحمة خلافًا لمن نفى ذلك عن هذه الأمة وتأول ما ورد بضروبٍ متكلفة، والنصوص الصريحة متضافرة متظاهرة بثبوت ذلك، وأن تعذيب الموحدين بخلاف تعذيب الكفار لاختلاف مراتبهم من أخذ النار بعضهم إلى ساقه وأنها لا تأكل أثر السجود، وأنهم يموتون فيكون عذابهم إحراقهم وحبسهم عن دخول الجنة سريعًا كالمسجونين، بخلاف الكفار الذين لا يموتون أصلًا ليذوقوا العذاب ولا يحيون حياة يستريحون بها، على أن بعض أهل العلم أول ما وقع في حديث أبي سعيد من قوله: يموتون فيها إماتة بأنه ليس المراد أن يحصل لهم الموت حقيقة وإنما هو كناية عن غيبة إحساسهم، وذلك للرفق بهم، أو كنى عن النوم بالموت وقد سمى الله النوم وفاة، ووقع في حديث أبي هريرة أنهم إذا دخلوا النار ماتوا، فإذا أراد الله إخراجهم أمسهم ألم العذاب تلك الساعة.

قال: وفيه ما طبع عليه الآدمي من قوة الطمع وجودة الحيلة في تحصيل المطلوب، فطلب أولاً أن يبعد من النار ليحصل له نسبة لطيفة بأهل الجنة، ثم طلب الدنو منهم وقد وقع في بعض طرقه طلب الدنو من شجرة بعد شجرة إلى أن طلب الدخول، ويؤخذ منه أن صفات الآدمي التي شرف بها على الحيوان تعود له كلها بعد بعثه كالفكر والعقل وغيرهما، انتهى ملخصًا مع زيادات في غضون كلامه والله المستعان.

* * *

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟»** قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»** قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟»** قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ**

تخطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ ، وَقَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ : لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ : لاَ وَعِزَّتِكَ ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلْ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ : تَمَنَّهْ فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى ، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ذَلِكَ لَكَ ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ» .

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ : وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا ، حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ : «وَمِثْلُهُ مَعَهُ» .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ» يَا أَبَا هُرَيْرَةَ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ : «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : «أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ : ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ» .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : «وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ» [١] .

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب باب معرفة طريق الرؤية، حديث (١٨٢).

الشرح [(١)]:

قوله ﷺ: (هل تضارون في القمر ليلة البدر؟) وفي الرواية الأخرى: (هل تضامون)، وروى (تضارون) بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمةٍ أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر؟ ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضير؟ وهو الضرر وروي أيضًا (تضامون) بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد: هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته؟ ومعنى المخفف: هل يلحقكم ضيم - وهو المشقة والتعب -؟.

قال القاضي عياض - رحمه الله -: وقال فيه بعض أهل اللغة: تضارون أو تضامون بفتح التاء وتشديد الراء والميم، وأشار القاضي بهذا إلى أن غير هذا القائل يقولهما بضم التاء سواء شدد أو خفف، وكل هذا صحيح ظاهر المعنى، وفي رواية للبخاري (لا تضامون أو لا تضارون) على الشك ومعناه: لا يشتبه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضًا في رؤيته. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فإنكم ترونه كذلك) معناه: تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف.

قوله: (الطواغيت) هو جمع طاغوت، قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى، وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي وغيرهم: الطاغوت: الشيطان، وقيل: هو الأصنام.

قال الواحدي: الطاغوت يكون واحدًا وجمعًا ويؤنث ويذكر، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فهذا في الواحد، وقال تعالى في الجمع: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ وقال في المؤنث: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧] قال الواحدي: ومثله من الأسماء: الفلك يكون واحدًا وجمعًا ومذكرًا أو مؤنثًا، قال النحويون: وزنه (فعلوت) والتاء زائدة، وهو مشتق من طغى، وتقديره طغووت ثم قلبت الواو ألفًا. والله أعلم.

وقوله ﷺ: (وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها) قال العلماء: إنما بقوا في زمرة المؤمنين، لأنهم كانوا في الدنيا متسترين بهم فيتسترون بهم أيضًا في الآخرة وسلكوا مسلكهم ودخلوا في جملتهم وتبعوهم ومشوا في نورهم، حتى ضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٤٧).

العذاب، وذهب عنهم نور المؤمنين، قال بعض العلماء: هؤلاء هم المطرودون عن الحوض الذين يقال لهم: سحقًا سحقًا. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه) اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين:

أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنًى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضة في العلم، فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ: (فيأتيهم الله) أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه؛ لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان، فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازًا، وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتيانًا، وقيل: المراد (يأتيهم الله) أي: يأتيهم بعض ملائكة الله.

قال القاضي عياض - رحمه الله -: هذا الوجه أشبه عندي بالحديث، قال: ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق، قال: أو يكون معناه: يأتيهم الله في صورة، أي: يأتيهم بصورةٍ ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم، وهذا آخر امتحان المؤمنين، فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة: (أنا ربكم) رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم، ويستعيذون بالله منه.

وأما قوله ﷺ: (فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون) فالمراد بالصورة هنا الصفة، ومعناه: فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها، وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لأنهم يرونه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، وقد علموا أنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، فيعلمون أنه ربهم فيقولون: أنت ربنا، وإنما عبر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام فإنه تقدم ذكر الصورة.

وأما قولهم: (نعوذ بالله منك) فقال الخطابي: يحتمل أن تكون هذه الاستعاذة من المنافقين خاصة، وأنكر القاضي عياض هذا وقال: لا يصح أن تكون من قول المنافقين ولا يستقيم الكلام به، وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب، ولفظ الحديث مصرح به أو ظاهر فيه وإنما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا سمات المخلوق.

وأما قوله ﷺ: (فيتبعونه) فمعناه يتبعون أمره إياهم بذهابهم إلى الجنة أو يتبعون ملائكته الذين يذهبون بهم إلى الجنة. والله أعلم.

قوله ﷺ: (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم) هو بفتح الظاء وسكون الهاء ومعناه: يمد الصراط عليها، وفي هذا إثبات الصراط، ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف على إثباته. وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي: منازلهم، والآخرون يسقطون فيها، أعاذنا الله الكريم منها، وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون: إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري رضي الله عنه هنا في روايته الأخرى المذكورة في الكتاب. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فأكون أنا وأمتي أول من يجيز) هو بضم الياء وكسر الجيم والزاي آخره ومعناه: يكون أول من يمضي عليه ويقطعه يقال: أجزت الوادي وجزته لغتان بمعنًى واحد، وقال الأصمعي: أجزته قطعته، وجزته مشيت فيه. والله أعلم.

قوله ﷺ: (ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل) معناه لشدة الأهوال والمراد لا يتلكم في حال الإجازة، وإلا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها، وتجادل كل نفس عن نفسها، ويسأل بعضهم بعضًا ويتلاومون، ويخاصم التابعون المتبوعين. والله أعلم.

قوله ﷺ: (ودعوى الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم) هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن فيدعى في كل موطن بما يليق به. والله أعلم.

قوله ﷺ: (وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) أما (الكلاليب) فجمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور، قال صاحب المطالع: هي خشبة في رأسها عقافة حديد، وقد تكون حديدًا كلها ويقال لها أيضًا: كلاب. وأما السعدان فبفتح السين وإسكان العين المهملة وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.

قوله ﷺ: (تخطف الناس بأعمالهم) هو بفتح الطاء ويجوز كسرها، يقال: خطف وخطف بكسر الطاء وفتحها والكسر أفصح، ويجوز أن يكون معناه: تخطفهم بسبب أعمالهم، ويجوز أن

يكون معناه : تخطفهم على قدر أعمالهم . والله أعلم .

قوله ﷺ : (فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى) أما الأول : فذكر القاضي عياض - رحمه الله - أنه روي على ثلاثة أوجه :

أحدها : (المؤمن يقي بعمله) بالميم والنون وبقي بالياء والقاف .

والثاني : الموثق بالمثلثة والقاف .

والثالث : الموبق يعني : بعمله فالموبق بالباء الموحدة والقاف ويعنى : بفتح الياء المثناة وبعدها العين ثم النون قال القاضي هذا أصحها ، وكذا قال صاحب المطالع : هذا الثالث هو الصواب .

قال وفي (يقي) على الوجه الأول ضبطان :

أحدهما : بالباء الموحدة .

والثاني : بالياء المثناة من تحت من الوقاية .

قلت : والموجود في معظم الأصول ببلادنا هو الوجه الأول وأما قوله ﷺ : (ومنهم المجازى) فضبطناه بالجيم والزاي من المجازاة وهكذا هو في أصول بلادنا في هذا الموضع ، وذكر القاضي عياض - رحمه الله - في ضبطه خلافًا فقال : رواه العذري وغيره (المجازى) كما ذكرناه ، ورواه بعضهم (المخردل) بالخاء المعجمة والدال واللام ، ورواه بعضهم في البخاري (المجردل) بالجيم . فأما الذي بالخاء فمعناه : المقطع أي : بالكلاليب يقال : خردلت اللحم أي قطعته ، وقيل : خردلت بمعنى صرعت ، ويقال بالذال المعجمة أيضًا ، والجردلة بالجيم : الإشراف على الهلاك والسقوط .

قوله ﷺ : (تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود) ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة التي يسجد الإنسان عليها وهي : الجبهة واليدان والركبتان والقدمان ، وهكذا قاله بعض العلماء ، وأنكره القاضي عياض - رحمه الله - وقال : المراد بأثر السجود الجبهة خاصة .

والمختار : الأول ، فإن قيل قد ذكر مسلم بعد هذا مرفوعًا أن قومًا يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات الوجوه ، فالجواب : أن هؤلاء القوم مخصوصون من جملة الخارجين من النار بأنه لا يسلم منهم من النار إلا دارات الوجوه ، وأما غيرهم فيسلم جميع أعضاء السجود منهم عملاً بعموم هذا الحديث ، فهذا الحديث عام وذلك خاص فيعمل بالعام إلا ما خص . والله أعلم .

قوله ﷺ: (فيخرجون من النار قد امتحشوا) هو بالحاء المهملة والشين المعجمة وهو بفتح التاء والحاء هكذا هو في الروايات، وكذا نقله القاضي عياض - رحمه الله - عن متقني شيوخهم، قال: وهو وجه الكلام وبه ضبطه الخطابي والهروي، وقالوا في معناه احترقوا. قال القاضي: ورواه بعض شيوخنا بضم التاء وكسر الحاء. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل) هكذا هو في الأصول (فينبتون منه) بالميم والنون، وهو صحيح ومعناه: ينبتون بسببه. وأما (الحبة) فبكسر الحاء وهي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول وجمعها (حبب) بكسر الحاء المهملة وفتح الباء.

وأما (حميل السيل) فبفتح الحاء وكسر الميم، وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه: محمول السيل، والمراد: التشبيه في سرعة النبات، وحسنه، وطراوته.

قوله: (قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها) أما (قشبني) فبقافٍ مفتوحة ثم شين معجمة مخففة مفتوحة ومعناه: سمني وآذاني وأهلكني، كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب، وقال الداودي معناه: غير جلدي وصورتي.

وأما (ذكاؤها) فكذا وقع في جميع روايات الحديث (وذكاؤها) بالمد وهو بفتح الذال المعجمة ومعناه: لهبها واشتعالها وشدة وهجها، والأشهر في اللغة ذكاها مقصور، وذكر جماعات أن المد والقصر لغتان يقال: ذكت النار تذكو ذكًا إذا اشتعلت، وأذكيتها أنا. والله أعلم.

قوله عز وجل: (هل عسيت) هو بفتح التاء على الخطاب، ويقال: بفتح السين وكسرها لغتان وقرئ بهما في السبع، قرأ نافع بالكسر والباقون بالفتح وهو الأفصح الأشهر في اللغة، قال ابن السكيت: ولا ينطق في عسيت بمستقبلٍ.

قوله ﷺ: (فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير) أما (الخير) فبالخاء المعجمة والياء المثناة تحت، هذا هو الصحيح المعروف في الروايات والأصول، وحكى القاضي عياض - رحمه الله -: أن بعض الرواة في مسلم رواه (الحبر) بفتح الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة ومعناه السرور، قال صاحب المطالع: كلاهما صحيح قال: والثاني أظهر، ورواه البخاري [1]: (الحبرة والسرور) والحبرة: المسرة. وأما (انفهقت) فبفتح الفاء والهاء والقاف ومعناه انفتحت واتسعت.

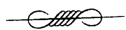
---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، برقم (٧٤٣٨).

قوله : (فلا يزال يدعو الله تعالى حتى يضحك الله تعالى منه) قال العلماء : ضحك الله تعالى منه هو رضاه بفعل عبده ومحبته إياه وإظهار نعمته عليه وإيجابها عليه . والله أعلم .

قوله ﷺ : (فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله تعالى ليذكره من كذا وكذا) معناه يقول له تمن من الشيء الفلاني ، ومن الشيء الآخر يسمي له أجناس ما يتمنى ، وهذا من عظيم رحمته سبحانه وتعالى .

قوله في رواية أبي هريرة : (لك ذلك ومثله معه) وفي رواية أبي سعيد (وعشرة أمثاله) ، قال العلماء : وجه الجمع بينهما أن النبي ﷺ أعلم أولاً بما في حديث أبي هريرة ثم تكرم الله تعالى فزاد ما في رواية أبي سعيد فأخبر به النبي ﷺ ولم يسمعه أبو هريرة .



يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ عَطَاءِ ابْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (وعن أبي هريرة) هو معطوفٌ على الإسناد الأول، وجزم الكرماني بأنه تعليقٌ بصيغة التمريض فأخطأ، فإن الحديثين ثابتان في نسخة همام بالإسناد المذكور. وقد أخرج البخاري هذا الثاني من رواية عبد الرزاق بهذا الإسناد في أحاديث الأنبياء.

قوله: (يحتثي) بإسكان المهملة وفتح المثناة بعدها مثلثة والحثية هي الأخذ باليد. ووقع في رواية القابسي عن أبي زيد «يحتثن» بنونٍ في آخره بدل الياء.

قوله: (لا غنى) القصر بلا تنوينٍ ورويناه بالتنوين أيضًا على أن «لا» بمعنى ليس.

قوله: (ورواه إبراهيم) هو ابن طهمان وروايته موصولة بهذا الإسناد عند النسائي والإسماعيلي قال ابن بطالٍ: وجه الدلالة من حديث أيوب أن الله تعالى عاتبه على جمع الجراد ولم يعاتبه على الاغتسال عريانًا فدل على جوازه. وسيأتي بقية الكلام عليه في أحاديث الأنبياء أيضًا.

* * *

(٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ» [٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الغسل، باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة....، حديث (٢٧٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٣٨٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾، حديث (٣٣٩١).

الشرح [١]:

قوله: (بينا أيوب) أصل «بينا» بين أشبعت الفتحة، ويغتسل خبر المبتدأ والجملة في محل الجر بإضافة بين إليه والعامل «خر عليه» أو هو مقدرٌ وخر مفسرٌ له، ووقع عند أحمد وابن حبان [٢] من طريق بشير بن نهيكٍ عن أبي هريرة «لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادًا من ذهبٍ».

قوله: (عريانًا) تقدم القول فيه في كتاب الغسل.

قوله: (خر عليه) أي سقط عليه.

وقوله: (رجل جرادٍ) أي جماعة جرادٍ، والجراد اسم جمعٍ واحده جرادةٌ كتمرٍ وتمرةٍ، وحكى ابن سيده أنه يقال للذكر جرادٌ وللأنثى جرادةٌ.

قوله: (يحثي) بالمثلثة أي يأخذ بيديه جميعًا، وفي رواية بشير بن نهيكٍ «يلتقط».

قوله: (في ثوبه) في حديث ابن عباسٍ عند ابن أبي حاتمٍ **«فجعل أيوب ينشر طرف ثوبه فيأخذ الجراد فيجعله فيه فكلما امتلأت ناحيةٌ نشر ناحيةً»**.

قوله: (فناداه ربه) يحتمل أن يكون بواسطةٍ أو بإلهامٍ، ويحتمل أن يكون بغير واسطةٍ.

قوله: (قال: بلى) أي أغنيتني.

قوله: (ولكن لا غنى لي) بالقصر بغير تنوينٍ وخبر «لا» قوله: «لي» أو قوله: «عن بركتك»، وفي رواية بشير بن نهيكٍ «فقال: ومن يشبع من رحمتك» أو قال: «من فضلك». وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه، وفيه: تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركةً، وفيه فضل الغني الشاكر، وسيأتي بقية مباحث هذه الخصلة الأخيرة في الرقاق إن شاء الله تعالى.

واستنبط منه الخطابي جواز أخذ النثار في الأملاك، وتعقبه ابن التين فقال: هو شيءٌ خص الله به نبيه أيوب، وهو بخلاف النثار فإنه من فعل الآدمي فيكره لما فيه من السرف، ورد عليه بأنه أذن فيه من قبل الشارع إن ثبت الخبر، ويستأنس فيه بهذه القصة والله أعلم.

(تنبيهٌ): لم يثبت عند البخاري في قصة أيوب شيءٌ، فاكتفى بهذا الحديث الذي على شرطه. وأصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتمٍ وابن جريجٍ وصححه ابن حبان والحاكم [٣] من

(١) فتح الباري (٦/ ٤٢٠).
(٢) أخرجه أحمد برقم (٧٩٧٨)، وابن حبان (١٤/ ١٢٢)، برقم (٦٢٣٠).
(٣) أخرجه ابن حبان (٧/ ١٥٧-١٥٨)، برقم (٢٨٩٨)، والحاكم (٢/ ٦٣٥)، برقم (٤١١٥).

طريق نافع بن يزيد عن عقيلٍ عن الزهري عن أنسٍ «أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنةً، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبًا عظيمًا وإلا لكشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، يعني فحزن ودعا الله حينئذٍ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فضرب برجله الأرض فنبعت عينٌ فاغتسل منها فرجع صحيحًا، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو، وكان له أندران: أحدهما: للقمح. والآخر: للشعير، فبعث الله له سحابةً فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض».

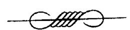
وروى ابن أبي حاتم نحوه من حديث ابن عباسٍ وفيه «فكساه الله حلةً من حلل الجنة، فجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت: يا عبد الله هل أبصرت المبتلى الذي كان هنا، فلعل الذئاب ذهبت به؟ فقال: ويحك أنا هو» وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبيد بن عميرٍ نحو حديث أنسٍ، وفي آخره «قال: فسجد وقال: وعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني فكشف عنه» وعن الضحاك عن ابن عباسٍ «رد الله على امرأته شبابها حتى ولدت له ستةً وعشرين ولدًا ذكرًا» وذكر وهب بن منبهٍ ومحمد بن إسحاق في «المبتدأ» قصةً مطولةً جدا وحاصلها أنه كان بحوران، وكان له البثنية سهلها وجبلها، وله أهلٌ ومالٌ كثيرٌ وولدٌ، فسلب ذلك كله شيئًا فشيئًا وهو يصبر ويحتسب، ثم ابتلي في جسده بأنواعٍ من البلاء حتى ألقي خارجًا من البلد، فرفضه الناس إلا امرأته، فبلغ من أمرها أنها كانت تخدم بالأجرة وتطعمه إلى أن تجنبها الناس خشية العدوى فباعت إحدى ضفيرتها من بعض بنات الأشراف وكانت طويلةً حسنةً فاشترت له به طعامًا طيبًا، فلما أحضرته له حلف أن لا يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك، فكشفت عن رأسها، فاشتد حزنه وقال حينئذٍ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فعافاه الله تعالى، وروى ابن أبي حاتمٍ عن مجاهدٍ أن أيوب أول من أصابه الجدري.

ومن طريق الحسن أن إبليس أتى امرأته فقال لها: إنْ أَكَلَ أيوبُ ولم يُسَمِّ عوفي فعرضت ذلك على أيوب فحلف ليضربنها مائةً، فلما عوفي أمره الله أن يأخذ عرجونًا فيه مائة شمراخٍ فضربها ضربةً واحدةً، وقيل: بل قعد إبليس على الطريق في صورة طبيبٍ فقال لها: إذا داويته فقال أنت شفيتني قنعت بذلك، فعرضت ذلك عليه فغضب وكان ما كان.

وذكر الطبري أن اسمها ليا بنت يعقوب، وقيل: رحمة بنت يوسف بن يعقوب، وقيل: بنت إفرائيم أو ميشا بن يوسف، وأفاد ابن خالويه أنه يقال لها أم زيدٍ واختلف في مدة بلائه فقيل ثلاث عشرة سنةً كما تقدم، وقيل ثلاث سنين وهذا قول وهبٍ، وقيل: سبع سنين وهو عن الحسن

وقتادة، وقيل: إن امرأته قالت له: ألا تدعو الله ليعافيك فقال: قد عشت صحيحًا سبعين سنةً أفلا أصبر سبع سنين؟ والصحيح ما تقدم أنه لبث في بلائه ثلاث عشرة سنةً.

وروى الطبري أن مدة عمره كانت ثلاثًا وتسعين سنةً فعلى هذا فيكون عاش بعد أن عوفي عشر سنين، والله أعلم.



كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟

(٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

الشرح (٢):

قوله: (يتعاقبون) أي: تأتي طائفةٌ عقب طائفةٍ، ثم تعود الأولى عقب الثانية.

قال ابن عبد البر: وإنما يكون التعاقب بين طائفتين أو رجلين بأن يأتي هذا مرةً ويعقبه هذا، ومنه تعقيب الجيوش أن يجهز الأمير بعثًا إلى مدةٍ ثم يأذن لهم في الرجوع بعد أن يجهز غيرهم إلى مدةٍ، ثم يأذن لهم في الرجوع بعد أن يجهز الأولين.

قال القرطبي: الواو في قوله: «يتعاقبون» علامة الفاعل المذكر المجموع على لغة بلحارث وهم القائلون أكلوني البراغيث، ومنه قول الشاعر بحوران يعصرن السليط أقاربه وهي لغةٌ فاشيةٌ وعليها حمل الأخفش قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] قال: وقد تعسف بعض النحاة في تأويلها وردها للبدل، وهو تكلفٌ مستغنًى عنه، فإن تلك اللغة مشهورةٌ ولها وجهٌ من القياس واضحٌ.

وقال غيره في تأويل الآية: قوله: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ [الأنبياء: ٣] عائدٌ على الناس المذكورين أولاً و ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] بدلٌ من الضمير. وقيل: التقدير أنه لما قيل: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ [الأنبياء: ٣] قيل: من هم؟ قال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] حكاه الشيخ محيي الدين، والأول أقرب إذ الأصل عدم التقدير. وتوارد جماعةٌ من الشراح على أن حديث الباب من هذا القبيل، ووافقهم ابن مالكٍ وناقشه أبو حيان زاعمًا أن هذه الطريق اختصرها الراوي، واحتج لذلك بما رواه البزار من وجهٍ آخر عن أبي هريرة بلفظ: «إن لله ملائكةً يتعاقبون فيكم: ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار» الحديث، وقد سومح في العزو إلى مسند البزار مع أن هذا الحديث بهذا اللفظ في الصحيحين فالعزو إليهما أولى، وذلك أن هذا الحديث رواه عن أبي الزناد مالكٌ في الموطأ (٣) ولم يختلف

---

(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث (٥٥٥).

(٢) فتح الباري (٢/ ٣٤).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: النداء، باب: جامع الصلاة، برقم (٤١٣).

عليه باللفظ المذكور وهو قوله «**يتعاقبون فيكم**» وتابعه على ذلك عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أخرجه سعيد بن منصورٍ عنه، وقد أخرجه البخاري في بدء الخلق [(١)] من طريق شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد بلفظ: «**الملائكة يتعاقبون: ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار**»، وأخرجه النسائي أيضًا من طريق موسى بن عقبة عن أبي الزناد بلفظ: «**إن الملائكة يتعاقبون فيكم**» فاختلف فيه على أبي الزناد، فالظاهر أنه كان تارةً يذكره هكذا وتارةً هكذا، فيقوي بحث أبي حيان، ويؤيد ذلك أن غير الأعرج من أصحاب أبي هريرة قد رووه تاما فأخرجه أحمد ومسلمٌ من طريق همام بن منبهٍ عن أبي هريرة مثل رواية موسى بن عقبة لكن بحذف «**إن**» من أوله، وأخرجه ابن خزيمة والسراج من طريق أبي صالحٍ عن أبي هريرة بلفظ: «**إن لله ملائكةً يتعاقبون**» وهذه هي الطريقة التي أخرجها البزار، وأخرجه أبو نعيمٍ في الحلية بإسنادٍ صحيحٍ من طريق أبي موسى عن أبي هريرة بلفظ: «**إن الملائكة فيكم يتعقبون**» وإذا عرف ذلك فالعزو إلى الطريق التي تتحد مع الطريق التي وقع القول فيها أولى من طريقٍ مغايرةٍ لها، فليعز ذلك إلى تخريج البخاري والنسائي من طريق أبي الزناد لما أوضحته. والله الموفق.

قوله: (فيكم) أي المصلين أو مطلق المؤمنين.

قوله: (ملائكة) قيل هم الحفظة نقله عياض وغيره عن الجمهور، وتردد ابن بزيزة، وقال القرطبي: الأظهر عندي أنهم غيرهم، ويقويه أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار، وبأنهم لو كانوا هم الحفظة لم يقع الاكتفاء في السؤال منهم عن حالة الترك دون غيرها في قوله: «**كيف تركتم عبادي**».

قوله: (ويجتمعون) قال الزين بن المنير: التعاقب مغاير للاجتماع، لكن ذلك منزل على حالين.

قلت: وهو ظاهر، وقال ابن عبد البر: الأظهر أنهم يشهدون معهم الصلاة في الجماعة، واللفظ محتمل للجماعة وغيرها، كما يحتمل أن التعاقب يقع بين طائفتين دون غيرهم، وأن يقع التعاقب بينهم في النوع لا في الشخص. قال عياض: والحكمة في اجتماعهم في هاتين الصلاتين من لطف الله تعالى بعباده وإكرامه لهم بأن جعل اجتماع ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة.

قلت: وفيه شيء، لأنه رجح أنهم الحفظة، ولا شك أن الذين يصعدون كانوا مقيمين عندهم مشاهدين لأعمالهم في جميع الأوقات، فالأولى أن يقال: الحكمة في كونه تعالى لا يسألهم إلا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، برقم (٣٢٢٣).

عن الحالة التي تركوهم عليها ما ذكر، ويحتمل أن يقال: إن الله تعالى يستر عنهم ما يعملونه فيما بين الوقتين، لكنه بناء على أنهم غير الحفظة. وفيه إشارة إلى الحديث الآخر «**إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما**» فمن ثم وقع السؤال من كل طائفة عن آخر شيء فارقوهم عليه.

قوله: (ثم يعرج الذين باتوا فيكم) استدل به بعض الحنفية على استحباب تأخير صلاة العصر ليقع عروج الملائكة إذا فرغ منها آخر النهار، وتعقب بأن ذلك غير لازم، إذ ليس في الحديث ما يقتضي أنهم لا يصعدون إلا ساعة الفراغ من الصلاة بل جائز أن تفرغ الصلاة ويتأخروا بعد ذلك إلى آخر النهار، ولا مانع أيضًا من أن تصعد ملائكة النهار وبعض النهار باقٍ وتقيم ملائكة الليل، ولا يرد على ذلك وصفهم بالمبيت بقوله: «**باتوا فيكم**» لأن اسم المبيت صادق عليهم ولو تقدمت إقامتهم بالليل قطعة من النهار.

قوله: (الذين باتوا فيكم) اختلف في سبب الاقتصار على سؤال الذين باتوا دون الذين ظلوا، فقيل: هو من باب الاكتفاء بذكر أحد المثلين عن الآخر كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩] أي وإن لم تنفع، وقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي والبرد، وإلى هذا أشار ابن التين وغيره.

ثم قيل: الحكمة في الاقتصار على ذلك أن حكم طرفي النهار يعلم من حكم طرفي الليل، فلو ذكره لكان تكرارًا.

ثم قيل: الحكمة في الاقتصار على هذا الشق دون الآخر أن الليل مظنة المعصية فلما لم يقع منهم عصيان - مع إمكان دواعي الفعل من إمكان الإخفاء ونحوه - واشتغلوا بالطاعة كان النهار أولى بذلك، فكان السؤال عن الليل أبلغ من السؤال عن النهار لكون النهار محل الاشتهار.

وقيل: الحكمة في ذلك أن ملائكة الليل إذا صلوا الفجر عرجوا في الحال، وملائكة النهار إذا صلوا العصر لبثوا إلى آخر النهار لضبط بقية عمل النهار، وهذا ضعيف، لأنه يقتضي أن ملائكة النهار لا يسألون عن وقت العصر، وهو خلاف ظاهر الحديث كما سيأتي. ثم هو مبني على أنهم الحفظة وفيه نظر لما سنبينه.

وقيل: بناه أيضًا على أنهم الحفظة أنهم ملائكة النهار فقط وهم لا يبرحون عن ملازمة بني آدم، وملائكة الليل هم الذين يعرجون ويتعاقبون، ويؤيده ما رواه أبو نعيم في «**كتاب الصلاة**» له من طريق الأسود بن يزيد النخعي قال: يلتقي الحارسان - أي ملائكة الليل وملائكة النهار - عند صلاة الصبح فيسلم بعضهم على بعض فتصعد ملائكة الليل وتلبث ملائكة النهار.

وقيل: يحتمل أن يكون العروج إنما يقع عند صلاة الفجر خاصةً، وأما النزول فيقع في

الصلاتين معًا، وفيه التعاقب، وصورته أن تنزل طائفة عند العصر وتبيت، ثم تنزل طائفة ثانية عند الفجر، فيجتمع الطائفتان في صلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فقط ويستمر الذين نزلوا وقت الفجر إلى العصر فتنزل الطائفة الأخرى حصل اجتماعهم عند العصر أيضًا ولا يصعد منهم أحد بل تبيت الطائفتان أيضًا ثم تعرج إحدى الطائفتين ويستمر ذلك فتصح صورة التعاقب مع اختصاص النزول بالعصر والعروج بالفجر، فلهذا خص السؤال بالذين باتوا، والله أعلم.

وقيل: إن قوله في هذا الحديث: **«ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر»** وهم لأنه ثبت في طرق كثيرة أن الاجتماع في صلاة الفجر من غير ذكر صلاة العصر كما في الصحيحين من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة في أثناء حديث قال فيه: **«وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»** قال أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء :٧٨] وفي الترمذي والنسائي [(١)] من وجه آخر بإسنادٍ صحيح عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء :٧٨] ، قال: **«تشهده ملائكة الليل والنهار»** وروى ابن مردويه من حديث أبي الدرداء مرفوعًا نحوه.

قال ابن عبد البر: ليس في هذا دفعٌ للرواية التي فيها ذكر العصر، إذ لا يلزم من عدم ذكر العصر في الآية والحديث الآخر عدم اجتماعهم في العصر لأن المسكوت عنه قد يكون في حكم المذكور بدليلٍ آخر، قال: ويحتمل أن يكون الاقتصار وقع في الفجر لكونها جهرية، وبحثه الأول متجه لأنه لا سبيل إلى ادعاء توهيم الراوي الثقة مع إمكان التوفيق بين الروايات، ولا سيما أن الزيادة من العدل الضابط مقبولة. ولم لا يقال: إن رواية من لم يذكر سؤال الذين أقاموا في النهار واقع من تقصير بعض الرواة، أو يحمل قوله: **«ثم يعرج الذين باتوا»** على ما هو أعم من المبيت بالليل والإقامة بالنهار، فلا يختص ذلك بليلٍ دون نهار ولا عكسه، بل كل طائفة منهم إذا صعدت سئلت، وغاية ما فيه أنه استعمل لفظ: **«بات»** في أقام مجازًا، ويكون قوله: **«فيسألهم»** أي كلا من الطائفتين في الوقت الذي يصعد فيه، ويدل على هذا الحمل رواية موسى بن عقبة عن أبي الزناد عند النسائي ولفظه: **«ثم يعرج الذين كانوا فيكم»** فعلى هذا لم يقع في المتن اختصار ولا اقتصار، وهذا أقرب الأجوبة.

وقد وقع لنا هذا الحديث من طريق أخرى واضحًا وفيه التصريح بسؤال كل من الطائفتين، وذلك فيما رواه ابن خزيمة في صحيحه وأبو العباس السراج جميعًا عن يوسف بن موسى عن جرير

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، برقم (٣١٣٥)، والنسائي، برقم (٤٨٦)، وصححه الألباني.

عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر، فيجتمعون في صلاة الفجر، فتصعد ملائكة الليل وتبيت ملائكة النهار، ويجتمعون في صلاة العصر فتصعد ملائكة النهار وتبيت ملائكة الليل، فيسألهم ربهم: كيف تركتم عبادي**» الحديث. وهذه الرواية تزيل الإشكال وتغني عن كثيرٍ من الاحتمالات المتقدمة، فهي المعتمدة، ويحمل ما نقص منها على تقصير بعض الرواة.

قوله: (فيسألهم) قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير، واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي وقد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم، وقال عياض: هذا السؤال على سبيل التعبد للملائكة كما أمروا أن يكتبوا أعمال بني آدم، وهو سبحانه وتعالى أعلم من الجميع بالجميع.

قوله: (كيف تركتم عبادي) قال ابن أبي جمرة. وقع السؤال عن آخر الأعمال لأن الأعمال بخواتيمها. قال: والعباد المسئول عنهم هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

قوله: (تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) لم يراعوا الترتيب الوجودي، لأنهم بدءوا بالترك قبل الإتيان، والحكمة فيه أنهم طابقوا السؤال لأنه قال: كيف تركتم؟ ولأن المخبر به صلاة العباد والأعمال بخواتيمها فناسب ذلك إخبارهم عن آخر عملهم قبل أوله، وقوله: «**تركناهم وهم**» ظاهره أنهم فارقوهم عند شروعهم في العصر سواء تمت أم منع مانع من إتمامها وسواء شرع الجميع فيها أم لا لأن المنتظر في حكم المصلي، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: «**وهم يصلون**» أي ينتظرون صلاة المغرب.

وقال ابن التين: الواو في قوله: «**وهم يصلون**» واو الحال أي تركناهم على هذه الحال، ولا يقال: يلزم منه أنهم فارقوهم قبل انقضاء الصلاة فلم يشهدوها معهم، والخبر ناطق بأنهم يشهدونها لأنا نقول: هو محمول على أنهم شهدوا الصلاة مع من صلاها في أول وقتها، وشهدوا من دخل فيها بعد ذلك، ومن شرع في أسباب ذلك.

(تنبية): استنبط منه بعض الصوفية أنه يستحب أن لا يفارق الشخص شيئًا من أموره إلا وهو على طهارة كشعره إذا حلقه وظفره إذا قلمه وثوبه إذا أبدله ونحو ذلك. وقال ابن أبي جمرة: أجابت الملائكة بأكثر مما سئلوا عنه، لأنهم علموا أنه سؤال يستدعي التعطف على بني آدم فزادوا في موجب ذلك.

قلت: ووقع في صحيح ابن خزيمة [١] من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في آخر هذا الحديث «**فاغفر لهم يوم الدين**».

قال: ويستفاد منه أن الصلاة أعلى العبادات؛ لأنه عنها وقع السؤال والجواب.

وفيه: الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرهما طائفة واحدة والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذٍ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله، والله أعلم.

ويترتب عليه حكمة الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما.

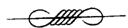
وفيه: تشريف هذه الأمة على غيرها، ويستلزم تشريف نبيها على غيره.

وفيه: الإخبار بالغيوب، ويترتب عليه زيادة الإيمان.

وفيه: الإخبار بما نحن فيه من ضبط أحوالنا حتى نتيقظ ونتحفظ في الأوامر والنواهي ونفرح في هذه الأوقات بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا.

وفيه: إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبا ونتقرب إلى الله بذلك.

وفيه: كلام الله تعالى مع ملائكته. وغير ذلك من الفوائد والله أعلم.



---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٦٥)، برقم (٣٢١).

هُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ

(٧) عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلاَءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلاً؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس) ظاهره أن بقاء هذه الأمة وقع في زمان الأمم السالفة، وليس ذلك المراد قطعًا، وإنما معناه أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار، فكأنه قال: إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف إلخ، وحاصله أن «في» بمعنى إلى، وحذف المضاف وهو لفظ: «نسبة». وقد أخرج المصنف هذا الحديث وكذا حديث أبي موسى الآتي بعده في أبواب الإجارة، ويقع استيفاء الكلام عليهما هناك إن شاء الله تعالى، والغرض هنا بيان مطابقتهما للترجمة والتوفيق بين ما ظاهره الاختلاف منهما.

قوله: (أوتي أهل التوراة التوراة) ظاهره أن هذا كالشرح والبيان لما تقدم من تقدير مدة الزمانين، وقد زاد المصنف من رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر في فضائل القرآن هنا «وأن مثلكم ومثل اليهود والنصارى إلخ» وهو يشعر بأنهما قضيتان.

قوله: (قيراطًا قيراطًا) كرر قيراطًا ليدل على تقسيم القراريط على العمال، لأن العرب إذا أرادت تقسيم الشيء على متعدد كررته كما يقال: اقسم هذا المال على بني فلان درهمًا درهمًا، لكل واحد درهم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل غروب الشمس، حديث (٥٥٧).

(٢) فتح الباري (٢/ ٣٩).

قوله في حديث ابن عمر : (عجزوا) قال الداودي : هذا مشكل، لأنه إن كان المراد من مات منهم مسلمًا فلا يوصف بالعجز لأنه عمل ما أمر به، وإن كان من مات بعد التغيير والتبديل فكيف يعطى القيراط من حبط عمله بكفره؟ وأورده ابن التين قائلاً : قال بعضهم ولم ينفصل عنه وأجيب بأن المراد من مات منهم مسلمًا قبل التغيير والتبديل، وعبر بالعجز لكونهم لم يستوفوا عمل النهار كله وإن كانوا قد استوفوا عمل ما قدر لهم، فقوله : «عجزوا» أي عن إحراز الأجر الثاني دون الأول، لكن من أدرك منهم النبي ﷺ وآمن به أعطي الأجر مرتين كما سبق مصرحًا به في كتاب الإيمان.

قال المهلب ما معناه : أورد البخاري حديث ابن عمر وحديث أبي موسى في هذه الترجمة ليدل على أنه قد يستحق بعمل البعض أجر الكل، مثل الذي أعطي من العصر إلى الليل أجر النهار كله، فهو نظير من يعطى أجر الصلاة كلها ولو لم يدرك إلا ركعة، وبهذا تظهر مطابقة الحديثين للترجمة.

قلت : وتكملة ذلك أن يقال : إن فضل الله الذي أقام به عمل ربع النهار مقام عمل النهار كله هو الذي اقتضى أن يقوم إدراك الركعة الواحدة من الصلاة الرباعية التي هي العصر مقام إدراك الأربع في الوقت، فاشتركا في كون كل منهما ربع العمل، وحصل بهذا التقرير الجواب عمن استشكل وقوع الجميع أداء مع أن الأكثر إنما وقع خارج الوقت، فيقال في هذا ما أجيب به أهل الكتابين : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة :٥٤] .

وقد استبعد بعض الشراح كلام المهلب ثم قال : هو منفك عن محل الاستدلال، لأن الأمة عملت آخر النهار فكان أفضل من عمل المتقدمين قبلها، ولا خلاف أن تقديم الصلاة أفضل من تأخيرها. ثم هو من الخصوصيات التي لا يقاس عليها، لأن صيام آخر النهار لا يجزئ عن جملته، فكذلك سائر العبادات.

قلت : فاستبعد غير مستبعدٍ، وليس في كلام المهلب ما يقتضي أن إيقاع العبادة في آخر وقتها أفضل من إيقاعها في أوله. وأما إجزاء عمل البعض عن الكل فمن قبيل الفضل، فهو كالخصوصية سواءً.

وقال ابن المنير : يستنبط من هذا الحديث أن وقت العمل ممتد إلى غروب الشمس، وأقرب الأعمال المشهورة بهذا الوقت صلاة العصر، قال : فهو من قبيل الإشارة لا من صريح العبارة، فإن الحديث مثال، وليس المراد العمل الخاص بهذا الوقت، بل هو شامل لسائر الأعمال من الطاعات في بقية الإمهال إلى قيام الساعة. وقد قال إمام الحرمين : إن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال.

قلت: وما أبداه مناسبٌ لإدخال هذا الحديث في أبواب أوقات العصر لا لخصوص الترجمة وهي «من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب» بخلاف ما أبداه المهلب وأكملناه، وأما ما وقع من المخالفة بين سياق حديث ابن عمر وحديث أبي موسى فظاهرهما أنهما قضيتان، وقد حاول بعضهم الجمع بينهما فتعسف.

وقال ابن رشيد ما حاصله: إن حديث ابن عمر ذكر مثالاً لأهل الأعذار لقوله: «فعجزوا» فأشار إلى أن من عجز عن استيفاء العمل من غير أن يكون له صنيع في ذلك أن الأجر يحصل له تاما فضلاً من الله.

قال: وذكر حديث أبي موسى مثالاً لمن أخر بغير عذر، وإلى ذلك الإشارة بقوله عنهم: (لا حاجة لنا إلى أجرك) فأشار بذلك إلى أن من أخر عامدًا لا يحصل له ما حصل لأهل الأعذار.

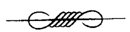
قوله في حديث أبي موسى: (فقال: أكملوا) كذا للأكثر بهمزة قطعٍ وبالكاف وكذا وقع في الإجازة. ووقع هنا للكشميهني «اعملوا» بهمزة وصلٍ وبالعين.

قوله في حديث ابن عمر: (ونحن كنا أكثر عملاً) تمسك به بعض الحنفية كأبي زيد في كتاب الأسرار إلى أن وقت العصر من مصير ظل كل شيء مثليه، لأنه لو كان من مصير ظل كل شيء مثله لكان مساويًا لوقت الظهر، وقد قالوا: (كنا أكثر عملاً) فدل على أنه دون وقت الظهر.

وأجيب بمنع المساواة، وذلك معروف عند أهل العلم بهذا الفن، وهو أن المدة التي بين الظهر والعصر أطول من المدة التي بين العصر والمغرب، وأما ما نقله بعض الحنابلة من الإجماع على أن وقت العصر ربع النهار فمحمول على التقريب إذا فرغنا على أن أول وقت العصر مصير الظل مثله كما قال الجمهور.

وأما على قول الحنفية، فالذي من الظهر إلى العصر أطول قطعًا، وعلى التنزل لا يلزم من التمثيل والتشبيه، التسوية من كل جهة، وبأن الخبر إذا ورد في معنًى مقصودٍ لا تؤخذ منه المعارضة لما ورد في ذلك المعنى بعينه مقصودًا في أمر آخر، وبأنه ليس في الخبر نص على أن كلا من الطائفتين أكثر عملاً لصدق أن كلهم مجتمعين أكثر عملاً من المسلمين، وباحتمال أن يكون أطلق ذلك تغليبًا، وباحتمال أن يكون ذلك قول اليهود خاصةً فيندفع الاعتراض من أصله كما جزم به بعضهم، وتكون نسبة ذلك للجميع في الظاهر غير مرادة بل هو عموم أريد به الخصوص أطلق ذلك تغليبًا، وبأنه لا يلزم من كونهم أكثر عملاً أن يكونوا أكثر زمانًا لاحتمال كون العمل في زمنهم كان أشق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومما يؤيد كون المراد كثرة العمل وقلته لا بالنسبة إلى طول الزمان وقصره كون أهل الأخبار متفقين على أن المدة التي بين عيسى ونبينا ﷺ دون المدة التي بين نبينا ﷺ وقيام الساعة؛ لأن جمهور أهل المعرفة بالأخبار قالوا: إن مدة الفترة بين عيسى ونبينا ﷺ ستمائة سنةٍ وثبت ذلك في صحيح البخاري [(١)] عن سلمان، وقيل إنها دون ذلك حتى جاء عن بعضهم أنها مائةٌ وخمسٌ وعشرون سنةً وهذه مدة المسلمين بالمشاهدة أكثر من ذلك، فلو تمسكنا بأن المراد التمثيل بطول الزمانين وقصرهما للزم أن يكون وقت العصر أطول من وقت الظهر ولا قائل به، فدل على أن المراد كثرة العمل وقلته، والله سبحانه وتعالى أعلم.



---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، برقم (٣٩٤٨).

مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟

(٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة :١٤٣] وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ» (١).

* * *

(٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة :١٤٣] وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ» (٢).

الشرح (٣):

قوله: (وقال أبو أسامة حدثنا أبو صالح) يعني قال أبو أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح. فأفاد تصريح الأعمش بالتحديث، وقد أخرجه في الاعتصام (٤) من وجه آخر عن أبي أسامة وصرح في روايته أيضًا بالتحديث، وسيأتي في رواية أبي أسامة مفردة في الاعتصام.

قوله: (يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم) زاد في الاعتصام «نعم يا رب».

قوله: (فيقول من يشهد لك) في الاعتصام فيقول: «من شهودك».

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١]، حديث (٣٣٣٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة :١٤٣]، حديث (٤٤٨٧).

(٣) فتح الباري (٨/ ١٧٢).

(٤) برقم (٧٣٤٩).

قوله: (فيشهدون) في الاعتصام «فجاء بكم فتشهدون» وقد روى هذا الحديث أبو معاوية عن الأعمش بهذا الإسناد أتم من سياق وأشمل ولفظه: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه أكثر من ذلك، قال فيقال لهم: أبلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبلغتهم؟ فيقول: نعم، فيقال: له: من يشهد لك؟» الحديث أخرجه أحمد عنه والنسائي وابن ماجه [(١)] والإسماعيلي من طريق أبي معاوية أيضًا.

قوله: (فيشهدون أنه قد بلغ) زاد أبو معاوية «فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه» ويؤخذ من حديث أبي بن كعب تعميم ذلك، فأخرج ابن أبي حاتم بسندٍ جيد عن أبي العالية عن أبي بن كعب في هذه الآية قال: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم.

قال أبو العالية: وهي قراءة أبي «لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة» ومن حديث جابر عن النبي ﷺ: «ما من رجلٍ من الأمم إلا ود أنه منا أيتها الأمة، ما من نبي كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة أن قد بلغ رسالة الله ونصح لهم».

قوله: (فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]) في الاعتصام «ثم قرأ رسول الله ﷺ».

قوله: (والوسط العدل) هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم، وسيأتي في الاعتصام بلفظ: «﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدلاً».

وأخرج الإسماعيلي من طريق حفص ابن غياث عن الأعمش بهذا السند في قوله: ﴿وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: عدلاً، كذا أورده مختصرًا مرفوعًا.

وأخرجه الطبري من هذا الوجه مختصرًا مرفوعًا، ومن طريق وكيع عن الأعمش بلفظ: «والوسط العدل» مختصرًا مرفوعًا [(٢)]، ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش مثله [(٣)].

وكذا أخرجه الترمذي والنسائي [(٤)] من هذا الوجه.

---

(١) أخرجه أحمد، برقم (١١١٦٤)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، برقم (٤٢٨٤).
(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٨).
(٣) انظر «تفسير الطبري» (٢/ ١٠).
(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة، برقم (٢٩٦١)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ٢٩٢)، برقم (١١٠٠٧)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح جامع الترمذي».

وأخرجه الطبري من طريق جعفر بن عون عن الأعمش مثله [١].

وأخرجه عن جماعة من التابعين كمجاهدٍ وعطاء وقتادة، ومن طريق العوفي عن ابن عباس مثله، قال الطبري: الوسط في كلام العرب الخيار، يقولون فلان وسط في قومه وواسط إذا أرادوا الرفع في حسبه.

قال: والذي أرى أن معنى الوسط في الآية الجزء الذي بين الطرفين، والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال.

قلت: لا يلزم من كون الوسط في الآية صالحًا لمعنى التوسط أن لا يكون أريد به معناه الآخر كما نص عليه الحديث، فلا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه معنى الآية والله أعلم.

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢/ ٧).

أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ

(١٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» (١).

* * *

(١١) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ: فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ» (٢).

الشرح (٣):

قوله: (عن زيد بن خالد الجهني) هكذا يقول صالح بن كيسان لم يختلف عليه في ذلك، وخالفه الزهري فرواه عن شيخهما عبيد الله فقال: عن أبي هريرة أخرجه مسلم عقب رواية صالح فصحح الطريقين (٤)، لأن عبيد الله سمع من زيد بن خالد وأبي هريرة جميعًا عدة أحاديث منها حديث العسيف وحديث الأمة إذا زنت، فلعله سمع هذا منهما فحدث به تارة عن هذا وتارة عن هذا، وإنما لم يجمعهما لاختلاف لفظهما كما سنشير إليه. وقد صرح صالح بسماعه له من عبيد الله عن أبي عوانة، وروى صالح عن عبيد الله بواسطة الزهري عدة أحاديث منها حديث ابن عباس في شاة ميمونة كما تقدم في الطهارة، وحديثه عنه في قصة هرقل كما تقدم في بدء الوحي.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، حديث (٨٤٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، حديث (١٠٣٨).

(٣) فتح الباري (٢/ ٥٢٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، برقم (٧١).

قوله: (صلى لنا) أي لأجلنا، أو اللام بمعنى الباء أي صلى بنا، وفيه جواز إطلاق ذلك مجازًا وإنما الصلاة لله تعالى.

قوله: (بالحديبية) بالمهملة والتصغير وتخفف ياؤها وتثقل، يقال سميت بشجرة حدباء هناك.

قوله: (على إثر) بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور وهو ما يعقب الشيء.

قوله: (سماء) أي مطر وأطلق عليه سماء لكونه ينزل من جهة السماء وكل جهة علو تسمى سماء.

قوله: (كانت من الليل) كذا للأكثر، وللمستملي والحموي «من الليلة» بالإفراد.

قوله: (فلما انصرف) أي من صلاته أو من مكانه.

قوله: (هل تدرون) لفظ استفهام معناه التنبيه، ووقع في رواية سفيان عن صالح عند النسائي **«ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة»** [(١)] وهذا من الأحاديث الإلهية وهي تحتمل أن يكون النبي ﷺ أخذها عن الله بلا واسطة أو بواسطةٍ.

قوله: (أصبح من عبادي) هذه إضافة عموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر بخلاف مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فإنها إضافة تشريف.

قوله: (مؤمن بي وكافر) يحتمل أن يكون المراد بالكفر هنا كفر الشرك بقرينة مقابلته بالإيمان، ولأحمد من رواية نصر بن عاصم الليثي عن معاوية الليثي مرفوعًا **«يكون الناس مجدبين فينزل الله عليهم رزقًا من السماء من رزقه فيصبحون مشركين يقولون: مطرنا بنوء كذا»** [(٢)] ويحتمل أن يكون المراد به كفر النعمة، ويرشد إليه قوله في رواية معمر عن صالح عن سفيان **«فأما من حمدني على سقياي وأثنى عليه فذلك آمن بي»** وفي رواية سفيان عند النسائي والإسماعيلي نحوه، وقال في آخره: **«وكفر بي»** أو قال: **«كفر نعمتي»** وفي رواية أبي هريرة عند مسلم: **«قال الله: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم كافرين بها»** [(٣)] وله في حديث ابن عباس **«أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر»** [(٤)] وعلى الأول حمله كثير من أهل العلم، وأعلى ما وقفت عليه من

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب: الاستسقاء، باب: كراهية الاستمطار بالكوكب، برقم (١٥٢٥)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٢) أخرجه أحمد، (١٥١٠٩)، وفيه معاوية الليثي: مضطرب الحديث.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، برقم (٧٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، برقم (٧٣).

ذلك كلام الشافعي، قال في «الأم»: من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ لأن النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا، ومن قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفرًا، وغيره من الكلام أحب إلي منه، يعني حسمًا للمادة، وعلى ذلك يحمل إطلاق الحديث، وحكى ابن قتيبة في «كتاب الأنواء» أن العرب كانت في ذلك على مذهبين على نحو ما ذكر الشافعي.

قال: ومعنى النوء سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر، قال: وهو مأخوذ من ناء إذا سقط، وقال آخرون: بل النوء طلوع نجم منها، وهو مأخوذ من ناء إذا نهض، ولا تخالف بين القولين في الوقت لأن كل نجم منها إذا طلع في المشرق وقع حال طلوعه آخر في المغرب لا يزال ذلك مستمرا إلى أن تنتهي الثمانية والعشرون بانتهاء السنة، فإن لكل واحد منها ثلاثة عشر يومًا تقريبًا، قال: وكانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما بصنعه على زعمهم وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفرًا، فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعًا في ذلك فكفره كفر تشريك، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشركٍ لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة لأنه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين الكفر والشرك واسطة، فيحمل الكفر فيه على المعنيين لتناول الأمرين، والله أعلم.

ولا يرد الساكت، لأن المعتقد قد يشكر بقلبه أو يكفر، وعلى هذا فالقول في قوله «فأما من قال» لما هو أعم من النطق والاعتقاد، كما أن الكفر فيه لما هو أعم من كفر الشرك وكفر النعمة، والله أعلم بالصواب.

قوله: (مطرنا بنوء كذا وكذا) في حديث أبي سعيد عند النسائي «مطرنا بنوء المجدح» [١] بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال بعدها مهملة ويقال بضم أوله هو الدبران بفتح المهملة والموحدة بعدها، وقيل سمي بذلك لاستدباره الثريا، وهو نجم أحمر صغير منير.

قال ابن قتيبة: كل النجوم المذكورة له نوء غير أن بعضها أحمر وأغزر من بعض، ونوء الدبران غير محمود عندهم، انتهى. وكأن ذلك ورد في الحديث تنبيهًا على مبالغتهم في نسبة المطر إلى النوء ولو لم يكن محمودًا، أو اتفق وقوع ذلك المطر في ذلك الوقت إن كانت القصة واحدة. وفي مغازي الواقدي أن الذي قال في ذلك الوقت «مطرنا بنوء الشعرى» [٢] هو عبد الله بن أبي

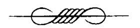
---

(١) أخرجه النسائي، كتاب: الاستسقاء، باب: كراهية الاستمطار بالكوكب، برقم (١٥٢٦) وقد ضعفه الألباني في ضعيف سنن النسائي.

(٢) أورده الزرقاني في «شرحه» (١/ ٥٤٨).

المعروف بابن سلول أخرجه من حديث أبي قتادة .

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم : طرح الإمام المسألة على أصحابه وإن كانت لا تدرك إلا بدقة النظر . ويستنبط منه : أن للولي المتمكن من النظر في الإشارة أن يأخذ منها عبارات ينسبها إلى الله تعالى ﷺ كذا قرأت بخط بعض شيوخنا ، وكأنه أخذه من استنطاق النبي ﷺ أصحابه عما قال ربهم وحمل الاستفهام فيه على الحقيقة ، لكنهم رضي الله عنهم فهموا خلاف ذلك ، ولهذا لم يجيبوا إلا بتفويض الأمر إلى الله ورسوله .



مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟

(١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (١).

الشرح (٢):

قوله: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) استدل به من أثبت الجهة وقال: هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك.

وقد اختلف في معنى النزول على أقوال:

فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة، تعالى الله عن قولهم.

ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلاً وإما عنادًا.

ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنًا به على طريق الإجمال منزهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم.

ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب.

ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف.

ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبًا مستعملاً في كلام العرب وبين ما يكون بعيدًا مهجورًا فأول في بعض وفوض في بعض، وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد، قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذٍ التفويض أسلم.

وقال ابن العربي: حكي عن المبتدعة رد هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، حديث (١١٤٥).
(٢) فتح الباري (٣/ ٣٠).

تأويلها وبه أقول. فأما قوله: «ينزل» فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة، انتهى.

والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكًا، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ: **«إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داعٍ فيستجاب له»** [1] الحديث. وفي حديث عثمان بن أبي العاص **«ينادي منادٍ هل من داعٍ يستجاب له»** الحديث.

قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني **«ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري»** لأنه ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور.

وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته، أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة.

قوله: (حين يبقى ثلث الليل الآخر) برفع الآخر لأنه صفة الثلث، ولم تختلف الروايات عن الزهري في تعيين الوقت، واختلفت الروايات عن أبي هريرة وغيره، قال الترمذي: رواية أبي هريرة أصح الروايات في ذلك، ويقوي ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها، وسلك بعضهم طريق الجمع وذلك أن الروايات انحصرت في ستة أشياء:

أولها: هذه.

ثانيها: إذا مضى الثلث الأول.

ثالثها: الثلث الأول أو النصف.

رابعها: النصف.

خامسها: النصف أو الثلث الأخير.

سادسها: الإطلاق.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٢٥)، برقم (١٠٣١٩)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (٨٠٢).

فأما الروايات المطلقة فهي محمولة على المقيدة، وأما التي بأو فإن كانت أو للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه، وإن كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال؛ لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون النزول يقع في الثلث الأول والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني، وقيل يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار، ويحمل على أن النبي ﷺ أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به، ثم أعلم به في وقت آخر فأخبر به، فنقل الصحابة ذلك عنه والله أعلم.

قوله: (من يدعوني إلخ) لم تختلف الروايات على الزهري في الاقتصار على الثلاثة المذكورة وهي الدعاء والسؤال والاستغفار، والفرق بين الثلاثة أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار، وذلك إما ديني وإما دنيوي، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول، والسؤال إشارة إلى الثاني، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث. وقال الكرماني: يحتمل أن يقال الدعاء ما لا طلب فيه نحو يا الله، والسؤال الطلب، وأن يقال المقصود واحد وإن اختلف اللفظ انتهى.

وزاد سعيد عن أبي هريرة «هل من تائب فأتوب عليه» وزاد أبو جعفر عنه «من ذا الذي يسترزقني فأرزقه، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشف عنه» وزاد عطاء مولى أم صبية عنه «ألا سقيم يستشفي فيشفى» ومعانيها داخلة فيما تقدم. وزاد سعيد بن مرجانة عنه «من يقرض غير عديم ولا ظلوم» وفيه تحريض على عمل الطاعة، وإشارة إلى جزيل الثواب عليها.

وزاد حجاج بن أبي منيع عن جده عن الزهري عند الدارقطني في آخر الحديث «حتى الفجر» [(١)] وفي رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عند مسلم «حتى ينفجر الفجر» [(٢)] وفي رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة «حتى يطلع الفجر» وكذا اتفق معظم الرواة على ذلك، إلا أن في رواية نافع بن جبير عن أبي هريرة عند النسائي «حتى ترحل الشمس» [(٣)] وهي شاذة.

وزاد يونس في روايته عن الزهري في آخره أيضًا «ولذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله» أخرجها الدارقطني أيضًا. وله من رواية ابن سمعان عن الزهري ما يشير إلى أن قائل ذلك هو الزهري. وبهذه الزيادة تظهر مناسبة ذكر الصلاة في الترجمة ومناسبة الترجمة التي بعد هذه لهذه.

---

(١) أورده الزرقاني في «شرحه» (٢/ ٥٠)، وعزاه للدارقطني من طريق حجاج به.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، برقم (٧٥٨).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ عند النسائي.

قوله: (فأستجيب) بالنصب على جواب الاستفهام، وبالرفع على الاستئناف، وكذا قوله: (فأعطيه، وأغفر له) وقد قرئ بهما في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة:٢٤٥] الآية. وليست السين في قوله تعالى: «فأستجيب» للطلب بل أستجيب بمعنى أجيب، وفي حديث الباب من الفوائد تفضيل صلاة آخر الليل على أوله، وتفضيل تأخير الوتر لكن ذلك في حق من طمع أن ينتبه، وأن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران:١٧] وأن الدعاء في ذلك الوقت مجاب، ولا يعترض على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين لأن سبب التخلف وقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس أو لاستعجال الداعي أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد أو لأمرٍ يريده الله.

* * *

(١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (١).

الشرح (٢):

قوله: (يتنزل ربنا) كذا للأكثر هنا بوزن يتفعل مشددًا، وللنسفي والكشميهني «ينزل» بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الزاي.

قوله: (حين يبقى ثلث الليل) قال ابن بطال: ترجم بنصف الليل وساق في الحديث أن التنزل يقع ثلث الليل، لكن المصنف عول على ما في الآية وهي قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾[المزمل:٢-٣] فأخذ الترجمة من دليل القرآن، وذكر النصف فيه يدل على تأكيد المحافظة على وقت التنزل قبل دخوله ليأتي وقت الإجابة والعبد مرتقب له مستعد للقائه.

وقال الكرماني: لفظ الخبر «حين يبقى ثلث الليل» وذلك يقع في النصف الثاني انتهى.

والذي يظهر لي أن البخاري جرى على عادته فأشار إلى الرواية التي وردت بلفظ النصف، فقد أخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمر، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: «ينزل الله إلى السماء الدنيا نصف الليل الأخير أو ثلث الليل الآخر» (٣) وأخرجه الدارقطني في

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل، حديث (٦٣٢١).
(٢) فتح الباري (١١/١٢٩). (٣) أخرجه أحمد، (١٠١٦٦).

كتاب الرؤيا من رواية عبيد الله العمري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة نحوه [١]، ومن طريق حبيب بن أبي ثابت عن الأغر عن أبي هريرة بلفظ: «شطر الليل» من غير تردد، وسأستوعب ألفاظه في التوحيد إن شاء الله تعالى.

وقال أيضًا: النزول محال على الله لأن حقيقته الحركة من جهة العلو إلى السفل، وقد دلت البراهين القاطعة على تنزيهه على ذلك فليتأول ذلك بأن المراد نزول ملك الرحمة ونحوه أو يفوض مع اعتقاد التنزيه، وقد تقدم شرح الحديث في الصلاة في «باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل» من أبواب التهجد، ويأتي ما بقي منه في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

* * *

(١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» [٢].

الشرح [٣]:

قوله: (يتنزل ربنا) كذا للأكثر بمثناة وتشديد، ولأبي ذر عن المستملي والسرخسي «ينزل» بحذف التاء والتخفيف، وقد تقدم شرحه في «كتاب التهجد» في باب الدعاء في الصلاة في آخر الليل، وترجم له في الدعوات «الدعاء نصف الليل» وتقدم هناك مناسبة الترجمة لحديث الباب مع أن لفظه: «حين يبقى ثلث الليل» ومضى بيان الاختلاف فيما يتعلق بأحاديث الصفات في أوائل «كتاب التوحيد» في باب وكان عرشه على الماء، والغرض منه هنا قوله: «فيقول من يدعوني» إلى آخره وهو ظاهر في المراد سواء كان المنادي به ملكًا بأمره أو لا؛ لأن المراد إثبات نسبة القول إليه وهي حاصلة على كل من الحالتين، وقد نبهت على من أخرج الزيادة المصرحة بأن الله يأمر ملكًا فينادي في «كتاب التهجد» وتأويل ابن حزم النزول بأنه فعل يفعله الله في سماء الدنيا كالفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان الإجابة وهو معهود في اللغة، تقول: فلان نزل لي عن حقه بمعنى وهبه.

---

(١) عزاه المصنف في «الفتح»، (١١/ ١٢٩)، للدارقطني في «الرؤيا».

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث (٧٤٩٤).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٦٨).

قال: والدليل على أنها صفة فعل تعليقه بوقتٍ محدود ومن لم يزل لا يتعلق بالزمان فصح أنه فعل حادث، وقد عقد شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي وهو من المبالغين في الإثبات حتى طعن فيه بعضهم بسبب ذلك في كتابه الفاروق بابًا لهذا الحديث، وأورده من طرق كثيرة ثم ذكره من طرق زعم أنها لا تقبل التأويل مثل:

حديث عطاء مولى أم صبية عن أبي هريرة بلفظ: **«إذا ذهب ثلث الليل»** وذكر الحديث وزاد **«فلا يزال بها حتى يطلع الفجر فيقول: هل من داعٍ يستجاب له؟»** أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه [(١)]، وهو من رواية محمد بن إسحاق وفيه اختلاف.

وحديث ابن مسعود وفيه: **«فإذا طلع الفجر صعد إلى العرش»** أخرجه ابن خزيمة وهو من رواية إبراهيم الهجري وفيه مقال، وأخرجه أبو إسماعيل من طريق أخرى عن ابن مسعود قال: **«جاء رجل من بني سليم إلى رسول الله ﷺ فقال علمني»** فذكر الحديث وفيه: **«فإذا انفجر الفجر صعد»** [(٢)] وهو من رواية عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عم أبيه ولم يسمع منه.

ومن حديث عبادة بن الصامت وفي آخره: **«ثم يعلو ربنا على كرسيه»** وهو من رواية إسحاق بن يحيى عن عبادة ولم يسمع منه.

ومن حديث جابر وفيه: **«ثم يعلو ربنا إلى السماء العليا إلى كرسيه»** [(٣)] وهو من رواية محمد بن إسماعيل الجعفري عن عبد الله بن سلمة بن أسلم وفيهما مقال.

ومن حديث أبي الخطاب: أنه سأل النبي ﷺ عن الوتر فذكر الوتر وفي آخره **«حتى إذا طلع الفجر ارتفع»** [(٤)] وهو من رواية ثوير بن أبي فاختة وهو ضعيف، فهذه الطرق كلها ضعيفة وعلى تقدير ثبوتها لا يقبل قوله: أنها لا تقبل التأويل، فإن محصلها ذكر الصعود بعد النزول فكما قبل النزول التأويل لا يمنع قبول الصعود التأويل، والتسليم أسلم كما تقدم والله أعلم.

وقد أجاد هو في قوله في آخر كتابه فأشار إلى ما ورد من الصفات وكلها من التقريب لا من التمثيل، وفي مذاهب العرب سعة، يقولون أمر بينٌ كالشمس وجواد كالريح وحق كالنهار، ولا تريد تحقيق الاشتباه وإنما تريد تحقيق الإثبات والتقريب على الأفهام، فقد علم من عقل أن الماء

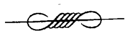
(١) أخرجه النسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٢٥)، برقم (١٠٣١٩)، وفيه ابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

(٢) عزاه المصنف في «الفتح»، (١٣/ ٤٦٨). لابن خزيمة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير»، (٢٢/ ٣٧٠)، برقم (٩٢٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٤٥): وفيه ثوير ضعيف.

أبعد الأشياء شبهًا بالصخر، والله يقول: ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢] فأراد العظم والعلو لا الشبه في الحقيقة، والعرب تشبه الصورة بالشمس والقمر، واللفظ بالسحر، والمواعيد الكاذبة بالرياح، ولا تعد شيئًا من ذلك كذبًا ولا توجب حقيقة وبالله التوفيق.



ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ

(١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ» [(١)].

الشرح [(٢)]:

حديث أبي هريرة: «أرسل ملك الموت إلى موسى» الحديث أورده المصنف بطوله من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه عنه ولم يذكر فيه الرفع، وقد ساقه في أحاديث الأنبياء من هذا الوجه ثم قال: وعن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه، وقد ساقه مسلم من طريق معمر بالسندين كذلك [(٣)].

وقوله فيه: (رمية بحجر) أي قدر رمية حجر، أي أدنني من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر، أو أدنني إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر، وهذا الثاني أظهر، وعليه شرح ابن بطال وغيره. وأما الأول فهو وإن رجحه بعضهم فليس بجيد إذ لو كان كذلك لطلب الدنو أكثر من ذلك، ويحتمل أن يكون القدر الذي كان بينه وبين أول الأرض المقدسة كان قدر رمية فلذلك طلبها، لكن حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليعمي موضع قبره لئلا تعبده الجهال من ملته، انتهى.

ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم، ولم يدخلها معه أحد ممن امتنع أولاً أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء ومات هارون ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا، فكأن موسى لما لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها طلب القرب

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، حديث (١٣٣٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٥٨٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى ﷺ، برقم (٢٣٧٢).

منها لأن ما قارب الشيء يعطى حكمه، وقيل إنما طلب موسى الدنو لأن النبي يدفن حيث يموت ولا ينقل، وفيه نظر لأن موسى قد نقل يوسف عليهما السلام معه لما خرج من مصر كما سيأتي ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى، وهذا كله بناء على الاحتمال الثاني والله أعلم.

واختلف في جواز نقل الميت من بلد إلى بلد، فقيل: يكره لما فيه من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته، وقيل يستحب، والأولى تنزيل ذلك على حالتين: فالمنع حيث لم يكن هناك غرض راجح كالدفن في البقاع الفاضلة، وتختلف الكراهة في ذلك فقد تبلغ التحريم، والاستحباب حيث يكون ذلك بقرب مكان فاضل كما نص الشافعي على استحباب نقل الميت إلى الأرض الفاضلة كمكة وغيرها. والله أعلم.

* * *

(١٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامِ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ. قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِن الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ»** (١).

الشرح (٢):

قوله: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه) أي ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم **«جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها»** (٣) وفي رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري **«كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه»** (٤).

قوله: (لا يريد الموت) زاد همامٌ **«وقد فقأ عيني، فرد الله عليه عينه»** وفي رواية عمارٍ **«فقال يا**

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره، حديث (٣٤٠٧).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٤٢).

(٣) أخرجه أحمد، (٢٧٣٨٩)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى ﷺ، برقم (٢٣٧٢).

(٤) أخرجه أحمد، (١٠٥٢١)، وابن جرير في «تاريخه»، (١/ ٢٥٦)، وقد صححه الألباني كما في «الصحيحة»، (٣٢٧٩)..

رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

قوله: (فقل له يضع يده) في رواية أبي يونس **«فقل له الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك»**.

قوله: (على متن) بفتح الميم وسكون المثناة هو الظهر، وقيل: مكتنف الصلب بين العصب واللحم، وفي رواية عمارٍ على جلد ثورٍ.

قوله: (فله بما غطى يده) في رواية الكشميهني **«بما غطت يده»**.

قوله: (ثم الموت) في رواية أبي يونس **«قال: فالآن يا رب من قريب»** وفي رواية عمارٍ **«فأتاه فقال له ما بعد هذا؟ قال: الموت قال: فالآن»** والآن ظرف زمانٍ غير متمكنٍ، وهو اسمٌ لزمان الحال الفاصل بين الماضي والمستقبل.

قوله: (فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رميةً بحجرٍ) قد تقدم شرح ذلك وبيانه في الجنائز.

قوله: (فلو كنت ثم) بفتح المثلثة أي هناك.

قوله: (من جانب الطريق) في رواية المستملي والكشميهني **«إلى جانب الطريق»** وهي رواية همامٍ.

قوله: (تحت الكثيب الأحمر) في روايتهما **«عند الكثيب الأحمر»** وهي رواية همامٍ أيضًا، والكثيب بالمثلثة وآخره موحدةٌ وزن عظيم: الرمل المجتمع، وزعم ابن حبان أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس، وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قريبةً من المدينة ولا من بيت المقدس، قال وقد اشتهر عن قبرٍ بأريحاء عنده كثيبٌ أحمر أنه قبر موسى، وأريحاء من الأرض المقدسة، وزاد عمارٌ في روايته **«فشمه شمةً فقبض روحه، وكان يأتي الناس خفيةً»** يعني بعد ذلك، ويقال إنه أتاه بتفاحةٍ من الجنة فشمها فمات.

وذكر السدي في تفسيره أن موسى لما دنت وفاته مشى هو وفتاه يوشع بن نونٍ فجاءت ريحٌ سوداء، فظن يوشع أنها الساعة فالتزم موسى، فانسل موسى من تحت القميص، فأقبل يوشع بالقميص. وعن وهب بن منبهٍ أن الملائكة تولوا دفنه والصلاة عليه، وأنه عاش مائةً وعشرين سنةً.

قوله: (قال: وأخبرنا معمرٌ عن همامٍ إلخ) هو موصولٌ بالإسناد المذكور، ووهم من قال إنه معلقٌ، فقد أخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن معمرٍ [1]، ومسلمٌ عن محمد بن رافعٍ عن عبد الرزاق

(١) أخرجه أحمد، (٧٥٩٠)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٨٩٨).

كذلك [1]، وقوله في آخره: «نحوه» أي: إن رواية معمرٍ عن همامٍ بمعنى روايته عن ابن طاوسٍ لا بلفظه، وقد بينت ذلك فيما مضى.

قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟

والجواب: أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذٍ، وإنما بعثه إليه اختبارًا وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذنٍ، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوطٍ في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداءً، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوطٌ لما خاف عليهم من قومه.

وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟

ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة، وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذٍ. وقال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانًا للملطوم.

وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه، من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير، فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن، قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب، وفيه نظرٌ لأنه يعود أصل السؤال فيقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا. وزعم بعضهم أن معنى قوله: «فقأ عينه» أي أبطل حجته، وهو مردودٌ بقوله في نفس الحديث «فرد الله عينه» وبقوله: «لطمه وصكه» وغير ذلك من قرائن السياق.

وقال ابن قتيبة: إنما فقأ موسى العين التي هي تخييلٌ وتمثيلٌ وليست عينًا حقيقةً، ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية، وقيل على ظاهره، ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره، وهذا هو المعتمد.

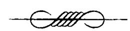
وجوز ابن عقيلٍ أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر. وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث. وفيه فضل الدفن في الأرض المقدسة، وقد تقدم شرح ذلك في

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى ﷺ، برقم (٢٣٧٢).

الجنائز. واستدل بقوله: «فلك بكل شعرةٍ سنةٌ» على أن الذي بقي من الدنيا كثيرٌ جدا لأن عدد الشعر الذي تواريه اليد قدر المدة التي بين موسى وبعثة نبينا ﷺ مرتين وأكثر. واستدل له على جواز الزيادة في العمر وقد قال به قومٌ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١] أنه زيادةٌ ونقصٌ في الحقيقة.

وقال الجمهور: والضمير في قوله: ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر: ١١] للجنس لا للعين، أي ولا ينقص من عمر آخر، وهذا كقولهم عندي ثوبٌ ونصفه أي ونصف ثوبٍ آخر.

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر: ١١] أي وما يذهب من عمره، فالجميع معلومٌ عند الله تعالى. والجواب عن قصة موسى أن أجله قد كان قرب حضوره ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين، فأمر بقبض روحه أولاً مع سبق علم الله أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة وإن لم يطلع ملك الموت على ذلك أولاً. والله أعلم.



أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً؟

(١٧) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلاَنِ: أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكَ إِلاَّ قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[١].

الشرح[٢]:

حديث عدي بن حاتم، وقد أورده المصنف بأتم من هذا السياق، ويأتي الكلام عليه مستوفًى. وشاهده هنا قوله فيه (فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه) وهو موافقٌ لحديث أبي هريرة الذي قبله ومشعر بأن ذلك يكون في آخر الزمان.

وحديث أبي موسى الآتي بعده مشعر بذلك أيضًا، وقد أشار عدي بن حاتم - كما سيأتي في علامات النبوة - إلى أن ذلك لم يقع في زمانه وكانت وفاته في خلافة معاوية بعد استقرار أمر الفتوح، فانتفى قول من زعم أن ذلك وقع في ذلك الزمان.

قال ابن التين: إنما يقع ذلك بعد نزول عيسى حين تخرج الأرض بركاتها حتى تشبع الرمانة أهل البيت ولا يبقى في الأرض كافر. ويأتي الكلام على اتقاء النار ولو بشق تمرةٍ في الباب الذي يليه.

* * *

(١٨) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، حديث (١٤١٣).

(٢) فتح الباري (٣/ ٢٨٢).

أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي : فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلاَدَ؟ - وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قُلْتُ : كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ : كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ : أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ : بَلَى، فَيَقُولُ : أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ : بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ» . قَالَ عَدِيٌّ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» .

قَالَ عَدِيٌّ : فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ [1] .

الشرح [2]:

قوله : (أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر) لم أقف على اسم أحد منهما .

قوله : (الظعينة) بالمعجمة : المرأة في الهودج، وهو في الأصل اسم للهودج .

قوله : (الحيرة) بكسر المهملة وسكون التحتانية وفتح الراء كانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس، وكان ملكهم يومئذٍ إياس بن قبيصة الطائي وليها من تحت يد كسرى بعد قتل النعمان بن المنذر، ولهذا قال عدي بن حاتم : «فأين دعار طيئ؟» .

ووقع في رواية لأحمد من طريق الشعبي عن عدي بن حاتم «قلت : يا رسول الله فأين مقاتب طيئ ورجالها» [3] ومقاتب بالقاف جمع مقتب وهو العسكر ويطلق على الفرسان .

قوله : (حتى تطوف بالكعبة) زاد أحمد من طريق أخرى عن عدي «في غير جواز أحد» .

قوله : (فأين دعار طيئ) الدعار جمع داعر وهو بمهملتين وهو الشاطر الخبيث المفسد، وأصله عود داعر إذا كان كثير الدخان قال الجواليقي : والعامة تقوله بالذال المعجمة فكأنهم ذهبوا به إلى معنى الفزع والمعروف الأول والمراد قطاع الطريق .

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، حديث (٣٥٩٥) .
(٢) فتح الباري (٦/ ٦١٣) .
(٣) أخرجه أحمد، (١٧٧٩٤)، وفيه مجالد بن سعيد: ضعيف .

وطيئ قبيلة مشهورة، منها عدي بن حاتم المذكور، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة.

قوله: (قد سعروا البلاد) أي أوقدوا نار الفتنة، أي ملاؤا الأرض شرا وفسادًا، وهو مستعار من استعار النار وهو توقدها.

قوله: (كنوز كسرى) وهو علم على من ملك الفرس، لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز ولذلك استفهم عدي بن حاتم عنه، وإنما قال ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك.

قوله: (فلا يجد أحدًا يقبله منه) أي لعدم الفقراء في ذلك الزمان، تقدم في الزكاة قول من قال: إن ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز وبذلك جزم البيهقي وأخرج في «**الدلائل**» من طريق يعقوب بن سفيان بسنده إلى عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: «**إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرًا، ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده**»[1] هذا الاحتمال على الأول لقوله في الحديث «**ولئن طالت بك حياة**».

قوله: (بشق تمرة) بكسر المعجمة أي نصفها، وفي رواية المستملي «**بشقة تمرة**» وكذا اختلفوا في قوله بعده: «**فمن لم يجد شق تمرة**» قال المستملي: «**شقة**» وقد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الزكاة.

قوله: (ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ) هو مقول عدي بن حاتم، وقوله: (يخرج ملء كفه - أي من المال - فلا يجد من يقبله) رواية أحمد المذكورة «**والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن النبي ﷺ قد قالها**» وقد وقع ذلك كما قال النبي ﷺ وآمن به عدي، وقد تقدم في أواخر كتاب الحج من استدل به على جواز سفر المرأة وحدها في الحج الواجب والبحث في ذلك وتوجيه الاستدلال به بما أغنى عن إعادته هنا، وبالله التوفيق.

قوله: (حدثنا سعدان بن بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة يقال اسمه سعيد وسعدان لقبه، وليس له في البخاري ولا لشيخه ولا لشيخ شيخه غير هذا الحديث الواحد.

قوله: (حدثنا أبو مجاهد) هو سعد الطائي المذكور في الإسناد الذي قبله، ومحل بن خليفة

---

(١) عزاه المصنف في «الفتح»، (٦/ ٦١٣) للبيهقي في «الدلائل».

في الإسنادين هو بضم الميم وكسر المعجمة بعدها لام، وقد قيل فيه بفتح المهملة، وتقدم سياق متن هذا الحديث في كتاب الزكاة وهو أخصر من سياق الذي قبله، وإطلاق المصنف قد يوهم أنهما سواء والله أعلم.

* * *

(١٩) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلاَ يَرَى شَيْئاً قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قَالَ الأَعْمَشُ: حَدَّثَنِي عَمْرٌو عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلاَثاً حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[١].

الشرح[٢]:

قوله: (حدثني خيثمة) بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها مثلثة هو ابن عبد الرحمن الجعفي.

قوله: (عن عدي بن حاتم) هو الطائي.

قوله: (ما منكم من أحدٍ) ظاهر الخطاب للصحابة، ويلتحق بهم المؤمنون كلهم سابقهم ومقصرهم أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة.

قوله: (إلا سيكلمه الله) في رواية وكيع عن الأعمش عنه ابن ماجه «سيكلمه ربه».

قوله: (ليس بينه وبينه ترجمانٌ) لم يذكر في هذه الرواية ما يقول وبينه في رواية محل بن خليفة عن عدي بن حاتم في الزكاة بلفظ: «ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجابٌ، ولا ترجمانٌ يترجم له. ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فيقول: بلى» الحديث والترجمان تقدم ضبطه في بدء الوحي في شرح قصة هرقل.

قوله: (ثم ينظر فلا يرى قدامه) بضم القاف وتشديد الدال أي أمامه ووقع في رواية عيسى بن يونس عن الأعمش في التوحيد وعند مسلم بلفظ: «فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدمه، وينظر

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، حديث (٦٥٣٩).
(٢) فتح الباري (١١/ ٤٠٤).

أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم»[1] وأخرجه الترمذي من رواية أبي معاوية بلفظ: «فلا يرى شيئًا إلا شيئًا قدمه» وفي رواية محل بن خليفة «فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار»[2] وهذه الرواية مختصرةٌ ورواية خيثمة مفسرةٌ فهي المعتمدة في ذلك، وقوله: «أيمن وأشأم» بالنصب فيهما على الظرفية والمراد بهما اليمين والشمال، قال ابن هبيرة: نظر اليمين والشمال هنا كالمثل لأن الإنسان من شأنه إذا دهمه أمرٌ أن يلتفت يمينًا وشمالاً يطلب الغوث.

قلت: ويحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يترجى أن يجد طريقًا يذهب فيها ليحصل له النجاة من النار فلا يرى إلا ما يفضي به إلى النار كما وقع في رواية محل ابن خليفة.

قوله: (ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار) في رواية عيسى «وينظر بين يده فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه» وفي رواية أبي معاوية: «ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار» قال ابن هبيرة: والسبب في ذلك أن النار تكون في ممره فلا يمكنه أن يحيد عنها إذ لا بد له من المرور على الصراط.

قوله: (فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرةٍ) زاد وكيع في روايته «فليفعل» وفي رواية أبي معاوية «أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل» وفي رواية عيسى «فاتقوا النار ولو بشق تمرةٍ» أي اجعلوا بينكم وبينها وقايةً من الصدقة وعمل البر ولو بشيءٍ يسيرٍ.

قوله: (قال الأعمش) هو موصولٌ بالسند المذكور، وقد أخرجه مسلم من رواية معاوية عن الأعمش كذلك، وبين عيسى بن يونس في روايته أن القدر الذي زاده عمرو بن مرة للأعمش في حديثه عن خيثمة قوله في آخره: «فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ»[3] وقد مضى الحديث بأتم سياقًا من هذا في رواية محل بن خليفة في الزكاة.

قوله: (حدثني عمرو) هو ابن مرة وصرح به رواية عيسى بن يونس.

قوله: (اتقوا النار ثم أعرض وأشاح) بشينٍ معجمةٍ وحاءٍ مهملةٍ أي أظهر الحذر منها، وقال الخليلي: أشاح بوجهه عن الشيء نحاه عنه، وقال الفراء المشيح الحذر والجاد في الأمر والمقبل في خطابه، فيصح أحد هذه المعاني أو كلها أي حذر النار كأنه ينظر إليها أو جد على الوصية

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، برقم (٧٥١٢)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، برقم (١٠١٦).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، برقم (٢٤١٥)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

(٣) سبق تخريجه.

باتقائها أو أقبل على أصحابه في خطابه بعد أن أعرض عن النار لما ذكرها، وحكى ابن التين أن معنى أشاح صد وانكمش، وقيل صرف وجهه كالخائف أن تناله.

قلت: والأول أوجه لأنه قد حصل من قوله: أعرض، ووقع في رواية أبي معاوية في أوله: ذكر رسول الله ﷺ النار فأعرض وأشاح ثم قال: «اتقوا النار».

قوله: (ثلاثًا) في رواية أبي معاوية «ثم قال اتقوا النار، وأعرض وأشاح حتى ظننا أنه كان ينظر إليها» وكذا أخرجه الإسماعيلي من رواية جريرٍ عن الأعمش، قال ابن هبيرة وابن أبي جمرة في حديث إن الله يكلم عباده المؤمنين في الدار الآخرة بغير واسطةٍ: وفيه الحث على الصدقة.

قال ابن أبي جمرة: وفيه: دليلٌ على قبول الصدقة ولو قلت، وقد قيدت في الحديث بالكسب الطيب.

وفيه: إشارةٌ إلى ترك احتقار القليل من الصدقة وغيرها.

وفيه: حجةٌ لأهل الزهد حيث قالوا الملتفت هالكٌ يؤخذ من أن نظر المذكور عن يمينه وعن شماله فيه صورة الالتفات فلذا لما نظر أمامه استقبلته النار.

وفيه: دليلٌ على قرب النار من أهل الموقف، وقد أخرج البيهقي في البعث من مرسل عبد الله بن باباه بسندٍ رجاله ثقاتٌ رفعه «كأني أراكم بالكوم جثًى من دون جهنم» وقوله: «جثًى» بضم الجيم بعدها مثلثةٌ مقصورٌ جمع جاثٍ، والكوم بفتح الكاف والواو الساكنة المكان العالي الذي تكون عليه أمة محمدٍ ﷺ كما ثبت في حديث كعب بن مالك عند مسلم أنهم يكونون يوم القيامة على تل عالٍ.

وفيه: أن احتجاب الله عن عباده ليس بحائلٍ حسي بل بأمرٍ معنوي يتعلق بقدرته، يؤخذ من قوله: ثم ينظر فلا يرى قدامه شيئًا.

وقال ابن هبيرة: المراد بالكلمة الطيبة هنا يدل على هدًى أو يرد عن ردًى أو يصلح بين اثنين أو يفصل بين متنازعين أو يحل مشكلاً أو يكشف غامضًا أو يدفع ثائرًا أو يسكن غضبًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.



الصيَامُ لِي وَأنَا أجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا

(٢٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (الصيام جنة) زاد سعيد بن منصور عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد «جنة من النار» وللنسائي من حديث عائشة مثله [٣]، وله من حديث عثمان بن أبي العاص «الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال» [٤] ولأحمد من طريق أبي يونس عن أبي هريرة «جنة وحصن حصين من النار» [٥] وله من حديث أبي عبيدة ابن الجراح «الصيام جنة ما لم يخرقها» [٦] زاد الدارمي «بالغيبة» [٧] وبذلك ترجم له هو وأبو داود، والجنة بضم الجيم الوقاية والستر. وقد تبين بهذه الروايات متعلق هذا الستر وأنه من النار، وبهذا جزم ابن عبد البر. وأما صاحب «النهاية» فقال: معنى كونه جنة أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات.

وقال القرطبي: جنة أي سترة، يعني بحسب مشروعيته، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث إلخ»، ويصح أن يراد أنه سترة بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله: «يدع شهوته إلخ»، ويصح

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث (١٨٩٤).

(٢) فتح الباري (٤/ ١٠٤).

(٣) أخرجه النسائي، كتاب: الصيام، باب: ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب، برقم (٢٢٣٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٤) أخرجه النسائي، كتاب: الصيام، باب: ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب....، برقم (٢٢٣٠)، من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٥) أخرجه أحمد، (٨٩٧٢)، وقد حسنه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (٣٨٨٠).

(٦) أخرجه أحمد، (١٦٩٢)، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع»، (٣٥٧٨).

(٧) أخرجه الدارمي، كتاب: الصوم، باب: الصائم يغتاب فيخرق صومه، برقم (١٧٣٢)، قال الألباني في «الضعيفة»: ضعيف جدًا.

أن يراد أنه سترة بحسب ما يحصل من الثواب وتضعيف الحسنات.

وقال عياض في «الإكمال»: معناه سترة من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك، وبالأخير جزم النووي.

وقال ابن العربي: إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات. فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترًا له من النار في الآخرة. وفي زيادة أبي عبيدة بن الجراح إشارة إلى أن الغيبة تضر بالصيام، وقد حكي عن عائشة، وبه قال الأوزاعي: إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم. وأفرط ابن حزم فقال. يبطله كل معصية من متعمد لها ذاكر لصومه سواء كانت فعلاً أو قولاً، لعموم قوله: **«فلا يرفث ولا يجهل»** ولقوله في الحديث الآتي بعد أبواب **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**، والجمهور وإن حملوا النهي على التحريم إلا أنهم خصوا الفطر بالأكل والشرب والجماع، وأشار ابن عبد البر إلى ترجيح الصيام على غيره من العبادات فقال: حسبك بكون الصيام جنة من النار فضلاً.

وروى النسائي بسندٍ صحيح عن أبي أمامة قال: **«قلت: يا رسول الله مرني آخذه عنك، قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له»** [(١)] وفي رواية **«لا عدل له»** والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة.

قوله: (فلا يرفث) أي: الصائم، كذا وقع مختصرًا، وفي الموطإ: **«الصيام جنة، فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث إلخ»** ويرفث بالضم والكسر ويجوز في ماضيه التثليث، والمراد بالرفث هنا وهو بفتح الراء والفاء ثم المثلثة الكلام الفاحش، وهو يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقًا، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها.

قوله: (ولا يجهل) أي لا يفعل شيئًا من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك. ولسعيد بن منصور من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه **«فلا يرفث ولا يجادل»** [(٢)] قال القرطبي: لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم.

قوله: (وإن امرؤ) بتخفيف النون (قاتله أو شاتمه)، وفي رواية صالح **«فإن سابه أحد أو قاتله»** ولأبي قرة من طريق سهيل عن أبيه **«وإن شتمه إنسان فلا يكلمه»** ونحوه في رواية هشام عن أبي

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب: الصيام، باب: ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب...، برقم (٢٢٢٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٢) عزاه الحافظ في «الفتح»، (٤/ ١٠٤) لسعيد بن منصور، من طريق سهيل به.

هريرة عند أحمد [١]، ولسعيد بن منصور من طريق سهيل «فإن سابه أحد أو ماراه» أي جادله؛ ولابن خزيمة من طريق عجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة «فإن سابك أحد فقل إني صائم وإن كنت قائمًا فاجلس» [٢] ولأحمد والترمذي من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة «فإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم» [٣] وللنسائي من حديث عائشة «وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه» [٤] واتفقت الروايات كلها على أنه يقول: «إني صائم» فمنهم من ذكرها مرتين ومنهم من اقتصر على واحدة.

وقد استشكل ظاهره بأن المفاعلة تقتضي وقوع الفعل من الجانبين والصائم لا تصدر منه الأفعال التي رتب عليها الجواب خصوصًا المقاتلة.

والجواب عن ذلك: أن المراد بالمفاعلة التهيؤ لها، أي إن تهيأ أحد لمقاتلته أو مشاتمته فليقل إني صائم، فإنه إذا قال ذلك أمكن أن يكف عنه، فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف كالصائل، هذا فيمن يروم مقاتلته حقيقة، فإن كان المراد بقوله: «قاتله» شاتمه لأن القتل يطلق على اللعن واللعن من جملة السب - ويؤيده ما ذكرت من الألفاظ المختلفة فإن حاصلها يرجع إلى الشتم - فالمراد من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله بل يقتصر على قوله: «إني صائم» واختلف في المراد بقوله: «فليقل: إني صائم» هل يخاطب بها الذي يكلمه بذلك أو يقولها في نفسه؟ وبالثاني جزم المتولي ونقله الرافعي عن الأئمة، ورجح النووي الأول في «الأذكار» وقال في «شرح المهذب»: كل منهما حسن، والقول باللسان أقوى ولو جمعهما لكان حسنًا، ولهذا التردد أتى البخاري في ترجمته كما سيأتي بعد أبواب بالاستفهام فقال «باب هل يقول: إني صائم، إذا شتم؟».

وقال الروياني: إن كان رمضان، فليقل بلسانه، وإن كان غيره، فليقله في نفسه. وادعى ابن العربي أن موضع الخلاف في التطوع. وأما في الفرض فيقوله بلسانه قطعًا، وأما تكرير قوله: «إني صائم» فليتأكد الانزجار منه أو ممن يخاطبه بذلك. ونقل الزركشي أن المراد بقوله: «فليقل إني صائم مرتين» يقوله مرة بقلبه ومرة بلسانه، فيستفيد بقوله بقلبه كف لسانه عن خصمه وبقوله بلسانه كف خصمه عنه. وتعقب بأن القول حقيقة باللسان، وأجيب بأنه لا يمنع المجاز.

---

(١) أخرجه أحمد، (١٠١٧٤)، ورجاله ثقات.

(٢) أورده أبو الحسن في «موارد الظمآن» (١/ ٢٢٥)، من طريق ابن خزيمة.

(٣) أخرجه أحمد، (٩٠٩٩)، والترمذي، كتاب: الصوم، باب: ما جاء في فضل الصوم، برقم (٧٦٤)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح جامع الترمذي».

(٤) أخرجه النسائي، كتاب: الصيام، باب: ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب، برقم (٢٢٣٤)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن النسائي».

وقوله: «قاتله» يمكن حمله على ظاهره ويمكن أن يراد بالقتل لعن يرجع إلى معنى الشتم، ولا يمكن حمل قاتله وشاتمه على المفاعلة لأن الصائم مأمور بأن يكف نفسه عن ذلك فكيف يقع ذلك منه؟ وإنما المعنى إذا جاءه متعرضًا لمقاتلته أو مشاتمته كأن يبدأه بقتلٍ أو شتم اقتضت العادة أن يكافئه عليه. فالمراد بالمفاعلة إرادة غير الصائم ذلك من الصائم، وقد تطلق المفاعلة على التهيؤ لها ولو وقع الفعل من واحد، وقد تقع المفاعلة بفعل الواحد كما يقال لواحدٍ عالج الأمر وعافاه الله، وأبعد من حمله على ظاهره فقال المراد إذا بدرت من الصائم مقابلة الشتم بشتمٍ على مقتضى الطبع فلينزجر عن ذلك ويقول إني صائم. ومما يبعده قوله في الرواية الماضية: «فإن شتمه شتمه» والله أعلم.

وفائدة قوله: «إني صائم» أنه يمكن أن يكف عنه بذلك، فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف كالصائل، هذا فيمن يروم مقاتلته حقيقة، فإن كان المراد بقوله: «قاتله» شاتمه فالمراد من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله، بل يقتصر على قوله إني صائم.

قوله: (والذي نفسي بيده) أقسم على ذلك تأكيدًا.

قوله: (لخلوف) بضم المعجمة واللام وسكون الواو بعدها فاء. قال عياض: هذه الرواية الصحيحة، وبعض الشيوخ يقوله بفتح الخاء، قال الخطابي: وهو خطأ، وحكى القابسي الوجهين، وبالغ النووي في «شرح المهذب» فقال لا يجوز فتح الخاء، واحتج غيره لذلك بأن المصادر التي جاءت على فعول - بفتح أوله - قليلة ذكرها سيبويه وغيره وليس هذا منها، واتفقوا على أن المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام.

قوله: (فم الصائم) فيه رد على من قال لا تثبت الميم في الفم عند الإضافة إلا في ضرورة الشعر لثبوته في هذا الحديث الصحيح وغيره.

قوله: (أطيب عند الله من ريح المسك) اختلف في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك - مع أنه سبحانه وتعالى منزه عن استطابة الروائح، إذ ذاك من صفات الحيوان، ومع أنه يعلم الشيء على ما هو عليه - على أوجه.

قال المازري: هو مجاز لأنه جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة منا فاستعير ذلك للصوم لتقريبه من الله، فالمعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أي يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم، وإلى ذلك أشار ابن عبد البر.

وقيل: المراد أن ذلك في حق الملائكة وأنهم يستطيبون ريح الخلوف أكثر مما يستطيبون ريح المسك.

وقيل: المعنى أن حكم الخلوف والمسك عند الله على ضد ما هو عندكم، وهو قريب من الأول.

وقيل: المراد أن الله تعالى يجزيه في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما يأتي المكلوم وريح جرحه تفوح مسكًا.

وقيل: المراد أن صاحبه ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك لا سيما بالإضافة إلى الخلوف حكاهما عياض.

وقال الداودي وجماعة: المعنى أن الخلوف أكثر ثوابًا من المسك المندوب إليه في الجمع ومجالس الذكر، ورجح النووي هذا الأخير، وحاصله حمل معنى الطيب على القبول والرضا، فحصلنا على ستة أوجه.

وقد نقل القاضي حسين في تعليقه: أن للطاعات يوم القيامة ريحًا تفوح، قال: فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك، ويؤيد الثلاثة الأخيرة قوله في رواية مسلم وأحمد والنسائي من طريق عطاء عن أبي صالح «**أطيب عند الله يوم القيامة**» (١) وأخرج أحمد هذه الزيادة من حديث بشير بن الخصاصية (٢).

وقد ترجم ابن حبان بذلك في صحيحه ثم قال: «**ذكر البيان بأن ذلك قد يكون في الدنيا**» ثم أخرج الرواية التي فيها «**فم الصائم حين يخلف من الطعام**» (٣) وهي عنده وعند أحمد من طريق الأعمش عن أبي صالح (٤)، ويمكن أن يحمل قوله: «**حين يخلف**» على أنه ظرف لوجود الخلوف المشهود له بالطيب فيكون سببًا للطيب في الحال الثاني فيوافق الرواية الأولى وهي قوله: «**يوم القيامة**» لكن يؤيد ظاهره وأن المراد به في الدنيا ما روى الحسن بن سفيان في مسنده والبيهقي في الشعب من حديث جابر في أثناء حديث مرفوع في فضل هذه الأمة في رمضان، وأما الثانية «**فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك**» (٥) قال المنذري إسناده مقارب، وهذه المسألة إحدى المسائل التي تنازع فيها ابن عبد السلام وابن الصلاح، فذهب ابن عبد السلام

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، برقم (١١٥١)، وأحمد، (٦٧٣٦)، والنسائي، (٢٢١٦).

(٢) أخرجه أحمد، (٧٩٩٧)، ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، (٨/ ٢١١)، برقم (٣٤٢٤).

(٤) أخرجه أحمد، (٩٨١٩)، ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب»، (٣/ ٣٠٣)، برقم (٣٦٠٣)، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف الترغيب والترهيب»، (٥٨٧).

إلى أن ذلك في الآخرة كما في دم الشهيد واستدل بالرواية التي فيها «يوم القيامة» وذهب ابن الصلاح إلى أن ذلك في الدنيا واستدل بما تقدم وأن جمهور العلماء ذهبوا إلى ذلك، فقال الخطابي: طيبه عند الله رضاه به وثناؤه عليه.

وقال ابن عبد البر: أزكى عند الله وأقرب إليه.

وقال البغوي: معناه: الثناء على الصائم، والرضا بفعله، وبنحو ذلك.

قال القدوري من الحنفية والداودي وابن العربي من المالكية وأبو عثمان الصابوني وأبو بكر بن السمعاني وغيرهم من الشافعية، جزموا كلهم بأنه عبارة عن الرضا والقبول، وأما ذكر يوم القيامة في تلك الرواية فلأنه يوم الجزاء وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبًا لرضا الله تعالى حيث يؤمر باجتنابها، فقيده بيوم القيامة في رواية وأطلق في باقي الروايات نظرًا إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين، وهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١] وهو خبير بهم في كل يوم، انتهى.

ويترتب على هذا الخلاف المشهور في كراهة إزالة هذا الخلوف بالسواك، وسيأتي البحث فيه بعد بضعة وعشرين بابًا حيث ترجم له المصنف إن شاء الله تعالى، ويؤخذ من قوله: «أطيب من ريح المسك» أن الخلوف أعظم من دم الشهادة لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك، والخلوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما فإن أصل الخلوف طاهر وأصل الدم بخلافه فكان ما أصله طاهر أطيب ريحًا.

قوله: (يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي) هكذا وقع هنا، ووقع في الموطإ «وإنما يذر شهوته إلخ» ولم يصرح بنسبته إلى الله، للعلم به وعدم الإشكال فيه. وقد روى أحمد هذا الحديث عن إسحاق بن الطباع عن مالك فقال بعد قوله من ريح المسك «يقول الله عز وجل: إنما يذر شهوته إلخ» [(١)] كذلك رواه سعيد بن منصور عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد فقال في أول الحديث «يقول الله عز وجل: كل عمل ابن آدم هو له، إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به، وإنما يذر ابن آدم شهوته وطعامه من أجلي» [(٢)] الحديث. وسيأتي قريبًا من طريق عطاء عن أبي صالح بلفظ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له» الحديث. ويأتي في التوحيد من طريق الأعمش عن أبي صالح بلفظ: «يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به» الحديث.

---

(١) أخرجه أحمد، (١٠٣١٥)، ورجاله ثقات.

(٢) عزاه الحافظ في «الفتح» (٤/١٠٧)، لسعيد بن منصور عن مغيرة بن عبد الرحمن به.

وقد يفهم من الإتيان بصيغة الحصر في قوله: «إنما يذر إلخ» التنبيه على الجهة التي بها يستحق الصائم ذلك وهو الإخلاص الخاص به، حتى لو كان ترك المذكورات لغرض آخر كالتخمة لا يحصل للصائم الفضل المذكور، لكن المدار في هذه الأشياء على الداعي القوي الذي يدور معه الفعل وجودًا وعدمًا، ولا شك أن من لم يعرض في خاطره شهوة شيء من الأشياء طول نهاره إلى أن أفطر ليس هو في الفضل كمن عرض له ذلك فجاهد نفسه في تركه، والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب، ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص.

ووقع في رواية الموطإ بتقديم الشهوة عليها فيكون من الخاص بعد العام، ومثله حديث أبي صالح في التوحيد، وكذا جمهور الرواة عن أبي هريرة. وفي رواية ابن خزيمة من طريق سهيل عن أبي صالح عن أبيه «يدع الطعام والشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي» [(١)]، وفي رواية أبي قرة من هذا الوجه «يدع امرأته وشهوته وطعامه وشرابه من أجلي» وأصرح من ذلك ما وقع عند الحافظ سمويه في فوائده من طريق المسيب بن رافع عن أبي صالح «يترك شهوته من الطعام والشراب والجماع من أجلي».

قوله: (الصيام لي وأنا أجزي به) كذا وقع بغير أداة عطف ولا غيرها، وفي الموطأ: «فالصيام» بزيادة الفاء وهي للسببية، أي: سبب كونه لي، أنه يترك شهوته لأجلي.

ووقع في رواية مغيرة عن أبي الزناد عند سعيد بن منصور «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به» ومثله في رواية عطاء عن أبي صالح الآتية.

وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: «الصيام لي وأنا أجزي به» مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها على أقوال:

أحدها: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، حكاه المازري ونقله عياض عن أبي عبيد، ولفظ أبي عبيد في غريبه: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها، فنرى والله أعلم أنه إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب. ويؤيد هذا التأويل قوله ﷺ: «ليس في الصيام رياء» [(٢)] حدثنيه شبابة عن عقيل عن الزهري فذكره يعني مرسلًا قال: وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات، إلا الصوم فإنما هو بالنية التي تخفى عن

(١) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه»، (٣/ ١٩٧)، برقم (١٨٩٧)، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٩٧٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب»، (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦)، برقم (٣٥٨٣)، وقد ضعفه الألباني كما في «الضعيفة»، (٤٣٨٥).

الناس، وهذا وجه الحديث عندي، انتهى.

وقد روى الحديث المذكور البيهقي في «الشعب» من طريق عقيل، وأورده من وجه آخر عن الزهري موصولاً عن أبي سلمة عن أبي هريرة وإسناده ضعيف ولفظه: **«الصيام لا رياء فيه. قال الله عز وجل: هو لي وأنا أجزي به»** (١) وهذا لو صح لكان قاطعًا للنزاع.

وقال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث: **«يدع شهوته من أجلي»**.

وقال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب، بخلاف الصوم. وارتضى هذا الجواب المازري وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم، بخلاف الصوم فإن حال الممسك شبعًا مثل حال الممسك تقربًا يعني في الصورة الظاهرة.

قلت: معنى النفي في قوله **«لا رياء في الصوم»** أنه لا يدخله الرياء بفعله، وإن كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها. وقد حاول بعض الأئمة إلحاق شيء من العبادات البدنية بالصوم فقال: إن الذكر بلا إله إلا الله يمكن أن لا يدخله الرياء، لأنه بحركة اللسان خاصة دون غيره من أعضاء الفم، فيمكن الذاكر أن يقولها بحضرة الناس ولا يشعرون منه بذلك.

ثانيها: أن المراد بقوله: **«وأنا أجزي به»** أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته. وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا السياق الرواية الأخرى يعني رواية الموطأ، وكذلك رواية الأعمش عن أبي صالح حيث قال: **«كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله - قال الله - إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»** أي أجازي عليه جزاء كثيرًا من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] انتهى. والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال.

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٩٩، ٣٠٠)، برقم (٣٥٩٣)، وقال الألباني في «ضعيف الجامع»، (٣٥٨٠) «ضعيف جدًا».

قلت: وسبق إلى هذا أبو عبيد في غريبه فقال: بلغني عن ابن عيينة أنه قال ذلك، واستدل له بأن الصوم هو الصبر لأن الصائم يصبر نفسه عن الشهوات، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] انتهى.

ويشهد رواية المسيب بن رافع عن أبي صالح عند سمويه «**إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإنه لا يدري أحد ما فيه**» ويشهد له أيضًا ما رواه ابن وهب في جامعه عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن جده زيد مرسلاً [(١)]، ووصله الطبراني والبيهقي في «الشعب» من طريق أخرى عن عمر بن محمد عن عبد الله بن ميناء عن ابن عمر مرفوعًا «**الأعمال عند الله سبع**» [(٢)] الحديث، وفيه «**وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله**» ثم قال: وأما العمل الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله فالصيام، ثم قال القرطبي: هذا القول ظاهر الحسن، قال: غير أنه تقدم ويأتي في غير ما حديث أن صوم اليوم بعشرة أيام، وهي نص في إظهار التضعيف، فبعد هذا الجواب بل بطل.

قلت: لا يلزم من الذي ذكر بطلانه، بل المراد بما أورده أن صيام اليوم الواحد يكتب بعشرة أيام، وأما مقدار ثواب ذلك فلا يعلمه إلا الله تعالى. ويؤيده أيضًا العرف المستفاد من قوله: «**أنا أجزي به**» لأن الكريم إذا قال: أنا أتولى الإعطاء بنفسي كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه.

ثالثها: معنى قوله: «**الصوم لي**» أي أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي، وقد تقدم قول ابن عبد البر: كفى بقوله: «**الصوم لي**» فضلاً للصيام على سائر العبادات. وروى النسائي وغيره من حديث أبي أمامة مرفوعًا «**عليك بالصوم، فإنه لا مثل له**» [(٣)] لكن يعكر على هذا الحديث الصحيح «**واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**» [(٤)].

رابعها: الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وإن كانت البيوت كلها لله. قال الزين بن المنير: التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم والتشريف.

خامسها: أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما

---

(١) عزاه الحافظ في «الفتح» (٤/ ١٠٨) لابن وهب في «جامعه»، عن عمر بن محمد به.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، (١/ ٢٦٥)، برقم (٨٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٩٨)، برقم (٣٥٨٨)، وقال الألباني، في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٥٧٢)، ضعيف جدًا.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الطهارة وسننها، باب: المحافظة على الوضوء، برقم (٢٧٧)، وأحمد، (٢١٨٧٣)، والدارمي (٦٥٥)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه. وقال القرطبي: معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفةٍ من صفات الحق، كأنه يقول إن الصائم يتقرب إلي بأمرٍ هو متعلق بصفةٍ من صفاتي.

سادسها: أن المعنى كذلك، لكن بالنسبة إلى الملائكة، لأن ذلك من صفاتهم.

سابعها: أنه خالصٌ لله وليس للعبد فيه حظ، قاله الخطابي، هكذا نقله عياض وغيره، فإن أراد بالحظ ما يحصل من الثناء عليه لأجل العبادة رجع إلى المعنى الأول، وقد أفصح بذلك ابن الجوزي فقال: المعنى ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره فإن له فيه حظا لثناء الناس عليه لعبادته.

ثامنها: سبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يعبد به غير الله، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف ونحو ذلك. واعترض على هذا بما يقع من عباد النجوم وأصحاب الهياكل والاستخدامات، فإنهم يتعبدون لها بالصيام. وأجيب بأنهم لا يعتقدون إلهية الكواكب، وإنما يعتقدون أنها فعالة بأنفسها، وهذا الجواب عندي ليس بطائلٍ، لأنهم طائفتان، إحداهما كانت تعتقد إلهية الكواكب وهم من كان قبل ظهور الإسلام، واستمر منهم من استمر على كفره. والأخرى من دخل منهم في الإسلام واستمر على تعظيم الكواكب وهم الذين أشير إليهم.

تاسعها: أن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام، روى ذلك البيهقي من طريق إسحاق بن أيوب بن حسان الواسطي عن أبيه عن ابن عيينة قال: إذا كان يوم القيامة، يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله، حتى لا يبقى له إلا الصوم، فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة.

قال القرطبي: قد كنت استحسنت هذا الجواب إلى أن فكرت في حديث المقاصة فوجدت فيه ذكر الصوم في جملة الأعمال حيث قال: «المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصدقة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا» الحديث وفيه «فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» فظاهره أن الصيام مشترك مع بقية الأعمال في ذلك.

قلت: إن ثبت قول ابن عيينة أمكن تخصيص الصيام من ذلك، فقد يستدل له بما رواه أحمد من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رفعه «كل العمل كفارة إلا الصوم، الصوم لي وأنا أجزي به»[1] وكذا رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة عن محمد بن زياد

(١) أخرجه أحمد، (٢٧٢٥٥)، ورجاله ثقات.

ولفظه: «**قال ربكم تبارك وتعالى: كل العمل كفارة إلا الصوم**»[1] ورواه قاسم بن أصبغ من طريق أخرى عن شعبة بلفظ: «**كل ما يعمله ابن آدم كفارة له إلا الصوم**» وقد أخرجه المصنف في التوحيد عن آدم عن شعبة بلفظ يرويه عن ربكم قال: «**لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به**»[2] فحذف الاستثناء، وكذا رواه أحمد عن غندر عن شعبة لكن قال: «**كل العمل كفارة**»[3] وهذا يخالف رواية آدم لأن معناها إن لكل عمل من المعاصي كفارة من الطاعات، ومعنى رواية غندر كل عمل من الطاعات كفارة للمعاصي، وقد بين الإسماعيلي الاختلاف فيه في ذلك على شعبة، وأخرجه من طريق غندر بذكر الاستثناء فاختلف فيه أيضًا على غندر، والاستثناء المذكور يشهد لما ذهب إليه ابن عيينة، لكنه وإن كان صحيح السند فإنه يعارضه حديث حذيفة «**فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة**» ولعل هذا هو السر في تعقيب البخاري لحديث الباب بباب الصوم كفارة وأورد فيه حديث حذيفة، وسأذكر وجه الجمع بينهما في الكلام على الباب الذي يليه إن شاء الله تعالى.

عاشرها: أن الصوم لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال، واستند قائله إلى حديث واهٍ جدا أورده ابن العربي في «المسلسلات» ولفظه: «**قال الله الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحب لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده**» ويكفي في رد هذا القول الحديث الصحيح في كتابة الحسنة لمن هم بها وإن لم يعملها. فهذا ما وقفت عليه من الأجوبة، وقد بلغني أن بعض العلماء بلغها إلى أكثر من هذا وهو الطالقاني في: «حظائر القدس» له ولم أقف عليه، واتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولاً وفعلاً.

ونقل ابن العربي عن بعض الزهاد أنه مخصوص بصيام خواص الخواص فقال: إن الصوم على أربعة أنواع: صيام العوام: وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع، وصيام خواص العوام: وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل، وصيام الخواص: وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته، وصيام خواص الخواص: وهو الصوم عن غير الله فلا فطر لهم إلى يوم القيامة. وهذا مقام عالٍ لكن في حصر المراد من الحديث في هذا النوع نظر لا يخفى. وأقرب الأجوبة التي ذكرتها إلى الصواب الأول والثاني ويقرب منهما الثامن والتاسع.

وقال البيضاوي في الكلام على رواية الأعمش عن أبي صالح التي بينتها قبل: لما أراد بالعمل الحسنات وضع الحسنة في الخبر موضع الضمير الراجع إلى المبتدأ، وقوله: «**إلا الصيام**» مستثنى

---

(١) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١/ ٣٢٥)، برقم (٢٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ذكر النبي ﷺ وروايته، برقم (٧٥٣٨).

(٣) أخرجه أحمد، (٩٥٧٨)، ورجاله ثقات.

من كلام غير محكي دل عليه ما قبله، والمعنى أن الحسنات يضاعف جزاؤها من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى، ولذلك يتولى الله جزاءه بنفسه ولا يكله إلى غيره. قال: والسبب في اختصاص الصوم بهذه المزية أمران:

أحدهما: أن سائر العبادات مما يطلع العباد عليه، والصوم سر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصًا ويعامله به طالبًا لرضاه، وإلى ذلك الإشارة بقوله: **«فإنه لي»**.

والآخر: أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال للبدن، والصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات، وإلى ذلك أشار بقوله: **«يدع شهوته من أجلي»**.

قال الطيبي: وبيان هذا أن قوله: **«يدع شهوته إلخ»** جملة مستأنفة وقعت موقع البيان لموجب الحكم المذكور، وأما قول البيضاوي: إن الاستثناء من كلام غير محكي، ففيه نظر، فقد يقال: هو مستثنى من كل عمل وهو مروي عن الله لقوله في أثناء الحديث **«قال الله تعالى»** ولما لم يذكره في صدر الكلام أورده في أثنائه بيانًا، وفائدته تفخيم شأن الكلام وأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى.

قوله: (والحسنة بعشر أمثالها) كذا وقع مختصرًا عند البخاري، وقد قدمت البيان بأنه وقع في **«الموطإ»** تاما، وقد رواه أبو نعيم في **«المستخرج»** من طريق القعنبي شيخ البخاري فيه فقال بعد قوله: وأنا أجزي به **«كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»** فأعاد قوله: **«وأنا أجزي به»** في آخر الكلام تأكيدًا، وفيه إشارة إلى الوجه الثاني. ووقع في رواية أبي صالح عن أبي هريرة في آخر هذا الحديث **«للصائم فرحتان يفرحهما»** الحديث. وسيأتي الكلام عليه بعد ستة أبواب إن شاء الله تعالى.

(٢١) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»** (١).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم، حديث (١٩٠٤).

الشرح [١]:

قوله فيه: (ولا يصخب) كذا للأكثر بالمهملة الساكنة بعدها خاء معجمة، ولبعضهم بالسين بدل الصاد وهو بمعناه، والصخب الخصام والصياح، وقد تقدم أن المراد النهي عن ذلك تأكيده حالة الصوم، وإلا فغير الصائم منهي عن ذلك أيضًا.

قوله: (لخلوف) كذا للأكثر، وللكشميهني «الخلف» بحذف الواو كأنها صيغة جمع، ويروى في غير البخاري بلفظ: «لخلفة» على الوحدة كتمر وتمرة.

قوله: (للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح) زاد مسلم «بفطره» [٢]، وقوله: «يفرحهما» أصله يفرح بهما فحذف الجار ووصل الضمير كقوله صام رمضان أي فيه. قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم وقيل إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيفٌ من ربه ومعونةٌ على مستقبل صومه.

قلت: ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحدٍ بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحًا وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحبا وهو من يكون سببه شيءٌ مما ذكره.

قوله: (وإذا لقي ربه فرح بصومه) أي بجزائه وثوابه. وقيل الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه على الاحتمالين. قلت: والثاني أظهر إذ لا ينحصر الأول في الصوم بل يفرح حينئذٍ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» [٣].

الشرح [٤]:

حديث أبي هريرة رفعه «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم» الحديث من أجل قوله: «أطيب عند الله من ريح المسك» وقد تقدم شرحه.

---

(١) فتح الباري (٤/١١٨).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، برقم (١١٥١).
(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك، حديث (٥٩٢٧).
(٤) فتح الباري (١٠/٣٦٩).

وقوله هنا: (فإنه لي وأنا أجزي به) ظاهر سياقه أنه من كلام النبي ﷺ، وليس كذلك وإنما هو من كلام الله عز وجل. وهو من رواية النبي ﷺ عن ربه عز وجل، كذلك أخرجه المصنف في التوحيد من رواية محمد بن زياد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: يرويه عن ربكم عز وجل، قال: «**لكل عمل كفارة فالصوم لي وأنا أجزي به**» الحديث.

وأخرجه الشيخان من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**»[1] ولمسلم من طريق ضرار بن مرة عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يقول: «**إن الصوم لي وأنا أجزي به**»[2] وقد تقدم شرح هذا الحديث مستوفًى في كتاب الصيام مع الإشارة إلى ما بينت هنا، وذكرت أقوال العلماء في معنى إضافته سبحانه وتعالى الصيام إليه بقوله: «**فإنه لي**» ونقلت عن أبي الخير الطالقاني أنه أجاب عنه بأجوبةٍ كثيرة نحو الخمسين، وأنني لم أقف عليه، وقد يسر الله تعالى الوقوف على كلامه، وتتبعت ما ذكره متأملًا فلم أجد فيه زيادة على الأجوبة العشرة التي حررتها هناك إلا إشارات صوفية وأشياء تكررت معنًى وإن تغايرت لفظًا وغالبها يمكن ردها إلى ما ذكرته، فمن ذلك:

قوله: لأنه عبادة خالية عن السعي، وإنما هي ترك محض. وقوله: يقول هو لي فلا يشغلك ما هو لك عما هو في. وقوله: من شغله ما لي عني أعرضت عنه وإلا كنت له عوضًا عن الكل. وقوله: لا يقطعك ما لي عني. وقوله: لا يشغلك الملك عن المالك. وقوله: فلا تطلب غيري. وقوله: فلا يفسد ما لي عليك بك. وقوله: فاشكرني على أن جعلتك محلا للقيام بما هو لي. وقوله: فلا تجعل لنفسك فيه حكمًا. وقوله: فمن ضيع حرمة ما لي ضيعت حرمة ما له لأن فيه جبر الفرائض والحدود. وقوله: فمن أداه بما لي وهو نفسه صح البيع. وقوله: فكن حيث تصلح أن تؤدي ما لي. وقوله: أضافه إلى نفسه لأن به يتذكر العبد نعمة الله عليه في الشبع. وقوله: لأن فيه تقديم رضا الله على هوى النفس. وقوله: لأن فيه التمييز بين الصائم المطيع وبين الآكل العاصي. وقوله: لأنه كان محل نزول القرآن. وقوله: لأن ابتداءه على المشاهدة وانتهاءه على المشاهدة لحديث «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**». وقوله: لأن فيه رياضة النفس بترك المألوفات. وقوله: لأن فيه حفظ الجوارح عن المخالفات. وقوله: لأن فيه قطع الشهوات. وقوله: لأن فيه مخالفة النفس بترك محبوبها وفي مخالفة النفس موافقة الحق. وقوله: لأن فيه فرحة اللقاء.

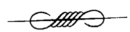
---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب: هل يقول: إني صائم إذا شُتِم، برقم (١٩٠٤)، ومسلم واللفظ له، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، برقم (١١٥١).

(٢) من أطراف حديث مسلم السابق.

وقوله: لأن فيه مشاهدة الآمر به. وقوله: لأن فيه مجمع العبادات لأن مدارها على الصبر والشكر وهما حاصلان فيه. وقوله: معناه الصائم لي لأن الصوم صفة الصائم. وقوله: معنى الإضافة الإشارة إلى الحماية لئلا يطمع الشيطان في إفساده. وقوله: لأنه عبادة استوى فيها الحر والعبد والذكر والأنثى.

وهذا عنوان ما ذكره مع إسهاب في العبارة، ولم أستوعب ذلك لأنه ليس على شرطي في هذا الكتاب، وإنما كنت أجد النفس متشوقة إلى الوقوف على تلك الأجوبة، وغالب من نقل عنه من شيوخنا لا يسوقها وإنما يقتصر على أن الطالقاني أجاب عنه بنحوٍ من خمسين أو ستين جوابًا ولا يذكر منه شيئًا، فلا أدري أتركوه إعراضًا أو مللاً، أو اكتفى الذي وقف عليه أولاً بالإشارة ولم يقف عليه من جاء من بعده، والله أعلم.



أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ

(٢٢) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا.

تَابَعَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ هِلاَلٍ وَقَالَ سَعِيدٌ: عَنْ هِلاَلٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ سَلاَمٍ.

غُلْفٌ: كُلُّ شَيْءٍ فِي غِلاَفٍ: سَيْفٌ أَغْلَفُ، وَقَوْسٌ غَلْفَاءُ، وَرَجُلٌ أَغْلَفُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَخْتُونًا [١].

الشرح [٢]:

قوله: (تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال) ستأتي هذه المتابعة موصولةً في تفسير سورة الفتح.

قوله: (وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن ابن سلام) سعيد هو ابن أبي هلال، وقد خالف عبد العزيز وفليحًا في تعيين الصحابي، وطريقه هذه وصلها الدارمي في مسنده [٣] ويعقوب بن سفيان في تاريخه والطبراني، جميعًا بإسنادٍ واحدٍ عنه [٤]، ولا مانع أن يكون عطاء بن يسار حمله

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، حديث (٢١٢٥).

(٢) فتح الباري (٤/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه الدارمي، كتاب: المقدمة، باب: صفة النبي ﷺ في الكتب، برقم (٦) وقد صححه الألباني كما في «صحيح السيرة النبوية» ص(٧٧).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٨٩)، برقم (١٠٠٤٦)، قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٧١): فيه من لم أعرفهم.

عن كل منهما، فقد أخرجه ابن سعد من طريق زيد بن أسلم قال: **«بلغنا أن عبد الله بن سلام كان يقول»** [(١)] فذكره. وأظن المبلغ لزيدٍ هو عطاء بن يسار فإنه معروفٌ بالرواية عنه فيكون هذا شاهدًا لرواية سعيد بن أبي هلال والله أعلم.

وسأذكر لرواية عبد الله بن سلام متابعاتٍ في تفسير سورة الفتح. ومما جاء عنه في ذلك مجملًا ما أخرجه الترمذي من طريق محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: **«مكتوب في التوراة صفة محمدٍ ﷺ وعيسى بن مريم يدفن معه»**.

* * *

(٢٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» [(٢)].

الشرح [(٣)]:

قوله: (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) تقدم بيان الاختلاف فيه على عطاء بن يسار في البيوع أيضًا، وتقدم في تلك الرواية سبب تحديث عبد الله بن عمرو به، وأنهم سألوه عن صفة النبي ﷺ في التوراة فقال: **«أجل إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن»**. وللدارمي من طريق أبي صالح ذكوان عن كعب قال: **«في السطر الأول محمد رسول الله عبدي المختار»** [(٤)].

قوله: (**إن هذه الآية التي في القرآن** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾) **قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا**) أي شاهدًا على الأمة ومبشرًا للمطيعين بالجنة وللعصاة بالنار، أو شاهدًا للرسل قبله بالإبلاغ.

قوله: (وحرزًا) بكسر المهملة وسكون الراء بعدها زاي أي حصنًا، والأميين هم العرب، وقد

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٦٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، حديث (٤٨٣٨).

(٣) فتح الباري (٨/ ٥٨٦).

(٤) أخرجه الدارمي، كتاب: المقدمة، باب: صفة النبي ﷺ في الكتب، برقم (٧) رواه مقطوعًا، عن كعب وهو تابعي، وفيه زيد بن عوف: متروك.

تقدم شرح ذلك في البيوع.

قوله: (سميتك المتوكل) أي على الله لقناعته باليسير، والصبر على ما كان يكره.

قوله: (ليس) كذا وقع بصيغة الغيبة على طريق الالتفات، ولو جرى على النسق الأول لقال لست.

قوله: (بفظ ولا غليظ) هو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] ولا يعارض قوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣] لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه، والأمر محمول على المعالجة، أو النفي بالنسبة للمؤمنين، والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين، كما هو مصرح به في نفس الآية.

قوله: (ولا سخاب) كذا فيه بالسين المهملة وهي لغة أثبتها الفراء وغيره، وبالصاد أشهر، وقد تقدم ذلك أيضًا.

قوله: (ولا يدفع السيئة بالسيئة) هو مثل قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون:٩٦] زاد في رواية كعب **«مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام»**.

قوله: (ولن يقبضه) أي يميته.

قوله: (حتى يقيم به) أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد والملة العوجاء ملة الكفر.

قوله: (فيفتح بها) أي بكلمة التوحيد (أعينًا عميًا) أي عن الحق وليس هو على حقيقته، ووقع في رواية القابسي **«أعين عمي»** بالإضافة، وكذا الكلام في الآذان والقلوب.

وفي مرسل جبير بن نفير بإسنادٍ صحيح عند الدارمي: **«ليس بوهنٍ ولا كسل، ليختن قلوبًا غلفًا، ويفتح أعينًا عميًا، ويسمع آذانًا صما، ويقيم ألسنة عوجاء حتى يقال لا إله إلا الله وحده»** [(١)].

(تنبيه): قيل أتى بجمع القلة في قوله: (أعين) للإشارة إلى أن المؤمنين أقل من الكافرين، وقيل بل جمع القلة قد يأتي في موضع الكثرة وبالعكس كقوله: (ثلاثة قروء) والأول أولى.

ويحتمل أن يكون هو نكتة العدول إلى جمع القلة أو للمؤاخاة في قوله: (آذانًا) وقد ترد القلوب على المعنى الأول، وجوابه أنه لم يسمع للقلوب جمع قلة كما لم يسمع للآذان جمع كثرة.

---

(١) أخرجه الدارمي، كتاب: المقدمة، باب: صفة النبي ﷺ في الكتب، برقم (٩)، وهو مرسل، وبقية: يدلس عن الضعفاء، وخالد بن معدان: كثير الإرسال.

ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(٢٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (ثلاثةٌ: أنا خصمهم) زاد ابن خزيمة وابن حبان والإسماعيلي في هذا الحديث «ومن كنت خصمه خصمته» قال ابن التين: هو سبحانه وتعالى خصمٌ لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح، والخصم يطلق على الواحد وعلى الاثنين وعلى أكثر من ذلك، وقال الهروي الواحد بكسر أوله، وقال الفراء الأول قول الفصحاء، ويجوز في الاثنين خصمان والثلاثة خصومٌ.

قوله: (أعطى بي ثم غدر) كذا للجميع على حذف المفعول والتقدير أعطى يمينه بي أي عاهد عهدًا وحلف عليه بالله ثم نقضه.

قوله: (باع حرا فأكل ثمنه) خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصودٍ، ووقع عند أبي داود من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا «ثلاثةٌ لا تقبل منهم صلاةٌ» فذكر فيهم «ورجلٌ اعتبد محررًا» وهذا أعم من الأول في الفعل وأخص منه في المفعول به، قال الخطابي: اعتباد الحر يقع بأمرين:

أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحد، والثاني أن يستخدمه كرهًا بعد العتق، والأول أشدهما.

قلت: وحديث الباب أشد لأن فيه مع كتم العتق أو جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع وأكل الثمن فمن ثم كان الوعيد عليه أشد، قال المهلب: وإنما كان إثمه شديدًا لأن المسلمين أكفاء في الحرية، فمن باع حرا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له وألزمه الذل الذي أنقذه الله منه.

وقال ابن الجوزي: الحر عبد الله، فمن جنى عليه فخصمه سيده.

وقال ابن المنذر: لم يختلفوا في أن من باع حرا أنه لا قطع عليه، يعني إذا لم يسرقه من حرز مثله، إلا ما يروى عن علي تقطع يد من باع حرا قال: وكان في جواز بيع الحر خلافٌ قديمٌ ثم

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرا، حديث (٢٢٢٧).

(٢) فتح الباري (٤/٤١٨).

ارتفع، فروي عن علي قال: من أقر على نفسه بأنه عبدٌ فهو عبدٌ.

قلت: يحتمل أن يكون محله فيمن لم تعلم حريته، لكن روى ابن أبي شيبة من طريق قتادة: **«أن رجلاً باع نفسه، فقضى عمر بأنه عبدٌ، وجعل ثمنه في سبيل الله»** [(١)] ومن طريق زرارة بن أوفى أحد التابعين أنه باع حرا في دينٍ.

ونقل ابن حزم أن الحر كان يباع في الدين حتى نزلت ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] ونقل عن الشافعي مثل رواية زرارة، ولا يثبت ذلك أكثر الأصحاب واستقر الإجماع على المنع.

قوله: (ورجلٌ استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره) هو في معنى من باع حرا وأكل ثمنه لأنه استوفى منفعته بغير عوضٍ وكأنه أكلها، ولأنه استخدمه بغير أجرةٍ وكأنه استعبده.

* * *

(٢٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلاً، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» [(٢)].

الشرح [(٣)]:

قوله: (مثلكم ومثل أهل الكتابين) كذا في رواية أيوب، والمراد بأهل الكتابين اليهود والنصارى.

قوله: (كمثل رجل) في السياق حذف تقديره مثلكم مع نبيكم ومثل أهل الكتابين مع أنبيائهم كمثل رجل استأجر، فالمثل مضروب للأمة مع نبيهم والممثل به الأجراء مع من استأجرهم.

قوله: (على قيراط) زاد في رواية عبد الله بن دينار **«على قيراط قيراط»** وهو المراد.

---

(١) عزاه الحافظ في «الفتح»، (٤/٤١٨)، لابن أبي شيبة، من طريق قتادة.
(٢) رواه البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف الليل، حديث (٢٢٦٨).
(٣) فتح الباري (٤/٤٤٦).

قوله: (فعملت اليهود) زاد ابن دينار «على قيراط قيراط» وزاد الزهري عن سالم عن أبيه كما تقدم في الصلاة «حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا» وكذا وقع في بقية الأمم، والمراد بالقيراط النصيب وهو في الأصل نصف دانق والدانق سدس درهم.

قوله: (إلى صلاة العصر) يحتمل أن يريد به أول وقت دخولها، ويحتمل أن يريد أول حين الشروع فيها، والثاني يرفع الإشكال السابق في المواقيت على تقدير تسليم أن الوقتين متساويان، أي ما بين الظهر والعصر وما بين العصر والمغرب، فكيف يصح قول النصارى إنهم أكثر عملاً من هذه الأمة؟ وقد قدمت هناك عدة أجوبة عن ذلك فلتراجع من ثم.

ومن الأجوبة التي لم تتقدم: أن قائل: «ما لنا أكثر عملاً» اليهود خاصة، ويؤيده ما وقع في التوحيد بلفظ: «فقال أهل التوراة».

ويحتمل أن يكون كل من الفريقين قال ذلك، أما اليهود: فلأنهم أطول زمانًا فيستلزم أن يكونوا أكثر عملاً، وأما النصارى: فلأنهم وازنوا كثرة أتباعهم بكثرة زمن اليهود؛ لأن النصارى آمنوا بموسى وعيسى جميعًا أشار إلى ذلك الإسماعيلي.

ويحتمل أن تكون أكثرية النصارى باعتبار أنهم عملوا إلى آخر صلاة العصر وذلك بعد دخول وقتها أشار إلى ذلك ابن القصار وابن العربي، وقد قدمنا أنه لا يحتاج إليه؛ لأن المدة التي بين الظهر والعصر أكثر من المدة التي بين العصر والمغرب، ويحتمل أن تكون نسبة ذلك إليهم على سبيل التوزيع: فالقائل نحن أكثر عملاً اليهود، والقائل نحن أقل أجرًا النصارى وفيه بعد.

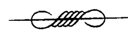
وحكى ابن التين أن معناه أن عمل الفريقين جميعًا أكثر وزمانهم أطول، وهو خلاف ظاهر السياق.

قوله: (فغضبت اليهود والنصارى) أي الكفار منهم.

قوله: (ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاء) بنصب أكثر وأقل على الحال كقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ وقد تقدمت مباحث هذه الجملة في كتاب المواقيت.

قوله: (من حقكم) أطلق لفظ: «الحق» لقصد المماثلة وإلا فالكل من فضل الله تعالى.

قوله: (فذلك فضلي أوتيه من أشاء) فيه حجة لأهل السنة على أن الثواب من الله على سبيل الإحسان منه جل جلاله.



دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ

(٢٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ قَالَ: فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لاَ تَجِدُهُ إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (وعنده رجل من أهل البادية) لم أقف على اسمه.

قوله: (استأذن ربه في الزرع) أي في أن يباشر الزراعة.

قوله: (فقال له: ألست فيما شئت) في رواية محمد بن سنان «أولست» بزيادة واو.

قوله: (فبذر) أي ألقى البذر فنبت في الحال، وفي السياق حذف تقديره: فأذن له فبذر (فبادر) في رواية محمد بن سنان «فأسرع فتبادر».

قوله: (الطرف) بفتح الطاء وسكون الراء امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه، ويطلق أيضًا على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا.

قوله: (واستحصاده) زاد في التوحيد «وتكويره» أي جمعه، وأصل الكور الجماعة الكثيرة من الإبل، والمراد أنه لما بذر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم إلا قدر لمحة البصر.

وقوله: (دونك) بالنصب على الإغراء أي خذه.

قوله: (لا يشبعك شيء) في رواية محمد بن سنان «لا يسعك» بفتح أوله والمهملة وضم العين وهو متحد المعنى.

قوله: (فقال الأعرابي) بفتح الهمزة أي ذلك الرجل الذي من أهل البادية.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب كراء الأرض بالذهب والفضة، حديث (٢٣٤٨).
(٢) فتح الباري (٥/ ٢٧).

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن كل ما اشتهي في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها قاله المهلب.

وفيه: وصف الناس بغالب عاداتهم قاله ابن بطال.

وفيه: أن النفوس جبلت على الاستكثار من الدنيا.

وفيه: إشارة إلى فضل القناعة وذم الشر.

وفيه: الإخبار عن الأمر المحقق الآتي بلفظ الماضي.

* * *

(٢٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ، » فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [١].

الشرح [٢]:

حديث أبي هريرة «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه» في رواية السرخسي «يستأذن ربه في الزرع».

قوله: (فأحب أن أزرع فأسرع) فيه حذف تقديره فأذن له فزرع فأسرع.

قوله: (فإنه لا يشبعك شيء) كذا للأكثر بالمعجمة والموحدة من الشبع، وللمستملي «لا يسعك شيء» بالمهملة بغير موحدة من الوسع.

قوله: (فقال الأعرابي يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع) قال الداودي: قوله: «قرشيا» وهم؛ لأنه لم يكن لأكثرهم زرع.

قلت: وتعليله يرد على نفيه المطلق فإذا ثبت أن لبعضهم زرعًا صدق قوله أن الزارع

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، حديث (٧٥١٩).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٨٨).

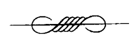
المذكور منهم.

واستشكل قوله: «**لا يشبعك شيء**» بقوله تعالى في صفة الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ١١٨].

وأجيب: بأن نفي الشبع لا يوجب الجوع؛ لأن بينهما واسطة، وهي الكفاية، وأكل أهل الجنة للتنعم والاستلذاذ لا عن الجوع.

واختلف في الشبع فيها، والصواب: أن لا شبع فيها، إذ لو كان لمنع دوام أكل المستلذ.

والمراد بقوله: «**لا يشبعك شيء**» جنس الآدمي، وما طبع عليه فهو في طلب الازدياد إلا من شاء الله تعالى.



سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ

(٢٨) عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (١).

* * *

(٢٩) عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ» (٢).

الشرح (٣):

قوله: (يدنو أحدكم من ربه) قال ابن التين: يعني يقرب من رحمته، وهو سائغ في اللغة يقال: فلان قريب من فلان ويراد الرتبة، ومثله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: (فيضع كنفه) بفتح الكاف والنون بعدها فاء المراد بالكنف: الستر، وقد جاء مفسرًا بذلك في رواية عبد الله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة فقال في آخر الحديث: قال عبد الله بن المبارك: كنفه ستره أخرجه المصنف في كتاب خلق أفعال العباد، والمعنى أنه تحيط به عنايته التامة، ومن رواه بالمثناة المكسورة فقد صحف على ما جزم به جمع من العلماء.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، حديث (٢٤٤١).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث (٧٥١٤).

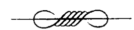
(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٧٧).

قوله: (وقال آدم: حدثنا شيبان) هو ابن عبد الرحمن إلى آخره ذكر هذه الرواية لتصريح قتادة فيها بقوله: حدثنا صفوان وهكذا ذكره عن آدم في كتاب خلق أفعال العباد.

(تنبيهان):

أحدهما: ليس في أحاديث الباب كلام الرب مع الأنبياء إلا في حديث أنس وسائر أحاديث الباب في كلام الرب مع غير الأنبياء، وإذا ثبت كلامه مع غير الأنبياء فوقوعه للأنبياء بطريق الأولى.

الثاني: تقدم في الحديث الأول ما يتعلق بالترجمة، وأما الثاني فيختص بالركن الثاني من الترجمة وهو قوله وغيرهم، وأما سائرها فهو شاملٌ للأنبياء ولغير الأنبياء على وفق الترجمة.



يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي

(٣٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - أُرَاهُ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي» (١).

الشرح (٢):

قوله: (يشتمني ابن آدم) بكسر التاء من «يشتمني» والشتم هو الوصف بما يقتضي النقص، ولا شك أن دعوى الولد لله يستلزم الإمكان المستدعي للحدوث، وذلك غاية النقص في حق الباري سبحانه وتعالى، والمراد من الحديث هنا قوله: ليس يعيدني كما بدأني وهو قول منكري البعث من عباد الأوثان.

* * *

(٣١) عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا» (٣).

* * *

(٣٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]، حديث (٣١٩٣).

(٢) فتح الباري (٦/ ٢٩١).

(٣) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وقالوا اتخذ الله ولدا، حديث (٤٤٨٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله الله الصمد، حديث (٤٩٧٥).

الشرح [(١)]:

قوله: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك) في رواية أحمد عن عبد الرزاق «كذبني عبدي» [(٢)].

قوله: (وشتمني ولم يكن له ذلك) ثبت هنا في رواية الكشميهني، وكذا هو عند أحمد، وسقط بقية الرواة عن الفربري وكذا النسفي، والمراد به: بعض بني آدم، وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الأوثان والدهرية ومن ادعى أن لله ولدًا من العرب أيضًا ومن اليهود والنصارى.

قوله: (أما تكذيبه إياي أن يقول إني لن أعيده كما بدأته) كذا لهم بحذف الفاء في جواب «أما» وقد وقع في رواية الأعرج في الباب الذي قبله «فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني» وفي رواية أحمد: «أن يقول: فليعدنا كما بدأنا» [(٣)] وهي من شواهد ورود صيغة «أفعل» بمعنى التكذيب، ومثله قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقع في رواية الأعرج في الباب قبله «وليس بأول الخلق بأهون من إعادته» وقد تقدم الكلام على لفظ «أهون» في بدء الخلق وقول من قال إنها بمعنى هين وغير ذلك من الأوجه.

قوله: (وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد) في رواية الأعرج «وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد».

قوله: (ولم يكن لي كفوًا أحد) كذا للأكثر، وهو وزان ما قبله. ووقع للكشميهني «ولم يكن له» وهو التفات، وكذا في رواية الأعرج «ولم يكن لي» بعد قوله: «لم يلد» وهو التفات أيضًا. ولما كان الرب سبحانه واجب الوجود لذاته قديمًا موجودًا قبل وجود الأشياء، وكان كل مولود محدثًا، انتفت عنه الوالدية، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فتتوالد انتفت عنه الوالدية، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] وقد تقدم في تفسير البقرة حديث ابن عباس بمعنى حديث أبي هريرة هذا، لكن قال في آخره: «فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا» بدل قوله: «وأنا الأحد الصمد إلخ» وهو محمول على أن كلا من الصحابيين حفظ في آخره ما لم يحفظ الآخر.

ويؤخذ منه: أن من نسب غيره إلى أمر لا يليق به يطلق عليه: أنه شتمه، وسبق في كتاب بدء الخلق تقرير ذلك.

قوله: (كفوًا وكفيئًا وكفاء واحد) أي: بمعنًى واحد وهو قول أبي عبيدة، والأول بضمتين،

---

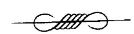
(١) فتح الباري (٨/ ٤٨٠).
(٢) أخرجه أحمد، (٢٧٤٤٢).
(٣) انظر ما قبله.

والثاني بفتح الكاف وكسر الفاء بعدها تحتانية ثم الهمزة والثالث بكسر الكاف ثم المد.

وقال الفراء: كفوًا يثقل ويخفف، أي: يضم ويسكن.

قلت: وبالضم قرأ الجمهور، وفتح حفص الواو بغير همز. وبالسكون قرأ حمزة وبهمزٍ في الوصل ويبدلها واوًا في الوقف، ومراد أبي عبيدة أنها لغات لا قراءات نعم روي في الشواذ عن سليمان بن علي العباسي أنه قرأ بكسرٍ ثم مد، وروي عن نافع مثله لكن بغير مد.

ومعنى الآية: أنه لم يماثله أحد ولم يشاكله، أو المراد: نفي الكفاءة في النكاح نفيًا للمصاحبة، والأول أولى، فإن سياق الكلام لنفي المكافأة عن ذاته تعالى.



إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي

(٣٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»(١).

الشرح (٢):

قوله: (لما قضى الله الخلق) أي خلق الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أو المراد أوجد جنسه، وقضى يطلق بمعنى حكم وأتقن وفرغ وأمضى.

قوله: (كتب في كتابه) أي أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ، وقد تقدم في حديث عبادة بن الصامت قريبًا «فقال للقلم اكتب» فجرى بما هو كائن. ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللفظ الذي قضاه، وهو كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١].

قوله: (فهو عنده فوق العرش) قيل معناه دون العرش، وهو كقوله تعالى: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش، ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره لأن العرش خلق من خلق الله، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «فهو عنده» أي ذكره أو علمه فلا تكون العندية مكانية بل هي إشارة إلى كمال كونه مخفيا عن الخلق مرفوعًا عن حيز إدراكهم. وحكى الكرماني أن بعضهم زعم أن لفظ: «فوق» زائد كقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١١] والمراد اثنتان فصاعدًا، ولم يتعقبه وهو متعقب، لأن محل دعوى الزيادة ما إذا بقي الكلام مستقيمًا مع حذفها كما في الآية، وأما في الحديث فإنه يبقى مع الحذف، فهو عنده العرش وذلك غير مستقيم.

قوله: (إن رحمتي) بفتح إن على أنها بدل من كتب، وبكسرها على حكاية مضمون الكتاب.

قوله: (غلبت) في رواية شعيب عن أبي الزناد في التوحيد «سبقت» بدل غلبت، والمراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق، أي تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب، لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث، وبهذا التقرير يندفع استشكال من أورد

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ حديث (٣١٩٤).

(٢) فتح الباري (٦/ ٢٩١).

وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن، كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها.

وقيل: معنى الغلبة الكثرة والشمول، تقول غلب على فلان الكرم أي أكثر أفعاله، وهذا كله بناء على أن الرحمة والغضب من صفات الذات، وقال بعض العلماء الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات، ولا مانع من تقدم بعض الأفعال على بعض فتكون الإشارة بالرحمة إلى إسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلاً ومقابلها ما وقع من إخراجه منها، وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة في خلقهم بالتوسع عليهم من الرزق وغيره، ثم يقع بهم العذاب على كفرهم. وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم أيضًا، ولولا وجودها لخلدوا أبدًا.

وقال الطيبي: في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك.

* * *

(٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ - وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ - وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ، إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[١].

الشرح[٢]:

قوله: (كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه) كذا لأبي ذر وسقطت الواو لغيره، وعلى الأول فالجملة حالية، وعلى الثاني فيكتب على نفسه، بيان لقوله: «كتب» والمكتوب هو قوله: «إن رحمتي» إلخ، وقوله: «وهو» أي المكتوب وضع بفتح فسكون أي موضوع، ووقع كذلك في الجمع للحميدي بلفظ موضوع وهي رواية الإسماعيلي فيما أخرجه من وجه آخر عن أبي حمزة المذكور في السند وهو بالمهملة والزاي واسمه محمد بن ميمون السكري.

وحكى عياض عن رواية أبي ذر «وضع» بالفتح على أنه فعل ماضٍ مبني للفاعل، ورأيته في

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] حديث (٧٤٠٤).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٨٥).

نسخة معتمدة بكسر الضاد مع التنوين، وقد مضى شرح هذا الحديث في أوائل بدء الخلق، ويأتي شيء من الكلام عليه في باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود :٧] وفي باب ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج :٢١-٢٢] أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما قوله: (عنده) فقال ابن بطال عند في اللغة للمكان، والله منزهٌ عن الحلول في المواضع؛ لأن الحلول عرض يفنى وهو حادث والحادث لا يليق بالله، فعلى هذا قيل: معناه إنه سبق علمه بإثابة من يعمل بطاعته وعقوبة من يعمل بمعصيته، ويؤيده قوله في الحديث الذي بعده: «أنا عند ظن عبدي بي» ولا مكان هناك قطعًا، وقال الراغب: «عند» لفظ موضوع للقرب ويستعمل في المكان وهو الأصل، ويستعمل في الاعتقاد، تقول: عندي في كذا كذا أي: أعتقده، ويستعمل في المرتبة ومنه ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران :١٦٩] ، وأما قوله: «إن كان هذا هو الحق من عندك» فمعناه من حكمك.

وقال ابن التين: معنى العندية في هذا الحديث: العلم بأنه موضوع على العرش، وأما كتبه فليس للاستعانة لئلا ينساه فإنه منزهٌ عن ذلك لا يخفى عنه شيء وإنما كتبه من أجل الملائكة الموكلين بالمكلفين.

* * *

(٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» (١) .

الشرح (٢):

قال الخطابي: المراد بالكتاب أحد شيئين:

إما القضاء: الذي قضاه كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة :٢١] أي قضى ذلك، قال: ويكون معنى قوله: «فوق العرش» أي: عنده علم ذلك فهو لا ينساه ولا يبدله، كقوله تعالى: ﴿فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه :٥٢] .

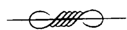
وإما اللوح المحفوظ: الذي فيه ذكر أصناف الخلق وبيان أمورهم وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم، ويكون معنى «فهو عنده فوق العرش» أي ذكره وعلمه وكل ذلك جائز في التخريج،

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود :٧] ، حديث (٧٤٢٢).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٤١٣).

على أن العرش خلق مخلوق تحمله الملائكة، فلا يستحيل أن يماسوا العرش إذا حملوه، وإن كان حامل العرش وحامل حملته هو الله، وليس قولنا إن الله على العرش أي مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته بل هو خبر جاء به التوقيف، فقلنا له به ونفينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شيء وبالله التوفيق.

وقوله: (فوق عرشه) صفة الكتاب، وقيل إن فوق هنا بمعنى دون، كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] وهو بعيدٌ، وقال ابن أبي جمرة: يؤخذ من كون الكتاب المذكور فوق العرش أن الحكمة اقتضت أن يكون العرش حاملاً لما شاء الله من أثر حكمة الله وقدرته وغامض غيبه ليستأثر هو بذلك من طريق العلم والإحاطة، فيكون من أكبر الأدلة على انفراده بعلم الغيب، قال: وقد يكون ذلك تفسيرًا لقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أي ما شاءه من قدرته وهو كتابه الذي وضعه فوق العرش.



إنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ

(٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إذا أحب الله العبد إلخ) زاد روح بن عبادة عن ابن جريج في آخره عند الإسماعيلي «وإذا أبغض، فمثل ذلك» وقد أخرجه أحمد عن روح بدون الزيادة [٣]، وسيأتي تمام شرحه في كتاب الأدب إن شاء الله تعالى.

* * *

(٣٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ» [٤].

الشرح [٥]:

قوله: (إذا أحب الله العبد) وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها، ففي حديث ثوبان «إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول: يا جبريل إن عبدي فلانًا يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي غلبت عليه» الحديث أخرجه أحمد والطبراني في «الأوسط» [٦] ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقاق ففيه: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث.

قوله: (إن الله يحب فلانًا فأحبه) بفتح الموحدة المشددة ويجوز الضم، ووقع في حديث ثوبان: «فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، وتقوله حملة العرش».

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث (٣٢٠٩).
(٢) فتح الباري (٦/٣٠٩).
(٣) أخرجه أحمد، (١٠٢٩٦)، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (٢٨٣).
(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب المِقَةِ من الله تعالى، حديث (٦٠٤٠).
(٥) فتح الباري (١٠/٤٦٢). (٦) سبق تخريجه.

قوله: (فينادي جبريل في أهل السماء إلخ) في حديث ثوبان أهل السماوات السبع.

قوله: (ثم يوضع له القبول في أهل الأرض) زاد الطبراني في حديث ثوبان: «ثم يهبط إلى الأرض، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]»[١] وثبتت هذه الزيادة في آخر هذا الحديث عند الترمذي وابن أبي حاتم من طريق سهيل عن أبيه[٢]، وقد أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ، وزاد مسلم فيه: «وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل»[٣] فساقه على منوال الحب وقال في آخره: «ثم يوضع له البغضاء في الأرض» ونحوه في حديث أبي أمامة عند أحمد.

وفي حديث ثوبان عند الطبراني «وإن العبد يعمل بسخط الله فيقول الله: يا جبريل إن فلانًا يستسخطني»[٤] فذكر الحديث على منوال الحب أيضًا، وفيه «فيقول جبريل: سخطة الله على فلان» وفي آخره مثل ما في الحب «حتى يقوله أهل السماوات السبع، ثم يهبط إلى الأرض» وقوله: «يوضع له القبول» هو من قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران:٣٧] أي رضيها، قال المطرزي: القبول مصدر لم أسمع غيره بالفتح؛ وقد جاء مفسرًا في رواية القعنبي «فيوضع له المحبة» والقبول الرضا بالشيء وميل النفس إليه، وقال ابن القطاع: قبل الله منك قبولاً، والشيء والهدية أخذت. والخبر صدق، وفي التهذيب: عليه قبول إذا كانت العين تقبله، والقبول من الريح الصبا لأنها تستقبل الدبور، والقبول أن يقبل العفو والعافية وغير ذلك، وهو اسم للمصدر أميت الفعل منه.

وقال أبو عمرو بن العلاء: القبول بفتح القاف لم أسمع غيره، يقال فلان عليه قبول إذا قبلته النفس، وتقبلت الشيء قبولاً. ونحوه لابن الأعرابي وزاد: قبلته قبولاً بالفتح والضم، وكذا قبلت هديته عن اللحياني. قال ابن بطال: في هذه الزيادة رد على ما يقوله القدرية: إن الشر من فعل العبد وليس من خلق الله انتهى، والمراد بالقبول في حديث الباب: قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه.

ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله، ويؤيده ما تقدم في الجنائز «أنتم شهداء الله

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، (٢/ ٥٧، ٥٨)، برقم (١٢٤٠)، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٢): رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم، برقم (٣١٦١)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٢٧٢) للطبراني في «الأوسط»، وقال: رجاله ثقات.

في الأرض» [١] والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعًا لله محبا له، ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن، وقد تطلق محبة الله تعالى للشيء على إرادة إيجاده وعلى إرادة تكميله، والمحبة التي في هذا الباب من القبيل الثاني، وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانًا لا يمكن التعبير عنه، والحب على ثلاثة أقسام: إلهي وروحاني وطبيعي، وحديث الباب يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة، فحب الله العبد حب إلهي، وحب جبريل والملائكة له حب روحاني، وحب العباد له حب طبيعي.

* * *

(٣٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ» [٢].

الشرح [٣]:

قوله: (إن الله قد أحب فلانًا) كذا هنا بصيغة الفعل الماضي، وفي رواية نافع عن أبي هريرة الماضية في الأدب «إن الله يحب فلانًا» بصيغة المضارعة، وفي الأول إشارة إلى سبق المحبة على النداء، وفي الثاني إشارة إلى استمرار ذلك وقد تقدمت مباحثه في «كتاب الأدب» قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: في تعبيره عن كثرة الإحسان بالحب تأنيس العباد وإدخال المسرة عليه؛ لأن العبد إذا سمع عن مولاه أنه يحبه حصل على أعلى السرور عنده وتحقق بكل خير، ثم قال: وهذا إنما يتأتى لمن في طبعه فتوة ومروءة وحسن إنابة كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] وأما من في نفسه رعونة وله شهوة غالبة فلا يرده إلا الزجر بالتعنيف والضرب، قال: وفي تقديم الأمر بذلك لجبريل قبل غيره من الملائكة إظهار لرفيع منزلته عند الله تعالى على غيره منهم. قال: ويؤخذ من هذا الحديث: الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها فرضها وسنتها.

ويؤخذ منه أيضًا: كثرة التحذير عن المعاصي والبدع؛ لأنها مظنة السخط وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت، برقم (١٣٦٧)، ومسلم، كتاب: الجنائز، باب: فيمن يثني عليه خيرًا أو شرًا من الموتى، برقم (٩٤٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبرائيل ونداء الله الملائكة، حديث (٧٤٨٥).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٦٢).

أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ

(٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]» [١].

* * *

(٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

الشرح [٢]:

قوله: (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي) ووقع في حديث آخر **«أن سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلةً؟ فقال: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** أخرجه مسلم والترمذي من طريق الشعبي سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ **«أن موسى سأل ربه»** [٣] فذكر الحديث بطوله وفيه هذا، وفي آخره: قال: ومصداق ذلك في كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

قوله: (ولا خطر على قلب بشر) زاد ابن مسعود في حديثه **«ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل»** أخرجه ابن أبي حاتم [٤]، وهو يدفع قول من قال: إنما قيل: البشر لأنه يخطر بقلوب الملائكة. والأولى حمل النفي فيه على عمومه فإنه أعظم في النفس.

* * *

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٤٤).

(٢) فتح الباري (٨/ ٥١٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٨٩)، والترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة السجدة، برقم (٣١٩٨).

(٤) انظر «الفتح» (٨/ ٥١٦).

(٤١) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الأَعْمَشِ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنَ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنَ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا، بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]».

قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «قُرَّاتِ أَعْيُنٍ»[(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (ذخرًا) بضم الدال المهملة وسكون المعجمة منصوب متعلق بأعددت أي جعلت ذلك لهم مذخورًا.

قوله: (من بَلْهَ ما أطلعتم عليه) قال الخطابي كأنه يقول: دع ما أطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادخر لهم.

قلت: وهذا لائق بشرح «بله» بغير تقدم «من» عليها، وأما إذا تقدمت من عليها فقد قيل: هي بمعنى كيف ويقال: بمعنى أجل ويقال: بمعنى غير أو سوى وقيل: بمعنى فضل، لكن قال الصغاني: اتفقت نسخ الصحيح على «من بله» والصواب: إسقاط كلمة «من» وتعقب بأنه لا يتعين إسقاطها إلا إذا فسرت بمعنى دع، وأما إذا فسرت بمعنى من أجل أو من غير أو سوى فلا، وقد ثبت في عدة مصنفات خارج الصحيح بإثبات «من».

وأخرجه سعيد بن منصور ومن طريقه ابن مردويه من رواية أبي معاوية عن الأعمش كذلك [(٣)].

وقال ابن مالك: المعروف «بله» اسم فعل بمعنى اترك ناصبًا لما يليها بمقتضى المفعولية، واستعماله مصدرًا بمعنى الترك مضافًا إلى ما يليه، والفتحة في الأولى بنائية وفي الثانية إعرابية، وهو مصدر مهمل الفعل ممنوع الصرف.

وقال الأخفش: بله هنا مصدر كما تقول ضرب زيد، وندر دخول من عليها زائدة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، حديث (٤٧٨٠).

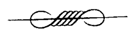
(٢) فتح الباري (٨/ ٥١٦).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١/ ٣٤٦)، برقم (٣٨٢)، من طريق معاوية عن الأعمش، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، (٧/ ٤٣٠).

ووقع في «المغني لابن هشام» أن بله استعملت معربة مجرورة بمن وأنها بمعنى غير ولم يذكر سواه، وفيه نظر لأن ابن التين حكى رواية: «من بله» بفتح الهاء مع وجود من، فعلى هذا فهي مبنية وما مصدرية وهي وصلتها في موضع رفع على الابتداء والخبر هو الجار والمجرور المتقدم ويكون المراد ببله كيف التي يقصد بها الاستبعاد، والمعنى من أين اطلاعكم على هذا القدر الذي تقصر عقول البشر عن الإحاطة به، ودخول من على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف في «شرح الحاجبية».

قلت: وأصح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب حيث وقع فيه «ولا خطر على قلب بشر دخرًا من بله ما أطلعتم» أنها بمعنى غير وذلك بيِّنٌ لمن تأمله، والله أعلم.

قوله: (وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح: قرأ أبو هريرة قرات أعين) وصله أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «فضائل القرآن» له عن أبي معاوية بهذا الإسناد مثله سواء، وأخرج مسلم الحديث كله عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية به [1].



(١) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم (٢٨٢٤).

اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ الْمَلائِكَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ

(٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ» (١).

الشرح (٢):

حديث أبي هريرة **«خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا»** كذا وقع من هذا الوجه، وعبد الله الراوي عن معمر هو ابن المبارك، وقد رواه عبد الرزاق عن معمر فقال **«خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعًا»** (٣)، وهذه الرواية تأتي في أول الاستئذان، وقد تقدم الكلام على معنى هذه اللفظة في أثناء كتاب العتق (٤)، وهذه الرواية تؤيد قول من قال: إن الضمير لآدم، والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطوارًا كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سويا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله: **«وطوله ستون ذراعًا»** فعاد الضمير أيضًا على آدم، وقيل: معنى قوله: **«على صورته»**: أي لم يشاركه في خلقه أحد، إبطالاً لقول أهل الطبائع.

وخص بالذكر تنبيهًا بالأعلى على الأدنى، والله أعلم.

قوله: (ستون ذراعًا) يحتمل أن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذٍ عند المخاطبين، والأول أظهر لأن ذراع كل أحد بقدر ربعه فلو كان بالذراع المعهود لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده.

قوله: (فكل من يدخل الجنة على صورة آدم) أي على صفته، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفي عند دخول الجنة، وقد تقدم بيان ذلك في **«باب صفة الجنة»** وزاد عبد

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، حديث (٣٣٢٦).

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٦٦).

(٣) أخرجه معمر في «الجامع»، (١٠/ ٣٨٤)، من طريق عبد الرزاق به، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (٣٢٣٣).

(٤) يعني: من صحيح البخاري.

الرزاق في روايته هنا «**وطوله ستون ذراعًا**» وإثبات الواو فيه لئلا يتوهم أن قوله: «**طوله**» تفسير لقوله: «**على صورة آدم**» وعلى هذا فقوله: «**طوله**» إلخ» من الخاص بعد العام.

ووقع عند أحمد من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعًا «**كان طول آدم ستين ذراعًا في سبعة أذرع عرضًا**» [١] وأما ما روى عبد الرزاق من وجه آخر مرفوعًا «**أن آدم لما أهبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، فحطه الله إلى ستين ذراعًا**» [٢] فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء خلقه.

وظاهر الحديث الصحيح أنه خلق في ابتداء الأمر على طول ستين ذراعًا وهو المعتمد، وروى ابن أبي حاتم بإسنادٍ حسنٍ عن أبي بن كعب مرفوعًا «**أن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق**» [٣].

قوله: (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك.

وقال ابن التين: قوله: «**فلم يزل الخلق ينقص**» أي كما يزيد الشخص شيئًا فشيئًا، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين، فكذلك هذا الحكم في النقص، ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق، ولا شك أن عهدهم قديم، وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة، ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال.

* * *

(٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ» [٤].

---

(١) أخرجه أحمد، (١٠٥٣٠)، وقد صححه الألباني في «المشكاة»، (٥٧٣٦).

(٢) أورده المناوي في «فيض القدير» (٣/٤٤٦).

(٣) أورده ابن كثير في «تفسيره»، (١، ٨١)، من طريق ابن أبي حاتم.

(٤) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، حديث (٦٢٢٧).

الشرح [١]:

قوله: (خلق الله آدم على صورته) تقدم بيانه في بدء الخلق، واختلف إلى ماذا يعود الضمير؟ فقيل: إلى آدم أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات، دفعًا لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، أو ابتدأ خلقه كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة. وقيل: للرد على الدهرية أنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك، فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة. وقيل: للرد على الطبائعيين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره. وقيل: للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق فعل نفسه، وقيل إن لهذا الحديث سببًا حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذي ضرب عبده فنهاه النبي ﷺ عن ذلك وقال له إن الله خلق آدم على صورته، وقد تقدم بيان ذلك في كتاب العتق، وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه «على صورة الرحمن» والمراد بالصورة الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء.

قوله: (اذهب فسلم على أولئك) فيه إشعار بأنهم كانوا على بعد، واستدل به على إيجاب ابتداء السلام لورود الأمر به، وهو بعيد بل ضعيف لأنها واقعة حال لا عموم لها، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على أن الابتداء بالسلام سنة، ولكن في كلام المازري ما يقتضي إثبات خلاف في ذلك، كذا زعم بعض من أدركناه وقد راجعت كلام المازري وليس فيه ذلك فإنه قال: ابتداء السلام سنة ورده واجب.

هذا هو المشهور عند أصحابنا، وهو من عبادات الكفاية، فأشار بقوله المشهور إلى الخلاف في وجوب الرد هل هو فرض عين أو كفاية؟ وقد صرح بعد ذلك بخلاف أبي يوسف كما سأذكره بعد، نعم وقع في كلام القاضي عبد الوهاب فيما نقله عنه عياض قال: لا خلاف أن ابتداء السلام سنة أو فرض على الكفاية فإن سلم واحد من الجماعة أجزأ عنهم، قال عياض: معنى قوله: فرض على الكفاية مع نقل الإجماع على أنه سنة أن إقامة السنن وإحياءها فرض على الكفاية.

قوله: (نفر من الملائكة) بالخفض في الرواية، ويجوز الرفع والنصب، ولم أقف على تعيينهم.

قوله: (فاستمع) في رواية الكشميهني «فاسمع».

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣).

قوله: (ما يحيونك) كذا للأكثر بالمهملة من التحية، وكذا تقدم في خلق آدم عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق، وكذا عند أحمد ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق [١]، وفي رواية أبي ذر هنا بكسر الجيم وسكون التحتانية بعدها موحدة من الجواب، وكذا هو في «الأدب المفرد» للمصنف عن عبد الله ابن محمد بالسند المذكور.

قوله: (فإنها) أي الكلمات التي يحيون بها أو يجيبون.

قوله: (تحيتك وتحية ذريتك) أي من جهة الشرع، أو المراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون. وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» وابن ماجه وصححه ابن خزيمة من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة مرفوعًا: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام والتأمين» وهو يدل على أنه شرع لهذه الأمة دونهم.

وفي حديث أبي ذر الطويل في قصة إسلامه قال: «وجاء رسول الله ﷺ» فذكر الحديث وفيه «فكنت أول من حياه بتحية الإسلام فقال: وعليك ورحمة الله» أخرجه مسلم [٢]، وأخرج الطبراني والبيهقي في «الشعب» من حديث أبي أمامة رفعه «جعل الله السلام تحية لأمتنا وأمانًا لأهل ذمتنا» [٣] وعند أبي داود من حديث عمران بن حصين «كنا نقول في الجاهلية: أنعم بك عينًا، وأنعم صباحًا» [٤] فلما جاء الإسلام نهينا عن ذلك ورجاله ثقات، لكنه منقطع. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: «كانوا في الجاهلية يقولون: حييت مساء، حييت صباحًا، فغير الله ذلك بالسلام» [٥].

قوله: (فقال: السلام عليكم) قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الله علمه كيفية ذلك تنصيصًا، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله له: «فسلم» قلت: ويحتمل أن يكون ألهمه ذلك، ويؤيده ما تقدم في «باب حمد العاطس» في الحديث الذي أخرجه ابن حبان من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه «أن آدم لما خلقه الله عطس فألهمه الله أن قال: الحمد لله» [٦] الحديث فلعله ألهمه أيضًا صفة السلام.

---

(١) أخرجه أحمد، (٢٧٣٨٨)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، برقم (٢٨٣٨)..

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، برقم (٢٤٧٣).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، (٨/ ١٠٩)، برقم (٧٥١٨)، والبيهقي في «الشعب»، (٦/ ٤٣٦)، برقم (٨٧٩٨)، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٠٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في الرجل يقول: أنعم الله بك عيناً، برقم (٥٢٢٧)، والحديث ضعفه الألباني كما في «ضعيف سنن أبي داود».

(٥) أورده ابن كثير في «التفسير»، (٣/ ٢٨٢)، عن مقاتل بن حبان.

(٦) أخرجه ابن حبان في «الصحيح»، (١٤/ ٣٦)، برقم (٦١٦٤)، ولبعضه شاهد في الصحيحين بمعناه.

واستدل به على أن هذه الصيغة هي المشروعة لابتداء السلام لقوله: «**فهي تحيتك وتحية ذريتك**» وهذا فيما لو سلم على جماعة، فلو سلم على واحد فسيأتي حكمه بعد أبواب، ولو حذف اللام فقال: «**سلام عليكم**» أجزأ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤] وقال تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩] إلى غير ذلك، لكن باللام أولى لأنها للتفخيم والتكثير. وثبت في حديث التشهد «**السلام عليك أيها النبي**» قال عياض: ويكره أن يقول في الابتداء: عليك السلام، وقال النووي في «**الأذكار**»: إذا قال المبتدئ وعليكم السلام لا يكون سلامًا ولا يستحق جوابًا؛ لأن هذه الصيغة لا تصلح للابتداء قاله المتولي، فلو قاله بغير واو فهو سلام، قطع بذلك الواحدي، وهو ظاهر.

قال النووي: ويحتمل أن لا يجزئ كما قيل به في التحلل من الصلاة، ويحتمل أن لا يعد سلامًا ولا يستحق جوابًا لما رويناه في سنن أبي داود والترمذي وصححه وغيرهما بالأسانيد الصحيحة عن أبي جري بالجيم والراء مصغرًا الهجيمي بالجيم مصغرًا قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله، قال: «**لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى**»[1].

قال: ويحتمل أن يكون ورد لبيان الأكمل، وقد قال الغزالي في «**الإحياء**»: يكره للمبتدئ أن يقول عليكم السلام، قال النووي: والمختار لا يكره، ويجب الجواب؛ لأنه سلام.

قلت: وقوله بالأسانيد الصحيحة يوهم أن له طرقًا إلى الصحابي المذكور، وليس كذلك فإنه لم يروه عن النبي ﷺ غير أبي جري، ومع ذلك فمداره عند جميع من أخرجه على أبي تميمة الهجيمي راوية عن أبي جري، وقد أخرجه أحمد أيضًا والنسائي وصححه الحاكم[2]، وقد اعترض هو ما دل عليه الحديث بما أخرجه مسلم من حديث عائشة في خروج النبي ﷺ إلى البقيع، الحديث. وفيه: «**قلت: كيف أقول؟ قال: قولي: سلام على أهل الديار من المؤمنين**»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: كراهية أن يقول: عليك السلام، برقم (٥٢٠٩)، والترمذي، (٢٧٢١)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) أخرجه أحمد، (١٥٥٢٥)، والنسائي في «الكبرى»، (٤٨٦/٥)، برقم (٩٦٩٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (٧٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم مطولاً، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، برقم (٩٧٤).

قلت: وكذا أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لما أتى البقيع: **«السلام على أهل الديار من المؤمنين»**[1] الحديث. قال الخطابي: فيه أن السلام على الأموات والأحياء سواء، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية من قولهم: **«عليك سلام الله قيس بن عاصم»**.

قلت: ليس هذا من شعر أهل الجاهلية، فإن قيس بن عاصم صحابي مشهور عاش بعد النبي ﷺ، والمرثية المذكورة لمسلم معروف قالها لما مات قيس، ومثله ما أخرج ابن سعد وغيره أن الجن رثوا عمر بن الخطاب بأبيات منها: عليك السلام من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق وقال ابن العربي في السلام على أهل البقيع: لا يعارض النهي في حديث أبي جري لاحتمال أن يكون الله أحياهم لنبيه ﷺ فسلم عليهم سلام الأحياء، كذا قال، ويرده حديث عائشة المذكور قال: ويحتمل أن يكون النهي مخصوصًا بمن يرى أنها تحية الموتى وبمن يتطير بها من الأحياء فإنها كانت عادة أهل الجاهلية وجاء الإسلام بخلاف ذلك، قال عياض وتبعه ابن القيم في **«الهدي»** فنقح كلامه فقال: كان من هدي النبي ﷺ أن يقول في الابتداء السلام عليكم، ويكره أن يقول عليكم السلام، فذكر حديث أبي جري وصححه ثم قال: أشكل هذا على طائفة وظنوه معارضًا لحديث عائشة وأبي هريرة وليس كذلك، وإنما معنى قوله: **«عليك السلام تحية الموتى»** إخبار عن الواقع لا عن الشرع، أي أن الشعراء ونحوهم يحيون الموتى به واستشهد بالبيت المتقدم وفيه ما فيه، قال: فكره النبي ﷺ أن يحيي بتحية الأموات.

وقال عياض أيضًا: كانت عادة العرب في تحية الموتى تأخير الاسم، كقولهم عليه لعنة الله وغضبه عند الذم، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، وتعقب بأن النص في الملاعنة ورد بتقديم اللعنة والغضب على الاسم، وقال القرطبي: يحتمل أن يكون حديث عائشة لمن زار المقبرة فسلم على جميع من بها، وحديث أبي جري إثباتًا ونفيًا في السلام على الشخص الواحد.

ونقل ابن دقيق العيد عن بعض الشافعية: أن المبتدئ لو قال: عليكم السلام لم يجز لأنها صيغة جواب، قال: والأولى الإجزاء لحصول مسمى السلام، ولأنهم قالوا: إن المصلي ينوي بإحدى التسليمتين الرد على من حضر، وهي بصيغة الابتداء. ثم حكى عن أبي الوليد بن رشد أنه يجوز الابتداء بلفظ الرد وعكسه، وسيأتي مزيد لذلك في **«باب من رد فقال: عليك السلام»** إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء برقم (٢٤٩).

قوله: (فقالوا: السلام عليك ورحمة الله) كذا للأكثر في البخاري هنا، وكذا للجميع في بدء الخلق، ولأحمد ومسلم من هذا الوجه من رواية عبد الرزاق [(١)]، ووقع هنا للكشميهني «فقالوا وعليك السلام ورحمة الله»، وعليها شرح الخطابي، واستدل برواية الأكثر لمن يقول يجزئ في الرد أن يقع باللفظ الذي يبتدأ به كما تقدم، قيل ويكفي أيضًا الرد بلفظ الإفراد، وسيأتي البحث في ذلك في باب «من رد فقال: عليك السلام».

قوله: (فزادوه ورحمة الله) فيه مشروعية الزيادة في الرد على الابتداء، وهو مستحب بالاتفاق لوقوع التحية في ذلك في قوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فلو زاد المبتدئ: «ورحمة الله» استحب أن يزاد: «وبركاته» فلو زاد: «وبركاته» فهل تشرع الزيادة في الرد؟ وكذا لو زاد المبتدئ على «وبركاته» هل يشرع له ذلك؟ أخرج مالك في الموطأ عن ابن عباس قال: «انتهى السلام إلى البركة» [(٢)] وأخرج البيهقي في «الشعب» من طريق عبد الله بن بابه قال: «جاء رجل إلى ابن عمر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال: حسبك إلى وبركاته» [(٣)] انتهى إلى «وبركاته» ومن طريق زهرة بن معبد قال: «قال عمر: انتهى السلام إلى وبركاته» ورجاله ثقات.

وجاء عن ابن عمر الجواز، فأخرج مالك أيضًا في «الموطأ» عنه أنه زاد في الجواب «والغاديات والرائحات» وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» من طريق عمرو بن شعيب عن سالم مولى ابن عمر قال: «كان ابن عمر يزيد إذا رد السلام، فأتيته مرة فقلت: السلام عليكم، فقال: السلام عليكم ورحمة الله. ثم أتيته فزدت «وبركاته» فرد وزاد «وطيب صلواته» ومن طريق زيد بن ثابت أنه كتب إلى معاوية «السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته وطيب صلواته» ونقل ابن دقيق العيد عن أبي الوليد بن رشد، أنه يؤخذ من قوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٦] الجواز في الزيادة على البركة إذا انتهى إليها المبتدئ.

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي بسندٍ قوي عن عمران بن حصين قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه وقال: عشر. ثم جاء آخر، فقال السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه وقال: عشرون، ثم جاء آخر فزاد وبركاته، فرد وقال: ثلاثون» [(٤)] وأخرجه

(١) أخرجه أحمد، (٢٧٣٨٨)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، برقم (٢٨٤١).

(٢) أخرجه مالك، كتاب: الجامع، باب: العمل في السلام، برقم (١٧٨٩)، عن ابن عباس موقوفاً.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب»، (٦/ ٤٥٦)، برقم (٨٨٨٠).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: كيف السلام، برقم (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ٩١)، برقم (١٠١٦٩)، والحديث صححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

البخاري في «**الأدب المفرد**» من حديث أبي هريرة وصححه ابن حبان وقال: «**ثلاثون حسنة**» [١] وكذا فيما قبلها، صرح بالمعدود. وعند أبي نعيم في «**عمل يوم وليلة**» من حديث على أنه هو الذي وقع له مع النبي ﷺ ذلك [٢]، وأخرج الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسندٍ ضعيف رفعه «**من قال: السلام عليكم كتب له عشر حسنات، ومن زاد ورحمة الله كتب له عشرون حسنة، ومن زاد وبركاته كتبت له ثلاثون حسنة**» [٣].

وأخرج أبو داود من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه بسندٍ ضعيف نحو حديث عمران وزاد في آخره «**ثم جاء آخر فزاد ومغفرته، فقال أربعون، وقال: هكذا تكون الفضائل**» [٤] وأخرج ابن السني في كتابه بسندٍ واهٍ من حديث أنس قال: «**كان رجل يمر فيقول السلام عليك يا رسول الله فيقول له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه**» [٥] وأخرج البيهقي في «الشعب» بسندٍ ضعيف أيضًا من حديث زيد بن أرقم «**كنا إذا سلم علينا النبي ﷺ قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته**» [٦] وهذه الأحاديث الضعيفة إذا انضمت قوي ما اجتمعت عليه من مشروعية الزيادة على وبركاته.

واتفق العلماء على أن الرد واجب على الكفاية، وجاء عن أبي يوسف أنه قال: يجب الرد على كل فرد فرد، واحتج له بحديث الباب؛ لأن فيه «**فقالوا: السلام عليك**» وتعقب بجواز أن يكون نسب إليهم والمتكلم به بعضهم، واحتج له أيضًا بالاتفاق على أن من سلم على جماعة، فرد عليه واحد من غيرهم، لا يجزئ عنهم، وتعقب بظهور الفرق. واحتج للجمهور بحديث علي رفعه «**يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم**» أخرجه أبو داود والبزار [٧]، وفي سنده ضعف لكن له شاهد من حديث الحسن بن علي عند الطبراني وفي

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، (١/ ٣٤٢)، برقم (٩٨٦)، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب (٢٧١٢).

(٢) عزاه الحافظ في «الفتح»، (١١/ ٦) لأبي نعيم في «عمل يوم وليلة»، من حديث علي.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، (٦/ ٧٥)، برقم (٥٥٦٣)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٢٧١١).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: كيف السلام برقم (٥١٩٥)، والحديث ضعفه الألباني كما في «ضعيف سنن أبي داود».

(٥) عزاه المباركفوري في «التحفة»، (٧/ ٣٨٥) لابن السنى في كتابه بسند واهٍ من حديث أنس.

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب»، (٦/ ٤٥٥)، برقم (٨٨٧٨).

(٧) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في رد الواحد عن الجماعة، برقم (٥٢١٠)، والبزار في «مسنده»، (٢/ ١٦٧)، برقم (٥٣٤)، والحديث صححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

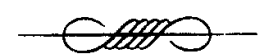
سنده مقال [1]، وآخر مرسل في «الموطأ» عن زيد بن أسلم. واحتج ابن بطال بالاتفاق على أن المبتدئ لا يشترط في حقه تكرير السلام بعدد من يسلم عليهم كما في حديث الباب من سلام آدم وفي غيره من الأحاديث، قال: فكذلك لا يجب الرد على كل فرد فرد إذا سلم الواحد عليهم.

واحتج الماوردي بصحة الصلاة الواحدة على العدد من الجنائز، وقال الحليمي: إنما كان الرد واجبًا؛ لأن السلام معناه الأمان، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه فإنه يتوهم منه الشر، فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه. انتهى كلامه. وسيأتي بيان معاني لفظ السلام في «باب السلام اسم من أسماء الله تعالى» ويؤخذ من كلامه موافقة القاضي حسين حيث قال: لا يجب رد السلام على من سلم عند قيامه من المجلس إذا كان سلم حين دخل، ووافقه المتولي، وخالفه المستظهري فقال: السلام سنة عند الانصراف فيكون الجواب واجبًا، قال النووي: هذا هو الصواب، كذا قال.

قوله: (فكل من يدخل الجنة) كذا للأكثر هنا وللجميع في بدء الخلق، ووقع هنا لأبي ذر «فكل من يدخل يعني الجنة» وكأن لفظ الجنة سقط من روايته فزاد فيه يعني.

قوله: (على صورة آدم) تقدم شرح ذلك في بدء الخلق، قال المهلب: في هذا الحديث أن الملائكة يتكلمون بالعربية ويتحيون بتحية الإسلام.

قلت: وفي الأول نظرٌ لاحتمال أن يكون في الأزل بغير اللسان العربي، ثم لما حكى للعرب ترجم بلسانهم، ومن المعلوم أن من ذكرت قصصهم في القرآن من غير العرب نقل كلامهم بالعربي فلم يتعين أنهم تكلموا بما نقل عنهم بالعربي، بل الظاهر أن كلامهم ترجم بالعربي. وفيه الأمر بتعلم العلم من أهله والأخذ بنزول مع إمكان العلو، والاكتفاء في الخبر مع إمكان القطع بما دونه. وفيه أن المدة التي بين آدم والبعثة المحمدية فوق ما نقل عن الأخباريين من أهل الكتاب وغيرهم بكثير، وقد تقدم بيان ذلك ووجه الاحتجاج به في بدء الخلق.



(١) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (٨/ ٣٥) للطبراني وقال: وفيه ابن لهيعة وزبان بن فائد وقد ضعفا وحسن حديثهما.

سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا

(٤٤) عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لا تُشْرِكَ بِي، أَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (يرفعه) هي لفظة يستعملها المحدثون في موضع قال رسول الله ﷺ ونحو ذلك.

قوله: (إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذابًا) يقال: هو أبو طالب، وسيأتي شرحه في أواخر كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى [٣]، ومناسبته للترجمة من قوله: «وأنت في صلب آدم» فإن فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية.

* * *

(٤٥) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ» [٤].

الشرح [٥]:

حديث أنس: «يجاء بالكافر» ذكره من رواية هشام الدستوائي ومن رواية سعيد وهو ابن أبي عروبة كلاهما عن قتادة وساقه بلفظ سعيد، وأما لفظ هشام فأخرجه مسلمٌ والإسماعيلي من طرقٍ عن معاذ بن هشام عن أبيه بلفظ: «يقال للكافر» [٦] والباقي مثله وهو بضم أول يجاء ويقال،

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، حديث (٣٣٣٤).

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٦٩). (٣) يعني: من فتح الباري.

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب من نُوقش الحساب عُذِّب، حديث (٦٥٣٨).

(٥) فتح الباري (١١/ ٤٠٣).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا برقم (٢٨٠٥).

وسيأتي بعد باب في «باب صفة الجنة والنار» من رواية أبي عمران الجوني عن أنس التصريح بأن الله سبحانه هو الذي يقول له ذلك ولفظه: «**يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيءٍ أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم**»[1] ورواه مسلم والنسائي من طريق ثابت عن أنس، وظاهر سياقه أن ذلك يقع للكافر بعد أن يدخل النار ولفظه: «**يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك؟ فيقول: شر مضجع، فيقال له: هل تفتدي بقراب الأرض ذهبًا؟ فيقول نعم يا رب، فيقال له كذبت**»[2] ويحتمل أن يراد بالمضجع هنا مضجعه في القبر فيلتئم مع الروايات الأخرى.

قوله: (**فيقال له**) زاد مسلمٌ في رواية سعيدٍ كذبت.

قوله: (قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك) في رواية أبي عمران فيقول: «**أردت منك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي**» وفي رواية ثابت «**قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل فيؤمر به إلى النار**».

قال عياض: يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] الآية فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمنٌ، ومن لم يوف به فهو الكافر، فمراد الحديث أردت منك حين أخذت الميثاق فأبيت، إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك، ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب والمعنى أمرتك فلم تفعل، لأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد. واعترض بعض المعتزلة بأنه كيف يصح أن يأمر بما لا يريد؟ والجواب أن ذلك ليس بممتنعٍ ولا مستحيلٍ.

وقال المازري: مذهب أهل السنة: أن الله تعالى أراد إيمان المؤمن وكفر الكافر، ولو أراد من الكافر الإيمان لآمن، يعني لو قدره عليه لوقع.

وقال أهل الاعتزال: بل أراد من الجميع الإيمان فأجاب المؤمن وامتنع الكافر، فحملوا الغائب على الشاهد لأنهم رأوا أن مريد الشر شريرٌ والكفر شر فلا يصح أن يريده الباري.

وأجاب أهل السنة عن ذلك: بأن الشر شر في حق المخلوقين، وأما في حق الخالق فإنه يفعل ما يشاء، وإنما كانت إرادة الشر شرا لنهي الله عنه، والباري سبحانه ليس فوقه أحدٌ يأمره فلا يصح أن تقاس إرادته على إرادة المخلوقين، وأيضًا فالمريد لفعلٍ ما إذا لم يحصل ما أراده آذن ذلك

---

(١) انظر ما قبله.

(٢) بنحوه أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، برقم (١٨٧٧)، والنسائي، كتاب: الجهاد، باب: ما يتمني أهل الجنة، برقم (٣١٦٠).

بعجزه وضعفه والباري تعالى لا يوصف بالعجز والضعف فلو أراد الإيمان من الكافر ولم يؤمن لآذن ذلك بعجزٍ وضعفٍ، تعالى الله عن ذلك. وقد تمسك بعضهم بهذا الحديث المتفق على صحته، والجواب عنه ما تقدم.

واحتجوا أيضًا: بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧].

وأجيبوا: بأنه من العام المخصوص بمن قضى الله له الإيمان، فعباده على هذا الملائكة ومؤمنو الإنس والجن.

وقال آخرون: الإرادة معنى الرضا، ومعنى قوله: «ولا يرضى» أي لا يشكره لهم ولا يثيبهم عليه، فعلى هذا فهي صفة فعلٍ.

وقيل: معنى الرضا أنه لا يرضاه دينًا مشروعًا لهم.

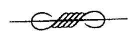
وقيل: الرضا صفةٌ وراء الإرادة.

وقيل: الإرادة تطلق بإزاء شيئين إرادة تقدير وإرادة رضًا، والثانية أخص من الأولى والله أعلم.

وقيل: الرضا من الله إرادة الخير كما أن السخط إرادة الشر.

وقال النووي: قوله: «فيقال له: كذبت» معناه لو رددناك إلى الدنيا لما افتديت لأنك سئلت أيسر من ذلك فأبيت، ويكون من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨] وبهذا يجتمع معنى هذا الحديث مع قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ [الرعد:١٨].

قال: وفي الحديث من الفوائد جواز قول الإنسان يقول الله خلافًا لمن كره ذلك، وقال: إنما يجوز قال الله تعالى وهو قولٌ شاذ مخالفٌ لأقوال العلماء من السلف والخلف، وقد تظاهرت به الأحاديث. وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].



أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ

(٤٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ» (١).

* * *

(٤٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ» (٢).

الشرح (٣):

قوله: (يقول الله) كذا وقع للأكثر غير مرفوع وبه جزم أبو نعيم في «المستخرج» وفي رواية كريمة بإثبات قوله: «قال رسول الله ﷺ» وكذا وقع لمسلم عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير بسند

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث (٣٣٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، حديث (٦٥٣٠).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٨٩).

البخاري فيه ونحوه في رواية أبي أسامة وحفص وقد ظهر من حديث أبي هريرة الذي قبله أن خطاب آدم بذلك أول شيء يقع يوم القيامة ولفظه: «أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فتراءى ذريته» [١] بمثناةٍ واحدةٍ ومد ثم همزةٍ مفتوحةٍ ممالةٍ وأصله فتتراءى فحذفت إحدى التاءين وتراءى الشخصان تقابلا بحيث صار كل منهما يتمكن من رؤية الآخر ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق الدراوردي عن ثورٍ «فتتراءى له ذريته» على الأصل وفي حديث أبي هريرة «فيقال هذا أبوكم» وفي رواية الدراوردي «فيقولون: هذا أبوكم».

قوله: (فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك) في الاقتصار على الخير نوع تعطيفٍ ورعايةٌ للأدب وإلا فالشر أيضًا بتقدير الله كالخير.

قوله: (أخرج بعث النار) في حديث أبي هريرة «بعث جهنم من ذريتك» وفي رواية أحمد «نصيب» [٢] بدل «بعثٍ» والبعث بمعنى المبعوث وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهةٍ من الجهات للحرب وغيرها ومعناها هنا ميز أهل النار من غيرهم وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء وعن يمينه أسودةٌ وعن شماله أسودةٌ الحديث كما تقدم في حديث الإسراء وقد أخرج ابن أبي الدنيا من مرسل الحسن قال: «يقول الله لآدم: يا آدم أنت اليوم عدلٌ بيني وبين ذريتك قم فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم» [٣].

قوله: (قال وما بعث النار) الواو عاطفةٌ على شيءٍ محذوفٍ تقديره سمعت وأطعت وما بعث النار أي وما مقدار مبعوث النار وفي حديث أبي هريرة: «فيقول: يا رب كم أخرج».

قوله: (من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعين) في حديث أبي هريرة: «من كل مائةٍ تسعةً وتسعين» قال الإسماعيلي: في حديث أبي سعيد «من كل ألفٍ واحدٌ» وكذا في حديث غيره ويشبه أن يكون حديث ثور يعني راويه عن أبي الغيث عن أبي هريرة وهمًا. قلت: ولعله يريد بقوله غيره ما أخرجه الترمذي من وجهين عن الحسن البصري عن عمران بن حصينٍ نحوه وفي أوله زيادةٌ قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ فرفع صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾» [٤] [الحج: ١-٢] فحث أصحابه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر، برقم (٦٥٢٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد، (٨٦٩٦).

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح»، (١١/ ٣٨٩). لابن أبي الدنيا، عن الحسن مرسلاً.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحج، برقم (٣١٦٨)، (٣١٦٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

المطي فقال: هل تدرون أي يوم ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذاك يومٌ ينادي الله آدم» فذكر نحو حديث أبي سعيدٍ وصححه وكذا الحاكم وهذا سياق قتادة عن الحسن من رواية هشام الدستوائي عنه ورواه معمرٌ عن قتادة فقال عن أنس أخرجه الحاكم [١] أيضًا ونقل عن الذهلي أن الرواية الأولى هي المحفوظة وأخرجه البزار والحاكم أيضًا من طريق هلال بن خباب بمعجمةٍ وموحدتين الأولى ثقيلةٌ عن عكرمة عن ابن عباس قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال: هل تدرون» فذكر نحوه [٢] وكذا وقع في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم رفعه «يخرج الدجال - إلى أن قال - ثم ينفخ في الصور أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون ثم يقال: أخرجوا بعث النار» وفيه: «فيقال: من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعون. فذاك يومٌ يجعل الولدان شيبا» [٣] وكذا رأيت هذا الحديث في مسند أبي الدرداء بمثل العدد المذكور رويناه في «فوائد طلحة بن الصقر» وأخرجه ابن مردويه من حديث أبي موسى نحوه فاتفق هؤلاء على هذا العدد ولم يستحضر الإسماعيلي لحديث أبي هريرة متابعًا وقد ظفرت به في مسند أحمد فإنه أخرج من طريق أبي إسحاق الهجري وفيه مقالٌ عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعودٍ نحوه. وأجاب الكرماني بأن مفهوم العدد لا اعتبار له فالتخصيص بعددٍ لا يدل على نفي الزائد والمقصود من العددين واحدٌ وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين.

قلت: ومقتضى كلامه الأول تقديم حديث أبي هريرة على حديث أبي سعيد فإنه يشتمل على زيادةٍ فإن حديث أبي سعيد يدل على أن نصيب أهل الجنة من كل ألفٍ واحدٌ وحديث أبي هريرة يدل على عشرةٍ فالحكم للزائد ومقتضى كلامه الأخير أن لا ينظر إلى العدد أصلاً بل القدر المشترك بينهما ما ذكره من تقليل العدد وقد فتح الله تعالى في ذلك بأجوبةٍ أخر وهو حمل حديث أبي سعيدٍ ومن وافقه على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألفٍ واحدٌ وحمل حديث أبي هريرة ومن وافقه على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألفٍ عشرةٌ ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيدٍ دون حديث أبي هريرة ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق أجمعين والثاني بخصوص هذه الأمة ويقربه قوله في حديث أبي هريرة: «إذا أخذ منا» لكن في حديث ابن عباس «وإنما أمتي جزءٌ من ألف جزءٍ» ويحتمل أن تقع القسمة مرتين مرةً من جميع الأمم قبل هذه الأمة فيكون من كل ألفٍ واحدٌ ومرةً من هذه الأمة فقط فيكون من كل ألفٍ عشرةٌ ويحتمل أن يكون

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، (١/ ٨١)، برقم (٧٨).

(٢) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٣٩٤)، للبزار وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٦١٢)، برقم (٨٦٩٧)، كلٌ من طريق هلال بن خباب بنحوه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض...، برقم (٢٩٤٠).

المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعون كافرًا ومن كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون عاصيًا والعلم عند الله تعالى.

قوله: (فذاك حين يشيب الصغير وتضع، وساق إلى قوله: شديد) ظاهره أن ذلك يقع في الموقف وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب ومن ثم قال بعض المفسرين إن ذلك قبل يوم القيامة لكن الحديث يرد عليه وأجاب الكرماني بأن ذلك وقع على سبيل التمثيل والتهويل وسبق إلى ذلك النووي فقال: فيه وجهان للعلماء فذكرهما وقال: التقدير أن الحال ينتهي أنه لو كانت النساء حينئذٍ حوامل لوضعت كما تقول العرب «أصابنا أمرٌ يشيب منه الوليد» وأقول يحتمل أن يحمل على حقيقته فإن كل أحدٍ يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملاً والمرضع مرضعة والطفل طفلاً فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة ويحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى وقبل النفخة الثانية ويكون خاصا بالموجودين حينئذٍ وتكون الإشارة بقوله: «فذاك» إلى يوم القيامة وهو صريح في الآية ولا يمنع من هذا الحمل ما يتخيل من طول المسافة بين قيام الساعة واستقرار الناس في الموقف ونداء آدم لتمييز أهل الموقف لأنه قد ثبت أن ذلك يقع متقاربًا كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤] يعني أرض الموقف وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧-١٨] والحاصل أن يوم القيامة يطلق على ما بعد نفخة البعث من أهوالٍ وزلزلةٍ وغير ذلك إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وقريب منه ما أخرجه مسلمٌ من حديث عبد الله بن عمرو في أشراط الساعة إلى أن ذكر النفخ في الصور إلى أن قال: «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون. ثم يقال أخرجوا بعث النار» فذكره قال: «فذاك يومٌ يجعل الولدان شيبًا»[1].

ووقع في حديث الصور الطويل عند علي بن معبد وغيره ما يؤيد الاحتمال الثاني وقد تقدم بيانه في «باب النفخ في الصور» وفيه بعد قوله وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب الولدان وتطاير الشياطين «فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض فيأخذهم لذلك الكرب والهول. ثم تلا الآيتين من أول الحج»[2] الحديث. قال القرطبي في «التذكرة»: هذا الحديث صححه ابن العربي فقال: يوم الزلزلة يكون عند النفخة الأولى وفيه ما يكون فيه من الأهوال العظيمة ومن جملتها ما يقال لآدم ولا يلزم من ذلك أن يكون ذلك متصلاً بالنفخة الأولى بل له محملان. أحدهما أن يكون آخر الكلام

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه ابن راهويه في «مسنده»، (١/ ٨٤- ٨٦)، برقم (١٠).

منوطًا بأوله والتقدير يقال لآدم ذلك في أثناء اليوم الذي يشيب فيه الولدان وغير ذلك وثانيهما أن يكون شيب الولدان عند النفخة الأولى حقيقةً والقول لآدم يكون وصفه بذلك إخبارًا عن شدته وإن لم يوجد عين ذلك الشيء.

وقال القرطبي: يحتمل أن يكون المعنى أن ذلك حين يقع لا يهم كل أحدٍ إلا نفسه حتى إن الحامل تسقط من مثله والمرضعة إلخ. ونقل عن الحسن البصري في هذه الآية: المعنى أن لو كان هناك مرضعة لذهلت. وذكر الحليمي واستحسنه القرطبي أنه يحتمل أن يحيي الله حينئذٍ كل حملٍ كان قد تم خلقه ونفخت فيه الروح فتذهل الأم حينئذٍ عنه لأنها لا تقدر على إرضاعه إذ لا غذاء هنا ولا لبن، وأما الحمل الذي لم ينفخ فيه الروح فإنه إذا سقط لم يحيى لأن ذلك يوم الإعادة، فمن لم يمت في الدنيا لم يحيى في الآخرة.

قوله: (فاشتد ذلك عليهم) في حديث ابن عباس **«فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن»** [1] وفي حديث عمران عند الترمذي من رواية ابن جدعان عن الحسن **«فأنشأ المؤمنون يبكون»** ومن رواية قتادة عن الحسن **«فنبس القوم حتى ما أبدوا بضاحكةٍ»** [2] ونبس بضم النون وكسر الموحدة بعدها مهملة معناه تكلم فأسرع، وأكثر ما يستعمل في النفي، وفي رواية شيبان عن قتادة عند ابن مردويه **«أبلسوا»** وكذا له نحوه من رواية ثابت عن الحسن.

قوله: **(وأينا ذلك الرجل)** قال الطيبي: يحتمل أن يكون الاستفهام على حقيقته، فكان حق الجواب أن ذلك الواحد فلان أو من يتصف بالصفة الفلانية، ويحتمل أن يكون استعظامًا لذلك الأمر واستشعارًا للخوف منه، فلذلك وقع الجواب بقوله: **«أبشروا»** ووقع في حديث أبي هريرة **«فقالوا يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى»** وفي حديث أبي الدرداء: **«فبكى أصحابه»**.

قوله: (فقال أبشروا) في حديث ابن عباس اعملوا وأبشروا، وفي حديث عمران مثله، وللترمذي من طريق ابن جدعان **«قاربوا وسددوا»** [3] ونحوه في حديث أنس.

قوله: (فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل) ظاهره زيادة واحد عما ذكر من تفصيل

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦١٢)، برقم (٨٦٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحج، برقم (٣١٦٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحج، برقم (٣١٦٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف جامع الترمذي».

الألف فيحتمل أن يكون من جبر الكسر، والمراد أن من يأجوج ومأجوج تسعمائةٍ وتسعةً وتسعين أو ألفًا إلا واحدًا، وأما قوله: «ومنكم رجل» تقديره والمخرج منكم أو ومنكم رجل مخرج، ووقع في بعض الشروح أن لبعض الرواة «فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفًا» بالنصب فيهما على المفعول بإخراج المذكور في أول الحديث، أي فإنه يخرج كذا، وروى بالرفع على خبر إن واسمها مضمر قبل المجرور، أي فإن المخرج منكم رجل، قلت: والنصب أيضًا على اسم إن صريحًا في الأول وبتقديرٍ في الثاني، وهو أولى من الذي قاله فإن فيه تكلفًا، ووقع في رواية الأصيلي بالرفع في ألف وحده وبالنصب في رجلاً ولأبي ذر بالعكس، وفي رواية مسلم بالرفع فيهما، قال النووي: هكذا في جميع الرويات والتقدير فإنه فحذف الهاء وهي ضمير الشأن وذلك مستعملٌ كثيرًا، ووقع في حديث ابن عباس «وإنما أمتي جزءٌ من ألف جزءٍ».

قال الطيبي: فيه إشارةٌ إلى أن يأجوج ومأجوج داخلون في العدد المذكور والوعيد كما يدل قوله: «ربع أهل الجنة» على أن في غير هذه الأمة أيضًا من أهل الجنة، وقال القرطبي: قوله: «من يأجوج ومأجوج ألفٌ» أي منهم وممن كان على الشرك مثلهم، وقوله: «ومنكم رجلٌ» يعني من أصحابه ومن كان مؤمنًا مثلهم. قلت: وحاصله أن الإشارة بقوله: «منكم» إلى المسلمين من جميع الأمم، وقد أشار إلى ذلك في حديث ابن مسعود بقوله: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ» (١).

قوله: (ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة) تقدم في الباب قبله من حديث ابن مسعود «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» وكذا في حديث ابن عباس، وهو محمولٌ على تعدد القصة، فقد تقدم أن القصة التي في حديث ابن مسعود وقعت وهو ﷺ في قبته بمنًى، والقصة التي في حديث أبي سعيد وقعت وهو ﷺ سائرٌ على راحلته، ووقع في رواية ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس «بينا رسول الله ﷺ في مسيره في غزوة بني المصطلق» ومثله في مرسل مجاهدٍ عند الخطيب في «المبهمات» كما سيأتي التنبيه عليه في «باب من يدخل الجنة بغير حسابٍ». ثم ظهر لي أن القصة واحدةٌ وأن بعض الرواة حفظ فيه ما لم يحفظ الآخر، إلا أن قول من قال كان ذلك في غزوة بني المصطلق واهٍ والصحيح ما في حديث ابن مسعود وأن ذلك كان بمنًى، وأما ما وقع في حديثه أنه قال ذلك وهو في قبته فيجمع بينه وبين حديث عمران بأن تلاوته الآية وجوابه عنها اتفق أنه كان وهو سائر، ثم قوله: «إني لأطمع... إلخ» وقع بعد أن نزل وقعد بالقبة، وأما زيادة الربع قبل الثلث فحفظها أبو سعيدٍ وبعضهم لم يحفظ الربع، وقد تقدمت سائر مباحثه في الحديث الخامس من الباب الذي قبله.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر، برقم (٦٥٢٨)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، برقم (٢٢١).

(٤٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، قَالَ: فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ».

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ح وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، كِلَاهُمَا، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُمَا قَالَا: «مَا أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ» وَلَمْ يَذْكُرَا: «أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ» (١).

الشرح (٢):

قوله ﷺ: (لبيك وسعديك والخير في يديك) معنى (في يديك): عندك وقد تقدم بيان لبيك وسعديك في حديث معاذ رضي الله عنه.

وقوله سبحانه وتعالى لآدم ﷺ: (أخرج بعث النار) البعث هنا بمعنى المبعوث الموجه إليها ومعناه ميز أهل النار من غيرهم.

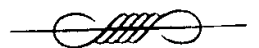
قوله ﷺ: (فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) معناه موافقة آية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝﴾[الحج: ١-٢] إلى آخرها وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[المزمل: ١٧] وقد اختلف العلماء في وقت وضع كل ذات حمل حملها وغيره من المذكور، فقيل: عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا، وقيل:

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدم: أخرج بعث النار...، حديث (٢٢٢).
(٢) شرح مسلم للنووي (٣/٩٧).

هو في القيامة فعلى الأول هو على ظاهره وعلى الثاني يكون مجازًا؛ لأن القيامة ليس فيها حمل ولا ولادة، وتقديره: ينتهي به الأهوال والشدائد إلى أنه لو تصورت الحوامل هناك لوضعن أحمالهن كما تقول العرب: «أصابنا أمر يشيب منه الوليد» يريدون شدته. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فإن من يأجوج ومأجوج ألفٌ ومنكم رجلٌ) هكذا هو في الأصول والروايات (ألف ورجل) بالرفع فيهما وهو صحيح، وتقديره أنه بالهاء التي هي ضمير الشأن وحذفت الهاء وهو جائز معروف. وأما (ياجوج وماجوج) فهما غير مهموزين عند جمهور القراء وأهل اللغة، وقرأ عاصم بالهمز فيهما وأصله من أجيج النار وهو صوتها وشررها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم واضطرابهم بعضهم في بعض. قال وهب بن منبه ومقاتل بن سليمان: هم من ولد يافث بن نوح، وقال الضحاك: هم جيل من الترك، وقال كعب: هم بادرة من ولد آدم من غير حواء، قال: وذلك أن آدم ﷺ احتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج. والله أعلم.

قوله ﷺ: (كالرقمة في ذراع الحمار) هي بفتح الراء وإسكان القاف، قال أهل اللغة: الرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضديه، وقيل: هي الدائرة في ذراعيه، وقيل: هي الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل. والله أعلم بالصواب.



إني حرمت الجنة على الكافرين

(٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»[(١)].

* * *

(٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ»[(٢)].

الشرح[(٣)]:

قوله: (حدثنا إسماعيل) هو ابن أبي أويس، وأخوه هو أبو بكر عبد الحميد.

قوله في الطريق الموصولة: (يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين) هكذا أورده هنا مختصرًا، وساقه في ترجمة إبراهيم من أحاديث الأنبياء تاما.

قوله: (يلقى إبراهيم أباه آزر) هذا موافق لظاهر القرآن في تسمية والد إبراهيم، وقد سبقت نسبته في ترجمة إبراهيم من أحاديث الأنبياء. وحكى الطبري من طريق ضعيفة عن مجاهد أن آزر اسم الصنم وهو شاذ.

قوله: (وعلى وجه آزر قترة وغبرة) هذا موافق لظاهر القرآن ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أي يغشاها قترة، فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب، والقترة السواد الكائن عن الكآبة.

قوله: (فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك) في رواية

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، حديث (٣٣٥٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ولا تخزني يوم الدين، حديث (٤٧٦٩).

(٣) فتح الباري (٨/ ٤٩٩).

إبراهيم بن طهمان «فقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني، قال: لكني لا أعصيك واحدة».

قوله: (فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل: الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد، وقيل: الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك، ويؤيد الأول أن في رواية إبراهيم بن طهمان «وإن أخزيت أبي فقد أخزيت الأبعد» وفي رواية أيوب «يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول له: أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم. فيقول خذ بارزتي. فيأخذ بارزته. ثم ينطلق حتى يأتي ربه وهو يعرض الخلق، فيقول الله: يا عبدي ادخل من أي أبواب الجنة شئت، فيقول: أي رب أبي معي، فإنك وعدتني أن لا تخزني» [1].

قوله: (فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين) في حديث أبي سعيد «فينادى: إن الجنة لا يدخلها مشرك».

قوله: (ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ انظر، فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) في رواية إبراهيم بن طهمان «فيؤخذ منه فيقول: يا إبراهيم أين أبوك؟ قال: أنت أخذته مني، قال: انظر أسفل، فينظر فإذا ذيخ يتمرغ في نتنه». وفي رواية أيوب «فيمسخ الله أباه ضبعًا فيأخذ بأنفه فيقول: يا عبدي أبوك هو، فيقول: لا وعزتك» وفي حديث أبي سعيد «فيحول في صورة قبيحة وريح منتنة في صورة ضبعان» زاد ابن المنذر من هذا الوجه «فإذا رآه كذا تبرأ منه قال: لست أبي» والذيخ بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم خاء معجمة ذكر الضباع، وقيل: لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر. والضبعان لغة في الضبع.

وقوله: «متلطخ» قال بعض الشراح: أي في رجيع أو دم أو طين. وقد عينت الرواية الأخرى المراد وأنه الاحتمال الأول حيث قال: فيتمرغ في نتنه. قيل: الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم. وقيل: الحكمة في مسخه ضبعًا أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات. واقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه كالكلب والخنزير وإلى ما فوقه كالأسد مثلًا، ولأن إبراهيم بالغ في الخضوع له وخفض الجناح فأبى واستكبر وأصر على الكفر فعومل بصفة الذل يوم القيامة، ولأن للضبع عوجًا فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين. وقد استشكل

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٦٣٢)، برقم (٨٧٥٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٣٦٣١).

الإسماعيلي هذا الحديث من أصله وطعن في صحته فقال بعد أن أخرجه: هذا خبر في صحته نظر من جهة أن إبراهيم علم أن الله لا يخلف الميعاد؛ فكيف يجعل ما صار لأبيه خزيًا مع علمه بذلك؟ وقال غيره: هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة :١١٤] انتهى.

والجواب عن ذلك: أن أهل التفسير اختلفوا في الوقت الذي تبرأ فيه إبراهيم من أبيه، فقيل: كان ذلك في الحياة الدنيا لما مات آزر مشركًا، وهذا أخرجه الطبري من طريق حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده صحيح [١].

وفي رواية: «فلما مات لم يستغفر له» ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه قال: «استغفر له ما كان حيا فلما مات أمسك» وأورده أيضًا من طريق مجاهد وقتادة وعمرو بن دينار نحو ذلك، وقيل إنما تبرأ منه يوم القيامة لما يئس منه حين مسخ على ما صرح به في رواية ابن المنذر التي أشرت إليها، وهذا الذي أخرجه الطبري أيضًا من طريق عبد الملك بن أبي سليمان سمعت سعيد بن جبير يقول: إن إبراهيم يقول يوم القيامة: رب والدي، رب والدي. فإذا كان الثالثة أخذ بيده فيلتفت إليه وهو ضبعان فيتبرأ منه [٢]. ومن طريق عبيد بن عمير قال: يقول إبراهيم لأبيه: إني كنت آمرك في الدنيا وتعصيني، ولست تاركك اليوم فخذ بحقوي، فيأخذ بضبعيه فيمسخ ضبعًا، فإذا رآه إبراهيم مسخ تبرأ منه. ويمكن الجمع بين القولين بأنه تبرأ منه لما مات مشركًا فترك الاستغفار له، لكن لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة والرقة فسأل فيه، فلما رآه مسخ يئس منه حينئذٍ فتبرأ منه تبرءًا أبديا وقيل: إن إبراهيم لم يتيقن موته على الكفر بجواز أن يكون آمن في نفسه ولم يطلع إبراهيم على ذلك، وتكون تبرئته منه حينئذٍ بعد الحال التي وقعت في هذا الحديث، قال الكرماني: فإن قلت: إذا أدخل الله أباه النار فقد أخزاه لقوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران :١٩٢] وخزي الوالد خزي الولد فيلزم الخلف في الوعد وهو محال، ولو أنه يدخل النار لزم الخلف في الوعيد وهو المراد بقوله: (إن الله حرم الجنة على الكافرين) والجواب أنه إذا مسخ في صورة ضبع وألقي في النار لم تبق الصورة التي هي سبب الخزي، فهو عمل بالوعد والوعيد.

وجواب آخر: وهو أن الوعد كان مشروطًا بالإيمان، وإنما استغفر له وفاءً بما وعده، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

قلت: وما قدمته يؤدي المعنى المراد مع السلامة مما في اللفظ من الشناعة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره»، (١١/ ٤٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره»، (١١/ ٤٦).

بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

(٥١) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

الشرح (٢):

قوله: (حدثنا محمد) هو ابن معمر، نسبه ابن السكن عن الفربري، وقيل: هو الذهلي.

قوله: (حدثنا حجاج) هو ابن منهال وجرير هو ابن حازم والحسن هو البصري.

قوله: (في هذا المسجد) هو مسجد البصرة.

قوله: (وما نسينا منذ حدثنا) أشار بذلك إلى تحققه لما حدث به وقرب عهده به واستمرار ذكره له.

قوله: (وما نخشى أن يكون جندب كذب) فيه إشارة إلى أن الصحابة عدول، وأن الكذب مأمون من قبلهم ولا سيما على النبي ﷺ.

قوله: (كان فيمن كان قبلكم رجل) لم أقف على اسمه.

قوله: (به جرح) بضم الجيم وسكون الراء بعدها مهملة، وتقدم في الجنائز بلفظ به جراح وهو بكسر الجيم، وذكره بعضهم بضم المعجمة وآخره جيم وهو تصحيف، ووقع في رواية مسلم «أن رجلاً خرجت به قرحة» (٣) وهي بفتح القاف وسكون الراء: حبة تخرج في البدن، وكأنه كان به جرح ثم صار قرحة.

قوله: (فجزع) أي فلم يصبر على ألم تلك القرحة.

قوله: (فأخذ سكينًا فحز بها يده) السكين تذكر وتؤنث، وقوله: «حز» بالحاء المهملة والزاي

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث (٣٤٦٣).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه..، برقم (١١٣)، من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

هو القطع بغير إبانة، ووقع في رواية مسلم «**فلما آذته انتزع سهمًا من كنانته فنكأها**» [١] وهو بالنون والهمز أي نخس موضع الجرح، ويمكن الجمع بأن يكون فجر الجرح بذبابة السهم فلم ينفعه فحز موضعه بالسكين، ودلت رواية البخاري على أن الجرح كان في يده.

قوله: (فما رقأ الدم) بالقاف والهمز أي لم ينقطع.

قوله: (قال الله عز وجل: بادرني عبدي بنفسه) هو كناية عن استعجال المذكور الموت، وسيأتي البحث فيه.

وقوله: (حرمت عليه الجنة) جارٍ مجرى التعليل للعقوبة لأنه لما استعجل الموت بتعاطي سببه من إنفاذ مقاتله فجعل له فيه اختيارًا عصى الله به فناسب أن يعاقبه. ودل ذلك على أنه حزها لإرادة الموت لا لقصد المداواة التي يغلب على الظن الانتفاع بها.

وقد استشكل قوله: «**بادرني بنفسه**» وقوله: «**حرمت عليه الجنة**» لأن الأول يقتضي أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش، لكنه بادر فتقدم، والثاني يقتضي تخليد الموحد في النار.

والجواب عن الأول: أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها، وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه.

وقال القاضي أبو بكر: قضاء الله مطلق ومقيد بصفة، فالمطلق يمضي على الوجه بلا صارف، والمقيد على الوجهين، مثاله أن يقدر لواحد أن يعيش عشرين سنة إن قتل نفسه وثلاثين سنة إن لم يقتل وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كملك الموت مثلاً، وأما بالنسبة إلى علم الله فإنه لا يقع إلا ما علمه.

ونظير ذلك الواجب المخير فالواقع منه معلوم عند الله والعبد مخير في أي الخصال يفعل.

والجواب عن الثاني من أوجه:

أحدها: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافرًا.

ثانيها: كان كافرًا في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره.

ثالثها: أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو

---

(١) انظر ما قبله.

الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون.

رابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلاً.

خامسها: أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد.

سادسها: أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك.

سابعها: قال النووي: يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها.

وفي الحديث: تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأولى.

وفيه: الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرم عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك الله.

وفيه: التحديث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها.

وفيه: تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس.

وفيه: التنبيه على أن حكم السراية على ما يترتب عليه ابتداء القتل.

وفيه: الاحتياط في التحديث وكيفية الضبط له والتحفظ فيه بذكر المكان والإشارة إلى ضبط المحدث لمن حدثه ليركن السامع لذلك، والله أعلم.



أيْ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟
قال: مَخَافَتُكَ، فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ

(٥٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ.

وَقَالَ مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الْغَافِرِ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (رغسه الله) بفتح الراء والغين المعجمة بعدها سين مهملة أي كثر ماله، وقيل رغس كل شيء أصله فكأنه قال جعل له أصلًا من مال. ووقع في مسلم «رأسه الله» [٣] بهمز بدل الغين المعجمة، قال ابن التين: وهو غلط، فإن صح – أي من جهة الرواية – فكأنه كان فيه «راشه» يعني بألف ساكنة بغير همز وبشين معجمة، والريش والرياش المال انتهى.

ويحتمل في توجيه رواية مسلم أن يقال: معنى «رأسه» جعله رأسًا ويكون بتشديد الهمزة، وقوله: «مالًا»، أي بسبب المال.

* * *

(٥٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ – أَوْ قَبْلَكُمْ – آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا – يَعْنِي: أَعْطَاهُ – قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ، قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا (فَسَّرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ) وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا، فَإِذَا مُتُّ، فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا، فَاسْحَقُونِي – أَوْ

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث (٣٤٧٨).

(٢) فتح الباري (٦/ ٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ، فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ».

فَحَدَّثْتُ أَبَا عُثْمَانَ فَقَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: «فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ» أَوْ كَمَا حَدَّثَ.

وَقَالَ مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (فيمن سلف أو فيمن كان قبلكم) شك من الراوي عن قتادة، وتقدم في رواية أبي عوانة عن قتادة بلفظ «أن رجلًا كان قبلكم».

قوله: (آتاه الله مالاً وولدًا) يعني أعطاه كذا للأكثر وهو تفسير للفظ آتاه، وهي بالمد بمعنى: العطاء، وبالقصر بمعنى المجيء، ووقع في رواية الكشميهني هنا: «مالاً» ولا معنى لإعادتها بمفردها.

قوله: (فإنه لم يبتئر عند الله خيرًا فسرها قتادة لم يدخر) كذا وقع هنا يبتئر بفتح أوله وسكون الموحدة وفتح المثناة بعدها تحتانية مهموزة ثم راء مهملة، وتفسير قتادة صحيح وأصله من البئيرة بمعنى الذخيرة والخبيئة.

قال أهل اللغة: بأرت الشيء وابتأرته أبأره وأبتئره إذا خبأته، ووقع في رواية ابن السكن «لم يأبتر» بتقديم الهمزة على الموحدة حكاه عياض، وهما صحيحان بمعنًى والأول أشهر، ومعناه لم يقدم خيرًا كما جاء مفسرًا في الحديث، يقال بأرت الشيء وابتأرته وائتبرته إذا ادخرته، ومنه قيل للحفرة البئر ووقع في التوحيد وفي رواية أبي زيد المروزي فيما اقتصر عليه عياض وقد ثبت عندنا كذلك في رواية أبي ذر «لم يبتئر أو لم يبتئز» بالشك في الزاي أو الراء، وفي رواية الجرجاني بنونٍ بدل الموحدة والزاي. قال: وكلاهما غير صحيح، وفي بعض الروايات في غير البخاري ينتهز بالهاء بدل الهمزة وبالزاي، ويمتثر بالميم بدل الموحدة وبالراء أيضًا قال وكلاهما صحيح أيضًا كالأولين.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الخوف من الله، حديث (٦٤٨١).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣١٤).

قوله: (وإن يقدم على الله يعذبه) كذا هنا بفتح الدال وسكون القاف من القدوم وهو بالجزم على الشرطية، وكذا يعذبه بالجزم على الجزاء، والمعنى إن بعث يوم القيامة على هيئته يعرفه كل أحد فإذا صار رمادًا مبثوثًا في الماء والريح لعله يخفى، ووقع في حديث حذيفة عند الإسماعيلي من رواية أبي خيثمة عن جرير بسند حديث الباب «فإنه إن يقدر علي ربي لا يغفر لي» وكذا في حديث أبي هريرة «لئن قدر الله علي» وتقدم توجيهه مستوفًى في ذكر بني إسرائيل.

ومن اللطائف أن من جملة الأجوبة عن ذلك ما ذكره شيخنا ابن الملقن في شرحه أن الرجل قال ذلك لما غلبه من الخوف وغطى على فهمه من الجزع فيعذر في ذلك، وهو نظير الخبر المروي في قصة الذي يدخل الجنة آخر من يدخلها فيقال: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها فيقول للفرح الذي دخله: أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح.

قلت: وتمام هذا أن أبا عوانة أخرج في حديث حذيفة عن أبي بكر الصديق أن الرجل المذكور في حديث الباب هو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فعلى هذا يكون وقع له من الخطإ بعد دخول الجنة نظير ما وقع له من الخطإ عند حضور الموت، لكن أحدهما من غلبة الخوف والآخر من غلبة الفرح.

قلت: والمحفوظ أن الذي قال أنت عبدي هو الذي وجد راحلته بعد أن ضلت، وقد نبهت عليه فيما مضى.

قوله: (فأحرقوني) في حديث حذيفة هناك «فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي».

قوله: (فاسحقوني، أو قال: فاسهكوني) هو شك من الراوي ووقع في رواية أبي عوانة، «اسحقوني» بغير شك، والسهك بمعنى السحق ويقال هو دونه، ووقع في حديث حذيفة عند الإسماعيلي «أحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني».

قوله: (ثم إذا كان) في رواية الكشميهني «حتى إذ كان».

قوله: (فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي) هو من القسم المحذوف جوابه، ويحتمل أن يكون حكاية الميثاق الذي أخذه، أي قال لمن أوصاه قل وربي لأفعلن ذلك، ويؤيده أن عند مسلم «فأخذ منهم يمينًا» [(١)] لكن يؤيد الأول أنه وقع في رواية مسلم أيضًا «به ذلك وربي» [(٢)] فتعين أنه قسم من المخبر، وزعم بعضهم أن الذي في البخاري هو الصواب، ولا يخفى أن الذي عند مسلم

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

لعله أصوب، ووقع في بعض النسخ من مسلم «وذري»[1] بضم المعجمة وتشديد الراء المكسورة بدل «وربي» أي فعلوا ما أمرهم به من التذرية.

قال عياض: إن كانت محفوظة فهي الوجه، ولعل الذال سقطت لبعض النساخ ثم صحفت اللفظة، كذا قال. ولا يخفى أن الأول أوجه لأنه يلزم من تصويب هذه الرواية تخطئة الحفاظ بغير دليل، ولأن غايتها أن تكون تفسيرًا أو تأكيدًا لقوله: «ففعلوا به ذلك» بخلاف قوله: «وربي» فإنها تزيد معنًى آخر غير قوله: «وذري» وأبعد الكرماني فجوز أن يكون قوله في رواية البخاري: «وربي» بصيغة الماضي من التربية أي ربي أخذ المواثيق بالتأكيدات والمبالغات، قال لكنه موقوف على الرواية.

قوله: (فقال الله كن) في رواية أبي عوانة وكذا في حديث حذيفة الذي قبله «فجمعه الله» وفي حديث أبي هريرة «فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت».

قوله: (فإذا رجل قائم) قال ابن مالك جاز وقوع المبتدأ نكرة محضة بعد إذا المفاجئة لأنها من القرائن التي تحصل بها الفائدة كقولك: خرجت فإذا سبع.

قوله: (مخافتك، أو فرقٌ منك) بفتح الفاء والراء وهو شك من الراوي. وفي رواية أبي عوانة «مخافتك» بغير شك، وتقدم بلفظ «خشيتك» في حديث حذيفة. وبيان الاختلاف فيه فيما مضى وهو بالرفع، ووقع في حديث حذيفة: «من خشيتك» ولبعضهم «خشيتك» بغير من وهي بفتح التاء، وجوزوا الكسر على تقدير حذفها وإبقاء عملها.

قوله: (فما تلافاه أن رحمه) أي تداركه و«ما» موصولة أي الذي تلافاه هو الرحمة، أو نافية وصيغة الاستثناء محذوفة، أو الضمير في تلافاه لعمل الرجل، وقد تقدم بيان الاختلاف في هذه اللفظة هناك، وفي حديث حذيفة «فغفر له» وكذا في حديث أبي هريرة.

قالت المعتزلة: غفر له لأنه تاب عند موته وندم على فعله.

وقالت المرجئة: غفر له بأصل توحيده الذي لا تضر معه معصية، وتعقب الأول بأنه لم يرد أنه رد المظلمة فالمغفرة حينئذٍ بفضل الله لا بالتوبة لأنها لا تتم إلا بأخذ المظلوم حقه من الظالم، وقد ثبت أنه كان نباشًا. وتعقب الثاني بأنه وقع في حديث أبي بكر الصديق المشار إليه أولاً أنه عذب، فعلى هذا فتحمل الرحمة والمغفرة على إرادة ترك الخلود في النار، وبهذا يرد على الطائفتين معًا: على المرجئة في أصل دخول النار وعلى المعتزلة في دعوى الخلود فيها. وفيه أيضًا: على من

---

(١) لم أقف على ذلك اللفظ فيما توافر لدي من نسخ لصحيح مسلم.

زعم من المعتزلة أنه بذلك الكلام تاب فوجب على الله قبول توبته.

قال ابن أبي جمرة: كان الرجل مؤمنًا لأنه قد أيقن بالحساب وأن السيئات يعاقب عليها. وأما ما أوصى به فلعله كان جائزًا في شرعهم ذلك لتصحيح التوبة، فقد ثبت في شرع بني إسرائيل قتلهم أنفسهم لصحة التوبة.

قال: وفي الحديث جواز تسمية الشيء بما قرب منه؛ لأنه قال حضره الموت وإنما الذي حضره في تلك الحالة علاماته.

وفيه: فضل الأمة المحمدية لما خفف عنهم من وضع مثل هذه الآصار، ومن عليهم بالحنيفية السمحة.

وفيه: عظم قدرة الله تعالى أن جمع جسد المذكور بعد أن تفرق ذلك التفريق الشديد.

قلت: وقد تقدم أن ذلك إخبار عما يكون يوم القيامة، وتقرير ذلك مستوفًى.

قوله: (قال فحدثت أبا عثمان) القائل هو سليمان التيمي والد معتمر وأبو عثمان هو النهدي عبد الرحمن بن مل، وقوله: «سمعت سلمان غير أنه زاد» حذف المسموع الذي استثني منه ما ذكر، والتقدير سمعت سلمان يحدث عن النبي ﷺ بمثل هذا الحديث غير أنه زاد.

قوله: (أو كما حدث) شك من الراوي يشير إلى أنه بمعنى حديث أبي سعيد لا بلفظه كله، وقد أخرج الإسماعيلي حديث سلمان من طريق صالح بن حاتم بن وردان وحميد بن مسعدة قالا «حدثنا معتمر سمعت أبي سمعت أبا عثمان سمعت هذا من سلمان» [1] فذكره.

قوله: (وقال معاذ إلخ) وصله مسلم، وقد مضى التنبيه عليه أيضًا هناك.

* * *

(٥٤) عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ لِحُذَيْفَةَ: أَلاَ تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ لَمَّا أَيِسَ مِن الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ، إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، فَذَرُونِي فِي الْيَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ - أَوْ رَاحٍ - فَجَمَعَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتَكَ، فَغَفَرَ لَهُ».

قَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: حَدَّثَنَا مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ: «فِي يَوْمٍ رَاحٍ» [2].

(١) عزاه المصنف للإسماعيلي من طريق صالح بن حاتم.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث (٣٤٧٩).

الشرح (١):

قوله: (قال عقبة لحذيفة) هو عقبة بن عمرو أبو مسعود الأنصاري البدري.

قوله: (حدثنا موسى) هو ابن إسماعيل التبوذكي، وفي رواية الكشميهني: «حدثنا مسدد» وصوب أبو ذر رواية الأكثر وبذلك جزم أبو نعيم في المستخرج أنه عن موسى؛ وموسى ومسدد جميعًا قد سمعا من أبي عوانة، لكن الصواب هنا موسى لأن المصنف ساق الحديث عن مسدد ثم بين أن موسى خالفه في لفظة منه وهي قوله: «في يوم راح» فإن في رواية مسدد «يوم حار» وقد تقدم سياق موسى في أول «باب ذكر بني إسرائيل»، وقال فيه: «انظروا يومًا راحًا» وقوله: راحًا، أي كثير الريح، ويقال ذلك للموضع الذي تخترقه الرياح، قال الجوهري: يوم راح أي شديد الريح، وإذا كان طيب الريح يقال الريح بتشديد الياء.

وقال الخطابي: يوم راح أي ذو ريح كما يقال رجل مال أي ذو مال، وأما رواية الباب فقوله: «في يوم حار» فهو بتخفيف الراء.

قال ابن فارس: الحور ريح تحن كحنين الإبل، وقد نبه أبو علي الجياني على ما وقع من ذلك. وظن بعض المتأخرين أنه عنى بذلك ما وقع في أول ذكر بني إسرائيل فاعترض عليه بأنه ليس هناك إلا روايته عن موسى بن إسماعيل في جميع الطرق وهو صحيح، لكن مراد الجياني ما وقع هنا، وهو بين لمن تأمل ذلك.

قوله: (حدثنا عبد الملك) هو ابن عمير المذكور في الإسناد الذي قبله، ومراده أن عبد الملك رواه بالإسناد المذكور مثل الرواية التي قبله إلا في هذه اللفظة؛ وهذا يقتضي خطأ من أورده في الرواية الأولى بلفظ: «راح» وهي رواية السرخسي، وقد رواه أبو الوليد عن أبي عوانة فقال فيه: «في ريح عاصف» أخرجه المصنف في الرقاق.

قوله: (أوروا) بفتح الهمزة وسكون الواو وضم الراء أي اقدحوا وأشعلوا.

* * *

(٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا

(١) فتح الباري (٦/ ٥٢٢).

فِيكِ مِنْهُ . فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ» (١) .

الشرح (٢):

قوله : (كان رجل يسرف على نفسه) تقدم في حديث حذيفة أنه كان نباشًا ، وفي الرواية التي في الرقاق أنه كان يسيء الظن بعمله ، وفيه أنه لم يبتئر خيرًا ، وسيأتي نقل الخلاف في تحريرها هناك إن شاء الله تعالى ، وفي حديث أبي سعيد : «أن رجلاً كان قبلكم» .

قوله : (إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني) بضم المعجمة وتشديد الراء ، في حديث أبي سعيد «فقال لبنيه لما حضر – بضم المهملة وكسر المعجمة أي حضره الموت – أي أب كنت لكم؟ قالوا : خير أب ، قال : فإني لم أعمل خيرًا قط ، فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني» بفتح أوله والتخفيف ، وفي رواية الكشميهني «ثم أذروني» بزيادة همزة مفتوحة في أوله ، فالأول بمعنى دعوني أي اتركوني ، والثاني من قوله أذرت الريح الشيء إذا فرقته بهبوبها ، وهو موافق لرواية أبي هريرة .

قوله : (في الريح) تقدم ما في رواية حذيفة من الخلاف في هذه اللفظة ، وفي حديث أبي سعيد «في يوم عاصف» أي عاصف ريحه ، وفي حديث معاذ عن شعبة عند مسلم «في ريح عاصف» (٣) ووقع في حديث موسى بن إسماعيل في أول الباب «حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي وامتحشت» ، وهو بضم المثناة وكسر المهملة بعدها شين معجمة أي وصل الحرق العظام ، والمحش إحراق النار الجلد .

قوله : (فوالله لئن قدر الله علي) في رواية الكشميهني «لئن قدر علي ربي» .

قال الخطابي : قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟

والجواب : أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب ، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله .

قال ابن قتيبة : قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك؛ ورده ابن الجوزي وقال : جحده صفة القدرة كفر اتفاقًا ، وإنما قيل إن معنى قوله : «لئن قدر الله علي» أي

---

(١) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، حديث (٣٤٨١) .

(٢) فتح الباري (٦/ ٥٢٢) . (٣) سبق تخريجه .

ضيق وهي قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق :٧] أي ضيق، وأما قوله: «لعلي أضل الله» فمعناه لعلي أفوته، يقال ضل الشيء إذا فات وذهب، وهو كقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه :٥٢] ولعل هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه كما غلط ذلك الآخر فقال أنت عبدي وأنا ربك، ويكون قوله: «لئن قدر علي» بتشديد الدال أي قدر علي أن يعذبني ليعذبني، أو على أنه كان مثبتًا للصانع وكان في زمن الفترة فلم تبلغه شرائط الإيمان، وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصدًا لحقيقة معناه بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه، وأبعد الأقوال قول من قال إنه كان في شرعهم جواز المغفرة للكافر.

قوله: (فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت) وفي حديث سلمان الفارسي عند أبي عوانة في صحيحه «فقال الله له: كن فكان كأسرع من طرفة العين» وهذا جميعه كما قال ابن عقيل إخبار عما سيقع له يوم القيامة، وليس كما قال بعضهم إنه خاطب روحه، فإن ذلك لا يناسب قوله: «فجمعه الله» لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث.

قوله: (وقال غيره: خشيتك) الغير المذكور هو عبد الرزاق، كذا رواه عن معمر بلفظ: «خشيتك» بدل مخافتك، وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق بهذا، وقد وقع في حديث أبي سعيد: «مخافتك»، وفي حديث حذيفة «خشيتك».

قوله في آخر حديث أبي سعيد: (فتلقاه رحمته) في رواية الكشميهني فتلافاه.

قال ابن التين: أما تلقاه بالقاف فواضح. لكن المشهور تعديته بالباء وقد جاء هنا بغير تعدية، وعلى هذا فالرحمة منصوبة على المفعولية، ويحتمل أن يكون ذكر الرحمة وهي على هذا بالرفع، قال وأما «تلافاه» بالفاء فلا أعرف له وجهًا إلا أن يكون أصله فتلففه أي غشاه، فلما اجتمعت ثلاث فاءات أبدلت الأخيرة ألفًا مثل «دساها» كذا قال ولا يخفى تكلفه، والذي يظهر أنه من الثلاثي، والقول فيه كالقول في التلقي. وقد وقع في حديث سلمان «مما تلافاه عندها أن غفر له».



لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»

(٥٦) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ»، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: الْكِتَابُ فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا، فَالْتَمَسْنَا، فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ، أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْرًا»، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ - أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ [(١)].

الشرح [(٢)]:

ذكر المصنف حديث علي في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وسيأتي شرح القصة في فتح مكة مستوفًى وذكر البرقاني أن مسلمًا أخرج نحو هذا الحديث من طريق ابن عباس عن عمر مستوفًى، والمراد منه هنا الاستدلال على فضل أهل بدر بقوله ﷺ المذكور، وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم. ووقع الخبر بألفاظ:

منها: «فقد غفرت لكم».

ومنها: «فقد وجبت لكم الجنة».

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، حديث (٣٩٨٣).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٠٥).

ومنها: «لعل الله اطلع».

لكن قال العلماء: إن الترجي في كلام الله وكلام رسوله الموقوع وعند أحمد وأبي داود وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة بالجزم ولفظه: «إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» [١] وعند أحمد بإسنادٍ على شرط مسلم من حديث جابر مرفوعًا «لن يدخل النار أحد شهد بدرًا» [٢].

وقد استشكل قوله: «اعملوا ما شئتم» فإن ظاهره أنه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع.

وأجيب: بأنه إخبار عن الماضي أي كل عمل كان لكم فهو مغفور، ويؤيده أنه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي ولقال فسأغفره لكم، وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب لأنه ﷺ خاطب به عمر منكرًا عليه ما قال في أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على أن المراد ما سيأتي، وأورده في لفظ الماضي مبالغة في تحقيقه.

وقيل: إن صيغة الأمر في قوله: «اعملوا» للتشريف والتكريم والمراد عدم المؤاخذة بما يصدر منهم بعد ذلك، وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السابقة، وتأهلوا لأن يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت، أي كل ما عملتموه بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور.

وقيل: إن المراد ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة.

وقيل: هي بشارة بعدم وقوع الذنوب منهم، وفيه نظر ظاهر لما سيأتي في قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في أيام عمر وحده عمر، فهاجر بسبب ذلك، فرأى عمر في المنام من يأمره بمصالحته، وكان قدامة بدريا.

والذي يفهم من سياق القصة: الاحتمال الثاني وهو الذي فهمه أبو عبد الرحمن السلمي التابعي حيث قال لحيان بن عطية: قد علمت الذي جرأ صاحبك على الدماء، وذكر له هذا الحديث، وسيأتي ذلك في «باب استتابة المرتدين». واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد، (٧٨٨٠)، وأبو داود، كتاب السنة، باب: في الخلفاء برقم (٤٦٥٤) وابن أبي شيبة في (مصنفه)، (٦/٣٩٨)، برقم (٣٢٣٤٧) وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (١٧١٩).

(٢) أخرجه أحمد، (١٤٨٣٨) قد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (٥٢٢٣).

(٥٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنهَا»، قَالَ: فَانطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ - إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ - أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١][١].

الشرح [٢]:

قوله: (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد) كذا في رواية عبيد الله ابن أبي رافع، وفي رواية أبي عبد الرحمن السلمي عن علي كما تقدم في فضل من شهد بدرًا «بعثني وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام» فيحتمل أن يكون الثلاثة كانوا معه، فذكر أحد الراويين عنه ما لم يذكره الآخر ولم يذكر ابن إسحاق مع علي والزبير أحدًا، وساق الخبر بالتثنية. قال: «فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها إلخ» فالذي يظهر أنه كان مع كل منهما آخر تبعًا له.

قوله: (فإن بها ظعينة معها كتاب) في أواخر الجهاد من وجهٍ آخر عن علي: «وتجدون بها امرأة أعطاها حاطب كتابًا» وذكر ابن إسحاق أن اسمها سارة، والواقدي أن اسمها كنود، وفي روايةٍ سارة، وفي أخرى أم سارة. وذكر الواقدي أن حاطبًا جعل لها عشرة دنانير على ذلك، وقيل: دينارًا واحدًا، وقيل: إنها كانت مولاة العباس.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، حديث (٤٢٧٤).
(٢) فتح الباري (٧/ ٥٢٠).

قوله: (فأخرجته من عقاصها) قد تقدم في الجهاد، وبيان الاختلاف في ذلك، ووجه الجمع بين كونه في عقاصها أو في حجزتها.

قوله: (يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ) وفي مرسل عروة تخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، وجعل لها جعلًا على أن تبلغه قريشًا.

قوله: (إني كنت امرأ ملصقًا في قريش) أي حليفًا، وقد فسره بقوله: «كنت حليفًا ولم أكن من أنفسها» وعند ابن إسحاق «ليس في القوم من أصل ولا عشيرة» [(١)] وعند أحمد «وكنت غريبًا» [(٢)]. قال السهيلي: كان حاطب حليفًا لعبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى، واسم أبي بلتعة عمرو، وقيل: كان حليفًا لقريش.

قوله: (يحمون بها قرابتي) في رواية ابن إسحاق «وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه» وسيأتي تكملة شرح هذا الحديث في سورة الممتحنة، وذكر بعض أهل المغازي وهو في «تفسير يحيى بن سلام» أن لفظ الكتاب «أما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده. فانظروا لأنفسكم والسلام» كذا حكاه السهيلي.

وروى الواقدي بسندٍ له مرسل، أن حاطبًا كتب إلى سهيل بن عمرو وصفوان ابن أمية وعكرمة: «أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد» [(٣)].

* * *

(٥٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا». فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟». قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تاريخه»، (٢/ ١٥٥)، من طريق ابن إسحاق به.

(٢) لم أقف على رواية أحمد بهذا اللفظ فيما توافر لدي من نسخ لمسند أحمد.

(٣) عزاه الحافظ في «الفتح»، (٧/ ٥٢٠) للواقدي بسند مرسل.

كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ». فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

قَالَ عَمْرٌو: وَنَزَلَتْ فِيهِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[الممتحنة: ١] قَالَ: لاَ أَدْرِي الْآيَةَ فِي الْحَدِيثِ أَوْ قَوْلُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا عَلِيٌّ قَالَ: قِيلَ لِسُفْيَانَ: فِي هَذَا فَنَزَلَتْ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[الممتحنة: ١] الْآيَةَ؟. قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا فِي حَدِيثِ النَّاسِ حَفِظْتُهُ مِنْ عَمْرٍو، مَا تَرَكْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَمَا أُرَى أَحَدًا حَفِظَهُ غَيْرِي[1].

الشرح[2]:

قوله: (حتى تأتوا روضة خاخ) بمعجمتين، ومن قالها بمهملةٍ ثم جيم فقد صحف، وقد تقدم بيان ذلك في «باب الجاسوس» من كتاب الجهاد وفي أول غزوة الفتح.

قوله: (للتلقين) كذا فيه، والوجه حذف التحتانية، وقيل إنما أثبتت لمشاكلة لتخرجن.

قوله: (كنت امرأً من قريش) أي بالحلف، لقوله بعد ذلك «ولم أكن من أنفسهم».

قوله: (كنت امرأً من قريش ولم أكن من أنفسهم) ليس هذا تناقضًا، بل أراد أنه منهم بمعنى أنه حليفهم، وقد ثبت حديث «حليف القوم منهم» وعبر بقوله: «ولم أكن من أنفسهم» لإثبات المجاز.

قوله: (إنه قد صدقكم) بتخفيف الدال أي قال الصدق.

قوله: (فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه) إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطبٍ فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله، وأطلق عليه منافقًا لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، حديث (٤٨٩٠).
(٢) فتح الباري (٨/ ٦٣٤).

وعند الطبري من طريق الحارث عن علي في هذه القصة «فقال: أليس قد شهد بدرًا؟ قال: بلى، ولكنه نكث وظاهر أعداءك عليك»[١].

قوله: (فقال إنه قد شهد بدرًا وما يدريك) أرشد إن علة ترك قتله بأنه شهد بدرًا فكأنه قيل: وهل يسقط عنه شهوده بدرًا هذا الذنب العظيم؟ فأجاب بقوله: «وما يدريك إلخ».

قوله: (لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر) هكذا في أكثر الروايات بصيغة الترجي، وهو من الله واقع، ووقع في حديث أبي هريرة عند ابن أبي شيبة بصيغة الجزم، وقد تقدم بيان ذلك واضحًا في «باب فضل من شهد بدرًا» من كتاب المغازي.

قوله: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) كذا في معظم الطرق، وعند الطبري من طريق معمر عن الزهري عن عروة «فإني غافر لكم»[٢] وهذا يدل على أن المراد بقوله: «غفرت» أي أغفر، على طريق التعبير عن الآتي بالواقع مبالغة في تحققه. وفي «مغازي ابن عائذ» من مرسل عروة «اعملوا ما شئتم فسأغفر لكم»[٣] والمراد غفران ذنوبهم في الآخرة، وإلا فلو وجب على أحدهم حد مثلاً لم يسقط في الدنيا.

وقال ابن الجوزي: ليس هذا على الاستقبال، وإنما هو على الماضي، تقديره اعملوا ما شئتم أي عمل كان لكم فقد غفر، قال: لأنه لو كان للمستقبل كان جوابه فسأغفر لكم، ولو كان كذلك لكان إطلاقًا في الذنوب ولا يصح، ويبطله أن القوم خافوا من العقوبة بعد حتى كان عمر يقول: يا حذيفة، بالله هل أنا منهم؟ وتعقبه القرطبي بأن «اعملوا» صيغة أمر وهي موضوعة للاستقبال، ولم تضع العرب صيغة الأمر للماضي لا بقرينةٍ ولا بغيرها لأنهما بمعنى الإنشاء والابتداء، وقوله: «اعملوا ما شئتم» يحمل على طلب الفعل، ولا يصح أن يكون بمعنى الماضي، ولا يمكن أن يحمل على الإيجاب فتعين للإباحة.

قال: وقد ظهر لي أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه. وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيءٍ من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلى. ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم انتهى.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٨/ ٥٩).

(٢) المصدر السابق، (٢٨/ ٦٠).

(٣) عزاه الحافظ في «الفتح»، (٨/ ٦٣٥) لابن عائذ في مغازيه عن عروة مرسلاً.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: **«فقد غفرت لكم»** أي ذنوبكم تقع مغفورة، لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب. وقد شهد مسطح بدرًا ووقع في حق عائشة كما تقدم في تفسير سورة النور، فكأن الله لكرامتهم عليه بشرهم على لسان نبيه أنهم مغفور لهم ولو وقع منهم ما وقع. وقد تقدم بعض مباحث هذه المسألة في أواخر كتاب الصيام في الكلام على ليلة القدر، ونذكر بقية شرح هذا الحديث في كتاب الديات إن شاء الله تعالى.

قوله: (قال عمرو) هو ابن دينار، وهو موصول بالإسناد المذكور.

قوله: (ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]) سقط **«أولياء»** لغير أبي ذر.

قوله: (قال: لا أدري الآية في الحديث، أو قول عمرو) هذا الشك من سفيان بن عيينة كما سأوضحه.

قوله: (حدثنا علي) هو ابن المديني (قال: قيل لسفيان في هذا فنزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآية؟ قال سفيان: هذا في حديث الناس) يعني هذه الزيادة، يريد الجزم برفع هذا القدر.

قوله: (حفظته من عمرو ما تركت منه حرفًا، وما أرى أحدًا حفظه غيري) وهذا يدل على أن هذه الزيادة لم يكن سفيان يجزم برفعها وقد أدرجها عنه ابن أبي عمر أخرجه الإسماعيلي من طريقه فقال في آخر الحديث **«قال: وفيه نزلت هذه الآية»** [(١)] وكذا أخرجه مسلم عن ابن أبي عمر وعمرو الناقد [(٢)]، وكذا أخرجه الطبري عن عبيد بن إسماعيل والفضل بن الصباح [(٣)]، والنسائي عن محمد بن منصور كلهم عن سفيان [(٤)]، واستدل باستئذان عمر على قتل حاطب لمشروعية قتل الجاسوس ولو كان مسلمًا وهو قول مالك ومن وافقه، ووجه الدلالة أنه ﷺ أقر عمر على إرادة القتل لولا المانع، وبين المانع هو كون حاطب شهد بدرًا، وهذا منتفٍ من غير حاطب، فلو كان الإسلام مانعًا من قتله لما علل بأخص منه. وقد بين سياق علي أن هذه الزيادة مدرجة. وأخرجه مسلم أيضًا عن إسحاق بن راهويه عن سفيان وبين أن تلاوة الآية من قول سفيان.

(١) عزاه المصنف للإسماعيلي.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم....، برقم (٢٤٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٣) أخرجه ابن جرير في (تفسيره)، (٢٨/٥٨).
(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/٤٨٧)، برقم (١١٥٨٥)، وقال الألباني: متفق عليه، انظر «المشكاة»، (٦٢١٦).

ووقع عند الطبري من طريق أخرى عن علي الجزم بذلك، لكنه من أحد رواة الحديث حبيب بن أبي ثابت الكوفي أحد التابعين، وبه جزم إسحاق في روايته عن محمد بن جعفر عن عروة في هذه القصة، وكذا جزم به معمر عن الزهري عن عروة، وأخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: **لما أراد رسول الله ﷺ المسير إلى مشركي قريش كتب إليهم حاطب بن أبي بلتعة يحذرهم»** فذكر الحديث إلى أن قال: «**فأنزل الله فيه القرآن** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]الآية» [1]قال الإسماعيلي في آخر الحديث أيضًا: «**قال عمرو - أي ابن دينار -: وقد رأيت ابن أبي رافع وكان كاتبًا لعلي**».

---

(١) عزاه الحافظ في «الفتح»، (٨/ ٦٣٦) لابن مردويه، من طريق سعيد بن بشير به.

ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ

(٥٩) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَو اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي، فَيَقُولُ: ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ، فَيَقُولُ: ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنَ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، يَعْنِي قَوْلَ اللَّهِ سبحانه وتَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [البقرة: ١٦٢][(١)].

* * *

(٦٠) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا، أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، حديث (٤٤٧٦).

هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلاً فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ».

وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ [١].

الشرح [٢]:

حديث أنس الطويل في الشفاعة، أورده هنا من طريق أبي عوانة، ومضى في تفسير البقرة من رواية هشام الدستوائي ومن رواية سعيد بن أبي عروبة، ويأتي في التوحيد من طريق همام أربعتهم عن قتادة وأخرجه أيضًا أحمد من رواية شيبان عن قتادة [٣] ويأتي في التوحيد من طريق معبد بن هلال عن أنس وفيه زيادة للحسن عن أنس، ومن طريق حميدٍ عن أنس باختصار، وأخرجه أحمد من طريق النضر ابن أنس عن أنس [٤]، وأخرجه أيضًا من حديث ابن عباس [٥]، وأخرجه ابن خزيمة من طريق معتمر عن حميدٍ عن أنس [٦]، وعند الحاكم من حديث ابن مسعود [٧] والطبراني من حديث عبادة بن الصامت [٨]، ولابن أبي شيبة من حديث سلمان الفارسي وجاء من حديث أبي هريرة كما مضى في التفسير من رواية أبي زرعة عنه [٩]، وأخرجه الترمذي من رواية العلاء بن يعقوب عنه [١٠]، من حديث أبي سعيد كما سيأتي في التوحيد، وله طرق عن أبي سعيد مختصرة،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٦٥).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٣٢).

(٣) أخرجه أحمد، (١١٧٤٣)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد، (١٢٤١٣)، وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه أحمد، (٢٦٨٧)، وفيه علي بن زيد: ضعيف.

(٦) لم أقف عليه بهذا النحو عند ابن خزيمة.

(٧) لم أقف عليه بهذا النحو عند الحاكم.

(٨) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٣٧٦)، للطبراني وقال: إسحاق بن يحيى لم يدرك عبادة، وبقية رجاله ثقات.

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة بنحوه في «المصنف»، (٩/ ١٦٦)، برقم (٣٠٣٨٧).

(١٠) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في الشفاعة برقم (٢٤٣٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة معًا [(١)]، وأبو عوانة من رواية حذيفة عن أبي بكر الصديق [(٢)]، ومضى في الزكاة في تفسير سبحان من حديث ابن عمر باختصار، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر، وسأذكر ما عند كل منهم من فائدة مستوعبًا إن شاء الله تعالى.

قوله: (يجمع الله الناس يوم القيامة) في رواية المستملي جمع بصيغة الفعل الماضي والأول المعتمد ووقع في رواية معبد بن هلال **«إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض»** وأول حديث أبي هريرة **«أنا سيد الناس يوم القيامة، يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون»** وزاد في رواية إسحاق بن راهويه عن جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعه فيه **«وتدنو الشمس من رءوسهم فيشتد عليهم حرها ويشق عليهم دنوها فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه»** وهذه الطريق عند مسلم عن أبي خيثمة عن جرير [(٣)]، لكن لم يسق لفظها، وأول حديث أبي بكر **«عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيفظع الناس لذلك والعرق كاد يلجمهم»** وفي رواية معتمر: **«يلبثون ما شاء الله من الحبس»** وقد تقدم في **«باب ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون»** ما أخرجه مسلم من حديث المقداد أن الشمس تدنو حتى تصير من الناس قدر ميل وسائر ما ورد في ذلك وبيان تفاوتهم في العرق بقدر أعمالهم [(٤)]، وفي حديث سلمان **«تعطي الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنو من جماجم الناس فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع الرجل حتى يقول عق عق»** وفي رواية النضر بن أنس **«الغم ما هم فيه والخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت»** وفي حديث عبادة بن الصامت رفعه **«إني لسيد الناس يوم القيامة بغير فخر، وما من الناس إلا من هو تحت لوائي ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد»** ووقع في رواية هشام وسعيد وهمام **«يجتمع المؤمنون فيقولون»** وتبين من رواية النضر بن أنس أن التعبير بالناس، أرجح لكن الذي يطلب الشفاعة هم المؤمنون.

قوله: (فيقولون: لو استشفعنا) في رواية مسلم **«فيلهمون ذلك»** [(٥)] وفي لفظ **«فيهتمون**

---

(١) رواية أبي هريرة: أخرجها مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٤).
رواية حذيفة: أخرجها مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٥).

(٢) عزاه الحافظ في «الفتح»، (١١/ ٤٣٥)، لأبي عوانة.

(٣) لم أقف على لفظه عند مسلم، وقد سبق تخريجه بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، برقم (٢٨٦٤).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٣).

بذلك»، وفي رواية همام «حتى يهتموا بذلك».

قوله: (على ربنا) في رواية هشام وسعيد «إلى ربنا» وتوجه بأنه ضمن معنى استشفعنا سعي لأن الاستشفاع طلب الشفاعة وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه.

وفي حديث حذيفة وأبي هريرة معًا «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حي تتزلف لهم الجنة فيأتون آدم» و «حتى» غاية لقيامهم المذكور. ويؤخذ منه أن طلبهم الشفاعة يقع حين تتزلف لهم الجنة. ووقع في أول حديث أبي نضرة عن أبي سعيد في مسلم رفعه «أنا أول من تنشق عنه الأرض» [١] الحديث وفيه: «فيفزع الناس ثلاث فزعاتٍ، فيأتون آدم» الحديث قال القرطبي: «كأن ذلك يقع إذا جيء بجهنم، فإذا زفرت فزع الناس حينئذٍ وجثوا على ركبهم».

قوله: (حتى يريحنا) في رواية مسلم «فيريحنا» [٢] وفي حديث ابن مسعود عند ابن حبان «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار» [٣] وفي رواية ثابت عن أنس «يطول يوم القيامة على الناس، فيقول بعضهم لبعضٍ: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فليشفع لنا إلى ربنا فليقض بيننا» وفي حديث سلمان «فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعضٍ: ائتوا أباكم آدم».

قوله: (حتى يريحنا من مكاننا هذا) في رواية ثابتٍ «فليقض بيننا» وفي رواية حذيفة وأبي هريرة فيقولون: «يا أبانا استفتح لنا الجنة».

قوله: (فيأتون آدم) في رواية شيبان «فينطلقون حتى يأتوا آدم فيقولون أنت الذي» في رواية مسلم «يا آدم أنت أبو البشر» [٤] وفي رواية همام وشيبان «أنت أبو البشر» وفي حديث أبي هريرة نحو رواية مسلم. وفي حديث حذيفة «فيقولون: يا أبانا».

قوله: (خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه) زاد في رواية همام «وأسكنك جنته وعلمك أسماء كل شيء» وفي حديث أبي هريرة «وأمر الملائكة فسجدوا لك» وفي حديث أبي بكر «أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله».

قوله: (فاشفع لنا عند ربنا) في رواية مسلم «عند ربك» وكذا لشيبان في حديث أبي بكر وأبي هريرة اشفع لنا إلى ربك، وزاد أبو هريرة: «ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما بلغنا».

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الفصائل، باب: من فضائل موسى ﷺ، برقم (٢٣٧٣).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (١٦/ ٣٣٠)، برقم (٧٣٣٥)، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع»، (١٤٦٠).
(٤) سبق تخريجه.

قوله: (لست هناكم) قال عياضٌ: قوله: لست هناكم كنايةٌ عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعًا وإكبارًا لما يسألونه، قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري.

قلت: وقد وقع في رواية معبد بن هلال «فيقول: لست لها» وكذا في بقية المواضع، وفي رواية حذيفة «لست بصاحب ذاك» وهو يؤيد الإشارة المذكورة.

قوله: (ويذكر خطيئته) زاد مسلم التي أصاب، والراجح أن الموصول محذوفٌ تقديره أصابها، زاد همام في روايته «أكله من الشجرة، وقد نهي عنها» وهو بنصب أكله بدلٌ من قوله: «خطيئته» وفي رواية هشام «فيذكر ذنبه فيستحي» وفي رواية ابن عباس «إني قد أخرجت بخطيئتي من الجنة» وفي رواية أبي نضرة عن أبي سعيد «وإني أذنبت ذنبًا فأهبطت به إلى الأرض» وفي رواية حذيفة وأبي هريرة معًا «هل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم» وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور «إني أخطأت وأنا في الفردوس فإن يغفر لي اليوم حسبي» وفي حديث أبي هريرة «إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري».

قوله: (ائتوا نوحًا فيأتونه) في رواية مسلم «ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحًا» وفي رواية هشام «فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض» وفي حديث أبي بكر «انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح، ائتوا عبدًا شاكرًا» وفي حديث أبي هريرة «اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا» وفي حديث أبي بكر «فينطلقون إلى نوح فيقولون: يا نوح اشفع لنا إلى ربك، فإن الله اصطفاك واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا» ويجمع بينهما بأن آدم سبق إلى وصفه بأنه أول رسول فخاطبه أهل الموقف بذلك، وقد استشكلت هذه الأولية بأن آدم نبي مرسلٌ وكذا شيث وإدريس وهم قبل نوح، وقد تقدم الجواب عن ذلك في شرح حديث جابر «أعطيت خمسًا» في كتاب التيمم وفيه «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً» الحديث: ومحصل الأجوبة عن الإشكال المذكور أن الأولية مقيدة بقوله: «أهل الأرض» لأن آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض، ويشكل عليه حديث جابر، ويجاب بأن بعثته إلى أهل الأرض باعتبار الواقع لصدق أنهم قومه بخلاف عموم بعثة نبينا محمد ﷺ لقومه ولغير قومه، أو الأولية مقيدة بكونه أهلك قومه، أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جنح ابن بطال في حق آدم، وتعقبه عياض بما صححه ابن حبان من حديث أبي ذر فإنه كالصريح في أنه كان مرسلاً، وفيه التصريح بإنزال الصحف على شيث وهو من علامات الإرسال، وأما إدريس فذهبت طائفة إلى أنه كان في بني إسرائيل، وهو إلياس، وقد ذكر ذلك في أحاديث الأنبياء.

ومن الأجوبة: أن رسالة آدم كانت إلى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته، ونوح كانت رسالته إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد.

قوله: (فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها) في رواية هشام **«ويذكر سؤال ربه ما ليس له به علم»** وفي رواية شيبان **«سؤال الله»** وفي رواية معبد بن هلال مثل جواب آدم لكن قال: **«وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي»** وفي حديث ابن عباس **«فيقول ليس ذاكم عندي»** وفي حديث أبي هريرة **«إني دعوت بدعوةٍ أغرقت أهل الأرض»** ويجمع بينه وبين الأول بأنه اعتذر بأمرين:

أحدهما: نهي الله تعالى له أن يسأل ما ليس له به علم فخشي أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك.

ثانيهما: أن له دعوةً واحدةً محققة الإجابة وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض فخشي أن يطلب فلا يجاب.

وقال بعض الشراح: كان الله وعد نوحًا أن ينجيه وأهله، فلما غرق ابنه ذكر لربه ما وعده فقيل له: المراد من أهلك من آمن وعمل صالحًا فخرج ابنك منهم، فلا تسأل ما ليس لك به علمٌ.

(تنبيهان):

(الأول): سقط من حديث أبي حذيفة المقرون بأبي هريرة ذكر نوح، فقال في قصة آدم: اذهبوا إلى ابني إبراهيم. وكذا سقط من حديث ابن عمر، والعمدة على من حفظ.

(الثاني): ذكر أبو حامد الغزالي في كشف علوم الآخرة أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحًا ألف سنة، وكذا بين كل نبي ونبي إلى نبينا ﷺ ولم أقف لذلك على أصل، ولقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشيءٍ منها.

قوله: (ائتوا إبراهيم) في رواية مسلم **«ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا»** [(١)] وفي رواية معبد بن هلال **«ولكن عليكم بإبراهيم فهو خليل الله»** [(٢)].

قوله: (فيأتونه) في رواية مسلم **«فيأتون إبراهيم»** [(٣)] زاد أبو هريرة في حديثه **«فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، قم اشفع لنا إلى ربك»** وذكر مثل ما لآدم قولاً وجوابًا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) من أطراف حديث مسلم وقد سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

إلا أنه قال: **«قد كنت كذبت ثلاث كذبات»** وذكرهن.

قوله: (فيقول لست هناكم، ويذكر خطيئته) زاد مسلم **«التي أصاب فيستحيي ربه منها»** [١] وفي حديث أبي بكر **«ليس ذاكم عندي»** وفي رواية همام **«إني كنت كذبت ثلاث كذبات»** زاد شيبان في روايته **«قوله: إني سقيم»** وقوله: فعله كبيرهم هذا، وقوله لامرأته: أخبريه أني أخوك» وفي رواية أبي نضرة عن أبي سعيد: **«فيقول إني كذبت ثلاث كذبات، قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله»** وما حل بمهملةٍ بمعنى جادل وزنه ومعناه. ووقع في رواية حذيفة المقرونة **«لست بصاحب ذاك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء»** وضبط بفتح الهمزة وبضمها، واختلف الترجيح فيهما.

قال النووي: أشهرهما الفتح بلا تنوين ويجوز بناؤها على الضم، وصوبه أبو البقاء والكندي، وصوب ابن دحية الفتح على أن الكلمة مركبة مثل شذر مذر، وإن ورد منصوبًا منونًا جاز، ومعناه لم أكن في التقريب والإدلال بمنزلة الحبيب.

قال صاحب التحرير: كلمة تقال على سبيل التواضع، أي لست في تلك الدرجة. قال: وقد وقع لي فيه معنى مليح وهو أن الفضل الذي أعطيته كان بسفارة جبريل، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة، وكرر وراء إشارة إلى نبينا ﷺ لأنه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة، فكأنه قال أنا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد.

قال البيضاوي: الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معاريض الكلام، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها استصغارًا لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها، لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفًا.

قوله: (ائتوا موسى الذي كلمه الله) في رواية مسلم **«ولكن ائتوا موسى»** وزاد **«وأعطاه التوراة»** وكذا في رواية هشام وغيره، وفي رواية معبد بن هلال **«ولكن عليكم بموسى فهو كليم الله»** وفي رواية الإسماعيلي **«عبدًا أعطاه الله التوراة وكلمه تكليمًا»** زاد همام في روايته **«وقربه نجيا»** وفي رواية حذيفة المقرونة **«اعمدوا إلى موسى»**.

قوله: (فيأتونه) في رواية مسلم **«فيأتون موسى فيقول»** [٢] وفي حديث أبي هريرة **«فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وكلامه على الناس، اشفع لنا»** فذكر مثل آدم قولاً وجوابًا لكنه قال: **«إني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها»**.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قوله: (فيقول لست هناكم) زاد مسلم «فيذكر خطيئته التي أصاب قتل النفس»[(١)] وللإسماعيلي «فيستحيي ربه منها» وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور: «إني قتلت نفسًا بغير نفس، وإن يغفر لي اليوم حسبي» وفي حديث أبي هريرة «إني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها» وذكر مثل ما في آدم.

قوله: (ائتوا عيسى) زاد مسلم «روح الله وكلمته»[(٢)] وفي رواية هشام «عبد الله ورسوله وكلمته وروحه» وفي حديث أبي بكر «فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى».

قوله: (فيأتونه) في رواية مسلم «فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم» وفي حديث أبي هريرة «فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ مثل آدم قولاً وجوابًا لكن قال: ولم يذكر ذنبًا»[(٣)] لكن وقع في رواية الترمذي من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد «إني عبدت من دون الله»[(٤)] وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس «إني اتخذت إلهًا من دون الله»[(٥)] وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور نحوه وزاد «وإن يغفر لي اليوم حسبي».

قوله: (ائتوا محمدًا ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) في رواية مسلم «عبد غفر له إلخ»[(٦)] زاد ثابت «من ذنبه» وفي رواية هشام «غفر الله له» وفي رواية معتمر «انطلقوا إلى من جاء اليوم مغفورًا له ليس عليه ذنب» وفي رواية ثابت أيضًا «خاتم النبيين قد حضر اليوم، أرأيتم لو كان متاع في وعاء قد ختم عليه أكان يقدر على ما في الوعاء حتى يفض الخاتم» وعند سعيد بن منصور من هذا الوجه «فيرجعون إلى آدم فيقول أرأيتم إلخ» وفي حديث أبي بكر «ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم فإنه أول من تنشق عنه الأرض» قال عياض: اختلفوا في تأويل قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢] فقيل: المتقدم ما قبل النبوة والمتأخر العصمة. وقيل: ما وقع عن سهو أو تأويل. وقيل: المتقدم ذنب آدم والمتأخر ذنب أمته، وقيل: المعنى أنه مغفورٌ له غير مؤاخذٍ لو وقع، وقيل غير ذلك.

قلت: واللائق بهذا المقام القول الرابع، وأما الثالث فلا يتأتى هنا، ويستفاد من قول عيسى

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، برقم (٣١٤٨)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».
(٥) أخرجه أحمد، (٢٦٨٧)، ولم أقف عليه بهذا السياق عند النسائي.
(٦) سبق تخريجه.

في حق نبينا هذا ومن قول موسى فيما تقدم «**إني قتلت نفسًا بغير نفس وإن يغفر لي اليوم حسبي**» مع أن الله قد غفر له بنص القرآن، التفرقة بين من وقع منه شيء ومن لم يقع شيء أصلاً، فإن موسى عليه السلام مع وقوع المغفرة له لم يرتفع إشفاقه من المؤاخذة بذلك ورأى في نفسه تقصيرًا عن مقام الشفاعة مع وجود ما صدر منه، بخلاف نبيناﷺ في ذلك كله، ومن ثم احتج عيسى بأنه صاحب الشفاعة لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بمعنى أن الله أخبر أنه لا يؤاخذه بذنبٍ لو وقع منه، وهذا من النفائس التي فتح الله بها في فتح الباري فله الحمد.

قوله: (**فيأتوني**) في رواية النضر بن أنس عن أبيه حدثني نبي اللهﷺ قال: «**إني لقائمٌ أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاء عيسى فقال: يا محمد هذه الأنبياء قد جاءتك يسألون لتدعو الله أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء لغم ما هم فيه**» فأفادت هذه الرواية تعيين موقف النبيﷺ حينئذٍ، وأن هذا الذي وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار كما سيأتي بيانه قريبًا، وأن عيسى عليه السلام هو الذي يخاطب النبيﷺ ، وأن الأنبياء جميعًا يسألونه في ذلك.

وقد أخرج الترمذي وغيره من حديث أبي بن كعب في نزول القرآن على سبعة أحرف وفيه «**وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام**»[1] ووقع في رواية معبد بن هلال «**فيأتوني فأقول: أنا لها أنا لها**» زاد عقبة بن عامر عند ابن المبارك في الزهد «**فيأذن الله لي فأقوم، فيثور من مجلسي أطيب ريح شمها أحد**»[2] وفي حديث سلمان عند أبي بكر بن أبي شيبة «**يأتون محمدًا فيقولون: يا نبي الله أنت الذي فتح الله بك وختم، وغفر لك ما تقدم وما تأخر، وجئت في هذا اليوم آمنًا وترى ما نحن فيه، فقم فاشفع لنا إلى ربنا، فيقول: أنا صاحبكم، فيجوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة**» وفي رواية معتمر: «**فيقول: أنا صاحبها**».

قوله: (**فأستأذن**) في رواية هشام «**فأنطلق حتى أستأذن**».

قوله: (**على ربي**) زاد همام «**في داره فيؤذن لي**» قال عياض: أي في الشفاعة. وتعقب بأن ظاهر ما تقدم أن استئذانه الأول والإذن له إنما هو في دخول الدار وهي الجنة، وأضيفت إلى الله تعالى إضافة تشريفٍ، ومنه ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[يونس:٢٥] على القول بأن المراد بالسلام

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: القراءات، باب: ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، برقم (٢٩٤٤)، وأحمد، (٢٠٦٩٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، (١/ ١١١)، برقم (٣٧٤)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٣٧٦): رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف.

هنا الاسم العظيم وهو من أسماء الله تعالى.

قيل: الحكمة في انتقال النبي ﷺ من مكانه إلى دار السلام أن أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة وإشفاق، ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان إكرام، ومن ثم يستحب أن يتحرى للدعاء المكان الشريف لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة.

قلت: وتقدم في بعض طرقه أن من جملة سؤال أهل الموقف استفتاح باب الجنة. وقد ثبت في صحيح مسلم أنه أول من يستفتح باب الجنة [١]، وفي رواية علي بن زيد عن أنس عند الترمذي: «**فآخذ حلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فأخر ساجدًا**» [٢] وفي رواية ثابت عن أنس عند مسلم «**فيقول الخازن: من؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحدٍ قبلك**» [٣] وله من رواية المختار بن فلفل عن أنس رفعه «**أنا أول من يقرع باب الجنة**» [٤] وفي رواية قتادة عن أنس: «**آتي باب الجنة فأستفتح، فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحبًا بمحمدٍ**» وفي حديث سلمان «**فيأخذ بحلقة الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فيفتح له حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له**» وفي حديث أبي بكر الصديق «**فيأتي جبريل ربه فيقول ائذن له**».

قوله: (فإذا رأيته وقعت له ساجدًا) في رواية أبي بكر «**فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي**» وفي رواية لابن حبان من طريق ثوبان عن أنس «**فيتجلى له الرب ولا يتجلى لشيءٍ قبله**» وفي حديث أبي بن كعب عند أبي يعلى رفعه «**يعرفني الله نفسه، فأسجد له سجدةً يرضى بها عني، ثم أمتدحه بمدحةٍ يرضى بها عني**».

قوله: (فيدعني ما شاء الله) زاد مسلم «**أن يدعني**» وكذا في رواية هشام، وفي حديث عبادة بن الصامت «**فإذا رأيت ربي خررت له ساجدًا شاكرًا له**» وفي رواية معبد بن هلال «**فأقوم بين يديه فيلهمني محامد لا أقدر عليها الآن فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا**» وفي حديث أبي بكر الصديق «**فينطلق إليه جبريل فيخر ساجدًا قدر جمعةٍ**».

قوله: (ثم يقال لي: ارفع رأسك) في رواية مسلم «**فيقال يا محمد**» وكذا في أكثر الروايات،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة..» برقم (١٩٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة..» برقم (١٩٧).

(٤) سبق تخريجه.

وفي رواية النضر بن أنس «فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك» فعلى هذا فالمعنى يقول لي على لسان جبريل.

قوله: (وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع) في رواية مسلم بغير واو، وسقط من أكثر الروايات «وقل يسمع» ووقع في حديث أبي بكر «فيرفع رأسه فإذا نظر إلى ربه خر ساجدًا قدر جمعةٍ» وفي حديث سلمان «فينادي يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وادع تجب».

قوله: (فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميدٍ يعلمني) وفي رواية هشام «يعلمنيه» وفي رواية ثابت «بمحامد لم يحمده بها أحد قبلي، ولا يحمده بها أحد بعدي» وفي حديث سلمان «فيفتح الله له من الثناء والتحميد والتمجيد ما لم يفتح لأحدٍ من الخلائق» وكأنه ﷺ يلهم التحميد قبل سجوده وبعده، وفيه «ويكون في كل مكان ما يليق به» وقد ورد ما لعله يفسر به بعض ذلك لا جميعه، ففي النسائي ومصنف عبد الرزاق ومعجم الطبراني من حديث حذيفة رفعه قال: «يجمع الناس في صعيد واحد فيقال: يا محمد، فأقول: لبيك وسعديك والخير في يديك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك تباركت وتعاليت سبحانك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك» [١] زاد عبد الرزاق: «سبحانك رب البيت» فذلك قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء: ٧٩] قال ابن منده في كتاب الإيمان: هذا حديث مجمعٌ على صحة إسناده وثقة رواته.

قوله: (ثم أشفع) في رواية معبد بن هلال «فأقول رب أمتي أمتي أمتي» وفي حديث أبي هريرة نحوه.

قوله: (فيحد لي حدا) يبين لي في كل طور من أطوار الشفاعة حدا أقف عنده فلا أتعداه، مثل أن يقول: شفعتك فيمن أخل بالجماعة، ثم فيمن أخل بالصلاة، ثم فيمن شرب الخمر، ثم فيمن زنى، وعلى هذا الأسلوب، كذا حكاه الطيبي، والذي يدل عليه سياق الأخبار أن المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة كما وقع عند أحمد عن يحيى القطان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في هذا الحديث بعينه وسأنبه عليه في آخره، وكما تقدم في رواية هشام عن قتادة عن أنس في كتاب الإيمان بلفظ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة» وفي رواية ثابت عند أحمد «فأقول: أي رب أمتي أمتي، فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة» [٢] ثم ذكر نحو ما تقدم وقال: «مثقال ذرة» ثم قال: «مثقال حبة من خردل» ولم يذكر بقية الحديث.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى»، (٦/ ٣٨١)، برقم (١١٢٩٤)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٩)، برقم (١٠٨٥)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٣٧٧)، رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات.

(٢) سبق تخريجه.

ووقع في طريق النضر بن أنس قال: «**فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنسانًا واحدًا، فما زلت أتردد على ربي لا أقوم منه مقامًا إلا شفعت**» وفي حديث سلمان «**فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة ثم حبة من خردل فذلك المقام المحمود**» وقد تقدمت الإشارة إلى شيء من هذا في شرح الحديث الثالث عشر، ويأتي مبسوطًا في شرح حديث الباب الذي يليه.

قوله: (**ثم أخرجهم من النار**) قال الداودي: كأن راوي هذا الحديث ركب شيئًا على غير أصله وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط، وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج. وهو إشكالٌ قوي، وقد أجاب عنه عياض وتبعه النووي وغيره بأنه قد وقع في حديث حذيفة المقرون بحديث أبي هريرة بعد قوله: «**فيأتون محمدًا فيقوم ويؤذن له «أي في الشفاعة»** وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يمينًا وشمالاً فيمر أولكم كالبرق» الحديث. قال عياض: فبهذا يتصل الكلام، لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها هي الإراحة من كرب الموقف، ثم تجيء الشفاعة في الإخراج، وقد وقع في حديث أبي هريرة - يعني الآتي في الباب الذي يليه بعد ذكر الجمع في الموقف - الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف، قال: وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها.

قلت: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، وسيأتي بقيته في شرح حديث الباب الذي يليه وفيه «**حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا وفي جانبي الصراط كلاليب مأمورةٌ بأخذ من أمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ ومكدوشٌ في النار**» فظهر منه أنه ﷺ أول ما يشفع ليقضى بين الخلق، وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك، وقد وقع ذلك صريحًا في حديث ابن عمر اختصر في سياقه الحديث الذي ساقه أنس وأبو هريرة مطولاً. وقد تقدم في كتاب الزكاة من طريق حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه بلفظ: «**إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمدٍ فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذٍ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم**» [1] ووقع في حديث أبي بن كعب عند أبي يعلى «**ثم أمتدحه بمدحةٍ يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط وهو منصوب بين ظهراني جهنم فيمرون**» وفي حديث ابن عباس من رواية عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: من سأل الناس تكثلاً، برقم (١٤٧٥).

الحارث عنه عند أحمد «**فيقول عز وجل: يا محمد ما تريد أن أصنع في أمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم**» وفي رواية عن ابن عباس عند أحمد وأبي يعلى «**فأقول أنا لها، حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد الله أن يفرغ من خلقه نادى منادٍ: أين محمد وأمته**» (١) الحديث وسيأتي بيان ما يقع في الموقف قبل نصب الصراط في شرح حديث الباب الذي يليه. وتعرض الطيبي للجواب عن الإشكال بطريقٍ آخر فقال: يجوز أن يراد بالنار الحبس والكرب والشدة التي كان أهل الموقف فيها من دنو الشمس إلى رءوسهم وكربهم بحرها وسفعها حتى ألجمهم العرق، وأن يراد بالخروج منها خلاصهم من تلك الحالة التي كانوا فيها.

قلت: وهو احتمال بعيد، إلا أن يقال إنه يقع إخراجان وقع ذكر أحدهما في حديث الباب على اختلاف طرقه والمراد به الخلاص من كرب الموقف، والثاني في حديث الباب الذي يليه ويكون قوله فيه: «**فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه**» بعد تمام الخلاص من الموقف ونصب الصراط والإذن في المرور عليه، ويقع الإخراج الثاني لمن يسقط في النار حال المرور فيتحدا، وقد أشرت إلى الاحتمال المذكور في شرح حديث العرق في «**باب قوله تعالى**: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤] » والعلم عند الله تعالى.

وأجاب القرطبي عن أصل الإشكال بأن في قوله آخر حديث أبي زرعة عن أبي هريرة بعد قوله ﷺ: **فأقول**: يا رب أمتي «**فيقال أدخل من أمتك من الباب الأيمن من أبواب الجنة من لا حساب عليه ولا عذاب**» قال: في هذا ما يدل على أن النبي ﷺ يشفع فيما طلب من تعجيل الحساب، فإنه لما أذن له في إدخال من لا حساب عليه دل على تأخير من عليه حساب ليحاسب، ووقع في حديث الصور الطويل عند أبي يعلى «**فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله: وقد شفعتك فيهم وأذنت لهم في دخول الجنة**» (٢).

قلت: وفيه إشعار بأن العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن، ثم ينادي المنادي: ليتبع كل أمة من كانت تعبد، فيسقط الكفار في النار، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق، ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه، فيطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار أيضًا، ويمر المؤمنون عليه إلى الجنة، فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة، وسيأتي تفصيل ذلك واضحًا في شرح حديث الباب الذي يليه إن شاء الله تعالى. ثم وقفت في تفسير يحيى بن سلام البصري نزيل مصر ثم إفريقية - وهو في طبقة يزيد بن هارون، وقد ضعفه الدارقطني.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقال أبو حاتم الرازي: صدوق، وقال أبو زرعة ربما وهم، وقال ابن عدي يكتب حديثه مع ضعفه - فنقل فيه عن الكلبي قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بقيت زمرة من آخر زمر الجنة إذا خرج المؤمنون من الصراط بأعمالهم فيقول آخر زمرة من زمر النار لهم وقد بلغت النار منهم كل مبلغ: أما نحن فقد أخذنا بما في قلوبنا من الشك والتكذيب، فما نفعكم أنتم توحيدكم؟ قال فيصرخون عند ذلك يدعون ربهم، فيسمعهم أهل الجنة فيأتون آدم، فذكر الحديث في إتيانهم الأنبياء المذكورين قبل واحدًا واحدًا إلى محمدﷺ ، فينطلق فيأتي رب العزة فيسجد له حتى يأمره أن يرفع رأسه ثم يسأله ما تريد؟ وهو أعلم به، فيقول: رب أناس من عبادك أصحاب ذنوب لم يشركوا بك وأنت أعلم بهم، فعيرهم أهل الشرك بعبادتهم إياك، فيقول: وعزتي لأخرجنهم، فيخرجهم قد احترقوا، فينضح عليهم من الماء حتى ينبتوا ثم يدخلون الجنة فيسمون الجهنميين، فيغبطه عند ذلك الأولون والآخرون، فذلك قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] .

قلت: فهذا لو ثبت لرفع الإشكال لكن الكلبي ضعيف، ومع ذلك لم يسنده، ثم هو مخالف لصريح الأحاديث الصحيحة أن سؤال المؤمنين الأنبياء واحدًا بعد واحد إنما يقع في الموقف قبل دخول المؤمنين الجنة والله أعلم.

وقد تمسك بعض المبتدعة من المرجئة بالاحتمال المذكور في دعواه أن أحدًا من الموحدين لا يدخل النار أصلاً، وإنما المراد بما جاء من أن النار تسفعهم أو تلفحهم، وما جاء في الإخراج من النار جميعه محمول على ما يقع لهم من الكرب في الموقف، وهو تمسكٌ باطل، وأقوى ما يرد به عليه ما تقدم في الزكاة من حديث أبي هريرة في قصة مانع الزكاة واللفظ لمسلم **«ما من صاحب إبل لا يؤدي حقها منها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقرٍ أوفر ما كانت تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»** [١] الحديث بطوله وفيه ذكر الذهب والفضة والبقر والغنم، وهو دال على تعذيب من شاء الله من العصاة بالنار حقيقة زيادة على كرب الموقف.

وورد في سبب إخراج بقية الموحدين من النار ما تقدم أن الكفار يقولون لهم: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا، فيغضب الله لهم فيخرجهم. وهو مما يرد به على المبتدعة المذكورين. وسأذكره في شرح حديث الباب الذي يليه إن شاء الله تعالى.

قوله: (ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة) في رواية هشام **«فأحد لهم حدا فأدخلهم**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧).

الجنة، ثم أرجع ثانيًا فأستأذن» إلى أن قال: «ثم أحد لهم حدا ثالثًا فأدخلهم الجنة ثم أرجع» هكذا في أكثر الروايات. ووقع عند أحمد من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة «ثم أعود الرابعة فأقول: يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن» [١] ولم يشك بل جزم بأن هذا القول يقع في الرابعة. ووقع في رواية معبد بن هلال عن أنس أن الحسن حدث معبدًا بعد ذلك بقوله: «فأقوم الرابعة» وفيه قول الله له: «ليس ذلك لك» وأن الله يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيرًا قط. فعلى هذا فقوله: «حبسه القرآن» يتناول الكفار وبعض العصاة ممن ورد في القرآن في حقه التخليد، ثم يخرج العصاة في القبضة وتبقى الكفار، ويكون المراد بالتخليد في حق العصاة المذكورين البقاء في النار بعد إخراج من تقدمهم.

قوله: (حتى ما يبقى) في رواية الكشميهني «ما بقي» وفي رواية هشام بعد الثالثة «حتى أرجع فأقول».

قوله: (إلا من حبسه القرآن، وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود) في رواية همام «إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود» كذا أبهم قائل «أي وجب» وتبين من رواية أبي عوانة أنه قتادة أحد رواته.

ووقع في رواية هشام وسعيد «فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود» وسقط من رواية سعيد عند مسلم «ووجب عليه الخلود» وعنده من رواية هشام مثل ما ذكرت من رواية همام، فتعين أن قوله: «ووجب عليه الخلود» في رواية هشام مدرج في المرفوع لما تبين من رواية أبي عوانة أنها من قول قتادة فسر به قوله: «من حبسه القرآن» أي من أخبر القرآن بأنه يخلد في النار.

ووقع في رواية همام بعد قوله: أي وجب عليه الخلود «وهو المقام المحمود الذي وعده الله» وفي رواية شيبان «إلا من حبسه القرآن، يقول: وجب عليه الخلود، وقال: عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا».

وفي رواية سعيد عند أحمد بعد قوله: إلا من حبسه القرآن «قال فحدثنا أنس ابن مالك أن النبي ﷺ قال: فيخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة» [٢] الحديث وهو الذي فصله هشام من الحديث وسبق سياقه في كتاب الإيمان مفردًا.

ووقع في رواية معبد بن هلال بعد روايته عن أنس من روايته عن الحسن البصري عن أنس

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد، (١١٧٤٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٢٦).

قال: «**ثم أقوم الرابعة فأقول: أي رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول لي: ليس ذلك لك**» فذكر بقية الحديث في إخراجهم، وقد تمسك به بعض المبتدعة في دعواهم أن من دخل النار من العصاة لا يخرج منها لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

وأجاب أهل السنة: بأنها نزلت في الكفار، وعلى تسليم أنها في أعم من ذلك فقد ثبت تخصيص الموحدين بالإخراج، ولعل التأبيد في حق من يتأخر بعد شفاعة الشافعين حتى يخرجوا بقبضة أرحم الراحمين كما سيأتي بيانه في شرح حديث الباب الذي يليه، فيكون التأبيد مؤقتًا.

وقال عياض: استدل بهذا الحديث من جوز الخطايا على الأنبياء كقول كل من ذكر فيه ما ذكر، وأجاب عن أصل المسألة بأنه لا خلاف في عصمتهم من الكفر بعد النبوة وكذا قبلها على الصحيح، وكذا القول في الكبيرة على التفصيل المذكور، ويلتحق بها ما يزري بفاعله من الصغائر، وكذا القول في كل ما يقدح في الإبلاغ من جهة القول، واختلفوا في الفعل فمنعه بعضهم حتى في النسيان، وأجاز الجمهور السهو لكن لا يحصل التمادي، واختلفوا فيما عدا ذلك كله من الصغائر فذهب جماعة من أهل النظر إلى عصمتهم منها مطلقًا، وأولوا الأحاديث والآيات الواردة في ذلك بضروبٍ من التأويل، ومن جملة ذلك أن الصادر عنهم إما أن يكون بتأويلٍ من بعضهم أو بسهوٍ أو بإذنٍ، لكن خشوا أن لا يكون ذلك موافقًا لمقامهم فأشفقوا من المؤاخذة أو المعاتبة، قال: وهذا أرجح المقالات، وليس هو مذهب المعتزلة وإن قالوا بعصمتهم مطلقًا لأن منزعهم في ذلك التكفير بالذنوب مطلقًا ولا يجوز على النبي الكفر، ومنزعنا أن أمة النبي مأمورةٌ بالاقتداء به في أفعاله فلو جاز منه وقوع المعصية للزم الأمر بالشيء الواحد والنهي عنه في حالة واحدة وهو باطل. ثم قال عياض: وجميع ما ذكر في حديث الباب لا يخرج عما قلناه لأن أكل آدم من الشجرة كان عن سهو، وطلب نوح نجاة ولده كان عن تأويل، ومقالات إبراهيم كانت معاريض وأراد بها الخير، وقتيل موسى كان كافرًا كما تقدم بسط ذلك والله أعلم.

وفيه: جواز إطلاق الغضب على الله، والمراد به ما يظهر من انتقامه ممن عصاه، وما يشاهده أهل الموقف من الأهوال التي لم يكن مثالها ولا يكون، كذا قرره النووي.

وقال غيره: المراد بالغضب لازمه وهو إرادة إيصال السوء للبعض، وقول آدم ومن بعده «**نفسي نفسي نفسي**» أي نفسي هي التي تستحق أن يشفع لها، لأن المبتدأ والخبر إذا كانا متحدين فالمراد به بعض اللوازم، ويحتمل أن يكون أحدهما محذوفًا.

وفيه: تفضيل محمد ﷺ على جميع الخلق لأن الرسل والأنبياء والملائكة أفضل ممن سواهم، وقد ظهر فضله في هذا المقام عليهم.

قال القرطبي: ولو لم يكن في ذلك إلا الفرق بين من يقول نفسي نفسي وبين من يقول أمتي أمتي لكان كافيًا،

وفيه: تفضيل الأنبياء المذكورين فيه على من لم يذكر فيه لتأهلهم لذلك المقام العظيم دون من سواهم، وقد قيل إنما اختص المذكورون بذلك لمزايا أخرى لا تتعلق بالتفضيل، فآدم لكونه والد الجميع، ونوح لكونه الأب الثاني، وإبراهيم للأمر باتباع ملته، وموسى لأنه أكثر الأنبياء تبعًا وعيسى لأنه أولى الناس بنبينا محمدﷺ كما ثبت في الحديث الصحيح [(١)] . ويحتمل أن يكونوا اختصوا بذلك لأنهم أصحاب شرائع عمل بها من بين من ذكر أولاً ومن بعده.

وفي الحديث من الفوائد غير ما ذكر: أن من طلب من كبيرٍ أمرًا مهما أن يقدم بين يدي سؤاله وصف المسئول بأحسن صفاته وأشرف مزاياه ليكون ذلك أدعى لإجابته لسؤاله.

وفيه: أن المسئول إذا لم يقدر على تحصيل ما سئل يعتذر بما يقبل منه ويدل على من يظن أنه يكمل في القيام بذلك فالدال على الخير كفاعله، وأنه يثني على المدلول عليه بأوصافه المقتضية لأهليته ويكون أدعى لقبول عذره في الامتناع.

وفيه: استعمال ظرف المكان في الزمان لقوله: لست هناكم؛ لأن هنا ظرف مكان فاستعملت في ظرف الزمان لأن المعنى لست في ذلك المقام، كذا قاله بعض الأئمة وفيه نظرٌ، وإنما هو ظرف مكان على بابه لكنه المعنوي لا الحسي، مع أنه يمكن حمله على الحسي لما تقدم من أنهﷺ يباشر السؤال بعد أن يستأذن في دخول الجنة، وعلى قول من يفسر المقام المحمود بالقعود على العرش يتحقق ذلك أيضًا.

وفيه: العمل بالعام قبل البحث عن المخصص أخذًا من قصة نوح في طلبه نجاة ابنه، وقد يتمسك به من يرى بعكسه.

وفيه: أن الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم في الدنيا من التوسل إلى الله تعالى في حوائجهم بأنبيائهم، والباعث على ذلك، الإلهام كما تقدم في صدر الحديث.

وفيه: أنهم يستشير بعضهم بعضًا ويجمعون على الشيء المطلوب وأنهم يغطى عنهم بعض ما علموه في الدنيا لأن في السائلين من سمع هذا الحديث ومع ذلك فلا يستحضر أحد منهم أن ذلك المقام يختص به نبيناﷺ ، إذ لو استحضروا ذلك لسألوه من أول وهلة ولما احتاجوا إلى التردد من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[مريم:١٦] ، برقم (٣٤٤٣) ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، برقم (٢٣٦٥).

نبي إلى نبي، ولعل الله تعالى أنساهم ذلك للحكمة التي تترتب عليه من إظهار فضل نبينا ﷺ كما تقدم تقريره.

* * *

(٦١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ - وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ - فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمِ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا - نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ

تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنطَلِقُ فَآتِي تَحتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى -» [(١)].

* * *

(٦٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا؟ أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نَفْسِي نَفْسِي ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَيَأْتُونِي، فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ» [(٢)]. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لاَ أَحْفَظُ سَائِرَهُ.

الشرح [(٣)]:

حديث أبي هريرة في الشفاعة:

قوله فيه: (دعوة) بضم أوله الوليمة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣] حديث (٤٧١٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، حديث (٣٣٤٠).

(٣) فتح الباري (٦/ ٣٧٢).

وقوله: (فرفعت إليه الذراع) أي: ذراع الشاة، وسيأتي بيان ذلك في الأطعمة.

قوله: (فنهس) بنونٍ ومهملة أي أخذ منها بأطراف أسنانه، ووقع في رواية أبي ذر في المعجمة وهو قريب من المهملة.

قوله: (أنا سيد الناس يوم القيامة) خصه بالذكر لظهور ذلك له يومئذٍ حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه ويبعثه الله المقام المحمود، كما سيأتي بيانه في الرقاق مع تتمة شرح الحديث إن شاء الله تعالى. والغرض منه هنا قوله: **«فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا»** فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبيا وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون هذا أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوحٍ مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا. مجتمعين في بلدة واحدة، واستشكله بعضهم بإدريس، ولا يرد لأنه اختلف في كونه جد نوح كما تقدم، وقد تقدم شيء من هذا في أول كتاب التيمم فيما يتعلق بخصوصية نبينا بعموم البعثة عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام. وأما قولهم: **«وسماك الله عبدًا شكورًا»** فإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣] وروى عبد الرزاق بسندٍ مقطوعٍ **«إن نوحًا كان إذا ذهب إلى الغائط قال: الحمد لله الذي رزقني لذته، وأبقى في قوته، وأذهب عني أذاه»** [(١)].

* * *

(٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ**

---

(١) أخرجه السيوطي في «الجامع»، (١/ ١٢٥)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، (٤٣٨٨).

بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى -».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ، فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ، فَنَهَسَ نَهْسَةً: «فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لاَ يَسْأَلُونَهُ، قَالَ: أَلاَ تَقُولُونَ كَيْفَهْ؟

قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ: هَذَا رَبِّي، وَقَوْله لِآلِهَتِهِمْ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وقَوْله: إِنِّي سَقِيمٌ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيْ الْبَابِ، لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ - أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ -» قَالَ: لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ[1].

الشرح[2]:

قوله ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة) إنما قال هذا ﷺ تحدثًا بنعمة الله تعالى، وقد أمر الله تعالى بهذا ونصيحة لنا بتعريفنا حقه ﷺ. قال القاضي عياض: قيل السيد الذي يفوق قومه ويفزع إليه في الشدائد، والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة، وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها، وتسليم جميعهم له، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] أي: انقطعت دعاوي الملك في ذلك اليوم. والله أعلم.

قوله ﷺ: (يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر) أما (الصعيد) فهو الأرض الواسعة المستوية، وأما (ينفذهم البصر) فهو بفتح الياء وبالذال المعجمة، وذكر الهروي وصاحب المطالع وغيرهما أنه روي بضم الياء وبفتحها قال صاحب المطالع: رواه الأكثرون بالفتح وبعضهم بالضم.

قال الهروي: قال الكسائي: يقال: نفذني بصره إذا بلغني وجاوزني. قال: ويقال: أنفذت القوم إذا خرقتهم ومشيت في وسطهم فإن جزتهم حتى تخلفتهم قلت: نفذتهم بغير ألف، وأما معناه فقال الهروي: قال أبو عبيد معناه: ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم، وقال غير أبي عبيد: أراد تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد والله تعالى قد أحاط بالناس أولاً وآخرًا. هذا كلام الهروي.

وقال صاحب المطالع: معناه أنه يحيط بهم الناظر لا يخفى عليه منهم شيء؛ لاستواء الأرض ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين، قال: وهذا أولى من قول أبي عبيد: يأتي عليهم بصر الرحمن سبحانه وتعالى؛ لأن رؤية الله تعالى تحيط بجميعهم في كل حال في الصعيد المستوي وغيره. هذا قول صاحب المطالع.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث (١٩٤).
(٢) شرح مسلم للنووي (٣/ ٦٧).

قال الإمام أبو السعادات الجزري - بعد أن ذكر الخلاف بين أبي عبيد وغيره في أن المراد بصر الرحمن سبحانه وتعالى أو بصر الناظر من الخلق -: قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة وإنما هو بالمهملة أي يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفذ الشيء وأنفذته، قال: وحمل الحديث على بصر الناظر أولى من حمله على بصر الرحمن. هذا كلام أبي السعادات، فحصل خلاف في فتح الياء وضمها، وفي الذال، والدال وفي الضمير في ينفذهم والأصح فتح الياء، وبالذال المعجمة وأنه بصر المخلوق. والله أعلم.

قوله: (ألا ترى إلى ما قد بلغنا) هو بفتح الغين هذا هو الصحيح المعروف وضبطه بعض الأئمة المتأخرين وبالفتح والإسكان، وهذا له وجه ولكن المختار ما قدمناه، ويدل عله قوله في هذا الحديث قبل هذا ألا ترون ما قد بلغكم، ولو كان بإسكان الغين لقال: بلغتم.

قوله: (فيقول آدم وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) المراد بغضب الله تعالى ما يظهر من انتقامه ممن عصاه وما يرونه من أليم عذابه، وما يشاهده أهل المجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها، ولا شك في أن هذا كله لم يتقدم قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله، فهذا معنى غضب الله تعالى كما أن رضاه ظهور رحمته ولطفه بمن أراد به الخير والكرامة؛ لأن الله تعالى يستحيل في حقه التغير في الغضب والرضاء. والله أعلم.

قوله: (إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى) (المصراعان) بكسر الميم جانبا الباب، (وهجر) بفتح الهاء والجيم وهي مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين.

قال الجوهري في صحاحه: (هجر) اسم بلد مذكر مصروف قال: والنسبة إليه (هاجري)، وقال أبو القاسم الزجاجي في الجمل: (هجر) يذكر ويؤنث قلت: وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث «إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر» تلك قرية من قرى المدينة كانت القلال تصنع بها وهي غير مصروفة، وقد أوضحتها في أول شرح المهذب.

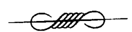
وأما (بصرى) فبضم الباء وهي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وهي مدينة حوران بينها وبين مكة شهر.

قوله ﷺ: (ألا تقولون كيفه قالوا: كيفه يا رسول الله) هذه الهاء هي هاء السكت تلحق في الوقف. وأما قول الصحابة: (كيفه يا رسول الله) فأثبتوا الهاء في حالة الدرج ففيها وجهان حكاهما صاحب التحرير وغيره:

أحدهما: أن من العرب من يجري الدرج مجرى الوقف.

والثاني: أن الصحابة قصدوا اتباع لفظ النبي ﷺ الذي حثهم عليه فلو قالوا: (كيف) لما كانوا سائلين عن اللفظ الذي حثهم عليه. والله أعلم.

قوله ﷺ: (إلى عضادتي الباب) هو بكسر العين قال الجوهري: عضادتا الباب هما خشبتاه من جانبيه.



أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ

(٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلأَى، لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ» (١).

* * *

(٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» (٢).

(الشرح) (٣):

قوله: (قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك) أنفق الأولى بفتح أوله وسكون القاف بصيغة الأمر بالإنفاق، والثانية بضم أوله وسكون القاف على الجواب بصيغة المضارع، وهو وعد بالخلف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] وقد تقدم القدر المذكور من هذا الحديث في تفسير سورة هود من طريق شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد في أثناء حديث ولفظه: «**قال الله أنفق أنفق عليك**» وقال: «**يد الله ملأى**» الحديث وهذا الحديث الثاني أخرجه الدارقطني في «**غرائب مالك**» من طريق سعيد بن داود عن مالك وقال صحيح تفرد به سعيد عن مالك.

وأخرج مسلم الأول من طريق همام عن أبي هريرة بلفظ: «**أن الله تعالى قال لي: أنفق أنفق عليك**» (٤) الحديث، وفرقه البخاري كما سيأتي في كتاب التوحيد، وليس في روايته «**قال لي**» فدل على أن المراد بقوله في رواية الباب: «**يا ابن آدم**» النبي ﷺ، ويحتمل أن يراد جنس بني آدم

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، حديث (٤٦٨٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث (٥٣٥٢).

(٣) فتح الباري (٩/ ٤٩٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣).

ويكون تخصيصه ﷺ بإضافته إلى نفسه لكونه رأس الناس، فتوجه الخطاب إليه ليعمل به ويبلغ أمته، وفي ترك تقييد النفقة بشيء معين ما يرشد إلى أن الحث على الإنفاق يشمل جميع أنواع الخير، وسيأتي شرح حديث شعيب مبسوطًا في التوحيد إن شاء الله تعالى.

* * *

(٦٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ» (١).

الشرح (٢):

حديث أبي هريرة من طريق أبي الزناد عن الأعرج.

قوله: (يد الله) تقدم في تفسير سورة هود في أول هذا الحديث من الزيادة: «أنفق أنفق عليك» ووقعت هذه الزيادة أيضًا في رواية همام لكن ساقها فيه مسلم وأفردها البخاري كما سيأتي في باب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] ووقع فيها بدل يد الله «يمين الله» ويتعقب بها على من فسر اليد هنا بالنعمة، وأبعد منه من فسرها بالخزائن وقال أطلق اليد على الخزائن لتصرفها فيها.

قوله: (ملأى) بفتح الميم وسكون اللام وهمزة مع القصر تأنيث ملآن ووقع بلفظ: «ملآن» في رواية لمسلم وقيل هي غلط ووجهها بعضهم بإرادة اليمين فإنها تذكر وتؤنث، وكذلك الكف، والمراد من قوله: ملأى أو ملآن لازمه وهو أنه في غاية الغنى وعنده من الرزق ما لا نهاية له في علم الخلائق.

قوله: (لا يغيضها) بالمعجمتين بفتح أوله أي لا ينقصها، يقال غاض الماء يغيض إذا نقص.

قوله: (سحاء) بفتح المهملتين مثقل ممدود أي دائمة الصب، يقال سح بفتح أوله مثقل يسح بكسر السين في المضارع ويجوز ضمها، وضبط في مسلم «سحا» بلفظ المصدر.

قوله: (الليل والنهار) بالنصب على الظرف أي فيهما ويجوز الرفع، ووقع في رواية لمسلم «سح الليل والنهار» بالإضافة وفتح الحاء ويجوز ضمها.

قوله: (أرأيتم ما أنفق) تنبيه على وضوح ذلك لمن له بصيرة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، حديث (٧٤١١).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٩٥).

قوله: (منذ خلق الله السماوات والأرض) سقط لفظ الجلالة لغير أبي ذر وهو رواية همام.

قوله: (فإنه لم يغض) أي ينقص، ووقع في رواية همام: «لم ينقص ما في يمينه» قال الطيبي يجوز أن تكون ملأى ولا يغيضها «وسحاء وأرأيت» أخبارًا مترادفة ليد الله، ويجوز أن تكون الثلاثة أوصافًا لملأى ويجوز أن يكون «أرأيتم» استئنافًا فيه معنى الترقي، كأنه لما قيل ملأى أوهم جواز النقصان فأزيل بقوله: لا يغيضها شيء، وقد يمتلئ الشيء ولا يغيض، فقيل سحاء إشارة إلى الغيض وقرنه بما يدل على الاستمرار من ذكر الليل والنهار ثم أتبعه بما يدل على أن ذلك ظاهر غير خافٍ على ذي بصر وبصيرة بعد أن اشتمل من ذكر الليل والنهار بقوله: أرأيتم على تطاول المدة؛ لأنه خطاب عام والهمزة فيه للتقرير، قال وهذا الكلام إذا أخذته بجملته من غير نظر إلى مفرداته أبان زيادة الغنى وكمال السعة والنهاية في الجود والبسط في العطاء.

قوله: (وقال: عرشه على الماء) سقط لفظ: «قال» من رواية همام، ومناسبة ذكر العرش هنا أن السامع يتطلع من قوله: «خلق السماوات والأرض» ما كان قبل ذلك، فذكر ما يدل على أن عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء كما وقع في حديث عمران بن حصين الماضي في بدء الخلق بلفظ: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض».

قوله: (وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع) أي يخفض الميزان ويرفعها.

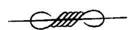
قال الخطابي: الميزان مثل، والمراد القسمة بين الخلق، وإليه الإشارة بقوله: يخفض ويرفع.

وقال الداودي: معنى الميزان أنه قدر الأشياء ووقتها وحددها فلا يملك أحد نفعًا ولا ضرا إلا منه وبه، ووقع في رواية همام «وبيده الأخرى الفيض أو القبض» الأولى بفاءٍ وتحتانية والثانية بقافٍ وموحدة، كذا للبخاري بالشك ولمسلم بالقاف والموحدة بلا شك، وعن بعض رواته فيما حكاه عياض بالفاء والتحتانية والأول أشهر.

قال عياض: المراد بالقبض قبض الأرواح بالموت، وبالفيض الإحسان بالعطاء وقد يكون بمعنى الموت، يقال: فاضت نفسه إذا مات، ويقال بالضاد وبالظاء. اهـ. والأولى أن يفسر بمعنى الميزان ليوافق رواية الأعرج التي في هذا الباب فإن الذي يوزن بالميزان يخف ويرجح، فكذلك ما يقبض، ويحتمل أن يكون المراد بالقبض المنع؛ لأن الإعطاء قد ذكر في قوله قبل ذلك سحاء الليل والنهار، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة:٢٤٥]ووقع في حديث النواس بن سمعان عند مسلم وسيأتي التنبيه عليه في أواخر الباب «الميزان بيد الرحمن يرفع أقوامًا ويضع آخرين».

وفي حديث أبي موسى عند مسلم وابن حبان «**إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه**»[(١)] وظاهره أن المراد بالقسط الميزان، وهو مما يؤيد أن الضمير المستتر في قوله: يخفض ويرفع للميزان كما بدأت الكلام به.

قال المازري: ذكر القبض والبسط وإن كانت القدرة واحدة لتفهيم العباد أنه يفعل بها المختلفات، وأشار بقوله: «**بيده الأخرى**» إلى أن عادة المخاطبين تعاطي الأشياء باليدين معًا، فعبر عن قدرته على التصرف بذكر اليدين لتفهيم المعنى المراد بما اعتادوه، وتعقب بأن لفظ البسط لم يقع في الحديث، وأجيب بأنه فهمه من مقابله كما تقدم والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: في قوله عليه السلام «إن الله لا ينام..» برقم (١٧٩)، وابن حبان في (صحيحه)، (١/ ٤٩٩)، برقم (٢٦٦).

أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟

(٦٧) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟» [(١)].

* * *

(٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟» [(٢)].

الشرح [(٣)]:

قوله: (يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه) زاد في رواية ابن وهب عن يونس «يوم القيامة» قال عياضٌ: هذا الحديث جاء في الصحيح على ثلاثة ألفاظ. القبض والطي والأخذ. وكلها بمعنى الجمع فإن السماوات مبسوطةٌ والأرض مدحوةٌ ممدودةٌ ثم رجع ذلك إلى معنى الرفع والإزالة والتبديل فعاد ذلك إلى ضم بعضها إلى بعض وإبادتها فهو تمثيلٌ لصفة قبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها وتفرقها دلالة على المقبوض والمبسوط لا على البسط والقبض قد يحتمل أن يكون إشارةً إلى الاستيعاب انتهى.

وسيأتي مزيد بيانٍ لذلك في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى. وقد اختلف في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] هل المراد ذات الأرض وصفتها أو تبديل صفتها فقط وسيأتي بيانه في شرح ثالث أحاديث هذا الباب إن شاء الله تعالى.

* * *

(٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟».

وَقَالَ شُعَيْبٌ وَالزُّبَيْدِيُّ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ مِثْلَهُ [(٤)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] حديث (٤٨١٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، حديث (٦٥١٩).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٧٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، حديث (٧٣٨٢).

الشرح (١):

حديث أبي هريرة «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض**» أخرجه من رواية «**يونس**» وهو ابن يزيد عن ابن شهاب بسنده، ثم قال: وقال شعيب والزبيدي وابن مسافر وإسحاق بن يحيى عن الزهري وعن أبي سلمة مثله، كذا وقع لأبي ذر وسقط لغيره لفظ: «**مثله**» وليس المراد أن أبا سلمة أرسله بل مراده أنه اختلف على «**ابن شهاب**» وهو الزهري في شيخه فقال يونس هو سعيد بن المسيب وقال الباقون أبو سلمة وكل منهما يرويه عن أبي هريرة، فأما رواية «**شعيب**» وهو ابن أبي حمزة الحمصي فستأتي في الباب المشار إليه في الحديث المعلق آنفًا، فإنه قال هناك «**وقال أبو اليمان أنا شعيب**» فذكر طرفًا من المتن، وقد وصله الدارمي قال: «**حدثنا الحكم بن نافع**» وهو أبو اليمان فذكره، وفيه «**سمعت أبا سلمة يقول: قال أبو هريرة**» وكذا أخرجه ابن خزيمة في «**كتاب التوحيد**» من صحيحه «**عن محمد بن يحيى الذهلي عن أبي اليمان**» وأما رواية «**الزبيدي**» بضم الزاي بعدها موحدة، وهو محمد بن الوليد الحمصي فوصلها ابن خزيمة أيضًا من طريق عبد الله بن سالم عنه عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وأما طريق «**ابن مسافر**» وهو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي أمير مصر نسب لجده فتقدمت موصولة في تفسير سورة الزمر، من طريق الليث بن سعد عنه كذلك، وأما رواية «**إسحاق بن يحيى**» وهو الكلبي فوصلها الذهلي في الزهريات، قال الإسماعيلي وافق الجماعة عبيد الله بن زياد الرصافي في أبي سلمة.

قلت: وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الصدفي عن الزهري كذلك، ونقل ابن خزيمة عن محمد بن يحيى الذهلي أن الطريقين محفوظان انتهى.

وصنيع البخاري يقتضي ذلك وإن كان الذي تقتضيه القواعد ترجيح رواية شعيب لكثرة من تابعه لكن يونس كان من خواص الزهري الملازمين له، قال ابن بطال: قوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢] داخل في معنى التحيات لله أي الملك لله، وكأنه ﷺ أمرهم بأن يقولوا التحيات لله امتثالاً لأمر ربه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢] ووصفه بأنه ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢] يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون بمعنى القدرة فيكون صفة ذات، وأن يكون بمعنى القهر والصرف عما يريدون فيكون صفة فعل، قال: وفي الحديث إثبات اليمين صفة لله تعالى من صفات ذاته وليست جارحة خلافًا للمجسمة انتهى ملخصًا.

والكلام على اليمين يأتي في الباب المشار إليه ولم يعرج على التوفيق بين الحديث والترجمة،

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٦٧).

والذي يظهر لي أنه أشار إلى ما قاله شيخه نعيم بن حماد الخزاعي، قال ابن أبي حاتم في «كتاب الرد على الجهمية» وجدت في كتاب أبي عمر نعيم بن حماد قال: يقال للجهمية أخبرونا عن قول الله تعالى بعد فناء خلقه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر :١٦] وذلك بعد انقطاع ألفاظ خلقه بموتهم أفهذا مخلوق انتهى.

وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أن الله يخلق كلامًا فيسمعه من شاء بأن الوقت الذي يقول فيه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] لا يبقى حينئذٍ مخلوق حيا، فيجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر :١٦] فثبت أنه يتكلم بذلك وكلامه صفة من صفات ذاته فهو غير مخلوق، وعن أحمد بن سلمة عن إسحاق بن راهويه، قال صح أن الله يقول بعد فناء خلقه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] فلا يجيبه أحد فيقول لنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر :١٦] قال ووجدت في كتاب عند أبي عن هشام بن عبيد الله الرازي قال: «إذا مات الخلق ولم يبق إلا الله وقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه فيقول لله الواحد القهار» قال فلا يشك أحد أن هذا كلام الله وليس بوحيٍ إلى أحد؛ لأنه لم تبق نفس فيها روح إلا وقد ذاقت الموت، والله هو القائل وهو المجيب لنفسه.

قلت: وفي حديث الصور الطويل الذي تقدمت الإشارة إليه في أواخر «كتاب الرقاق» في صفة الحشر «فإذا لم يبق إلا الله كان آخرًا كما كان أولاً طوى السماء والأرض ثم دحاها ثم تلقفهما ثم قال أنا الجبار ثلاثًا ثم قال لمن الملك اليوم ثلاثًا ثم قال لنفسه لله الواحد القهار» قال الطبري في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] يعني يقول الله لمن الملك فترك ذكر ذلك استغناء لدلالة الكلام عليه قال: وقوله: «لله الواحد القهار» ذكر أن الرب جل جلاله هو القائل ذلك مجيبًا لنفسه، ثم ذكر الرواية بذلك من حديث أبي هريرة الذي أشرت إليه وبالله التوفيق.

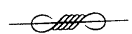
* * *

(٧٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدِهِ - وَقَبَضَ يَدَهُ - فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» قَالَ: وَيَتَمَايَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ [١].

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر البعث، حديث (٤٢٧٥).

الشرح [1]:

قوله: (يأخذ الجبار إلخ) هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] والمقصود بيان غاية عظمته تعالى وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة لكمال قدرته تعالى وهذا المقصود حاصل بهذا الكلام وإن لم تعرف كيفية القبض وحقيقة اليد فالبحث عنها خارج على القدر المقصود إفهامه فلا ينبغي.



(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه.

يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ: يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ

(٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ: يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (يؤذيني ابن آدم) كذا أورده مختصرًا، وقد أخرجه الطبري عن أبي كريب عن ابن عيينة بهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: **«كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار، هو الذي يميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه:** ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤] **الآية، قال فيسبون الدهر، قال الله تبارك وتعالى: يؤذيني ابن آدم»** فذكره. قال القرطبي: معناه يخاطبني من القول بما يتأذى من يجوز في حقه التأذي، والله منزه عن أن يصل إليه الأذى، وإنما هذا من التوسع في الكلام. والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله.

قوله: (وأنا الدهر) قال الخطابي: معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفًا لمواقع الأمور. وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: بؤسًا للدهر، وتبا للدهر.

وقال النووي: قوله: **«أنا الدهر»** بالرفع في ضبط الأكثرين والمحققين، ويقال بالنصب على الظرف أي أنا باقٍ أبدًا، والموافق لقوله: **«إن الله هو الدهر»** الرفع وهو مجاز، وذلك أن العرب كانوا يسبون الدهر عند الحوادث فقال: لا تسبوه فإن فاعلها هو الله، فكأنه قال: لا تسبوا الفاعل فإنكم إذا سببتموه سببتموني. أو الدهر هنا بمعنى الداهر، فقد حكى الراغب أن الدهر في قوله: **«إن الله هو الدهر»** غير الدهر في قوله: **«يسب الدهر»** قال: والدهر الأول الزمان والثاني المدبر المصرف لما يحدث، ثم استضعف هذا القول لعدم الدليل عليه. ثم قال: لو كان كذلك لعد الدهر من أسماء الله تعالى. انتهى.

وكذا قال محمد بن داود محتجا لما ذهب إليه من أنه بفتح الراء فكان يقول: لو كان بضمها لكان الدهر من أسماء الله تعالى. وتعقب بأن ذلك ليس بلازم، ولا سيما مع روايته **«فإن الله هو**

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، حديث (٤٨٢٦).

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٧٥).

الدهر» قال ابن الجوزي: يصوب ضم الراء من أوجه:

أحدها: أن المضبوط عند المحدثين بالضم.

ثانيها: لو كان بالنصب يصير التقدير فأنا الدهر أقلبه، فلا تكون علة النهي عن سبه مذكورة لأنه تعالى يقلب الخير والشر فلا يستلزم ذلك منع الذم.

ثالثها: الرواية التي فيها **«فإن الله هو الدهر»** انتهى.

وهذه الأخيرة لا تعين الرفع لأن للمخالف أن يقول: التقدير فإن الله هو الدهر يقلب، فترجع للرواية الأخرى، وكذا ترك ذكر علة النهي لا يعين الرفع لأنها تعرف من السياق، أي لا ذنب له فلا تسبوه.

* * *

(٧٢) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»** [١].

الشرح [٢]:

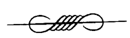
قوله: (قال الله يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار) هذه رواية يونس بن يزيد عن الزهري، ورواية معمر بعدها بلفظ: **«ولا تقولوا يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر»** وأوله **«لا تسموا العنب الكرم»** ويأتي شرحه في الباب الذي بعده، وقد اختلف على معمر فيه شيخ الزهري فقال عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن معمر عنه عن أبي سلمة، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ولفظه: **«قال الله يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر»** الحديث أخرجه مسلم [٣]، وهكذا قال سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد أخرجه أحمد عنه ولفظه: **«يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»** [٤] وقد مضى في التفسير من هذا الوجه، وسيأتي في التوحيد، وهكذا أخرجه مسلم وغيره من رواية سفيان بن عيينة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر، حديث (٦١٨١).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٦٥).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، برقم (٢٢٤٦).
(٤) أخرجه أحمد، (٧٢٠٤)، وهو صحيح.

قال ابن عبد البر الحديثان للزهري عن أبي سلمة وعن سعيد بن المسيب جميعًا صحيحان .

قلت : قال النسائي كلاهما محفوظ ، لكن حديث أبي سلمة أشهرهما ، قلت ولعبد الرزاق فيه عن معمر إسناد آخر أخرجه مسلم أيضًا من طريقه فقال : «عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة» بلفظ : «لا يسب أحدكم الدهر ، فإن الله هو الدهر ؛ ولا يقولن أحدكم للعنب الكرم» [١] الحديث ، وأخرجه أحمد من رواية همام عن أبي هريرة بلفظ : «لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر ، إني أنا الدهر ، أرسل الليل والنهار ، فإذا شئت قبضتهما» [٢] وأخرجه مالك في «الموطأ» عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ : «لا يقولن أحدكم» [٣] والباقي مثل رواية الأعلى عن معمر ، لكن وقع في رواية يحيى بن يحيى الليثي عن مالك في آخره «فإن الدهر هو الله» قال ابن عبد البر خالف جميع الرواة عن مالك ، وجميع رواة الحديث مطلقًا ، فإن الجميع قالوا : «فإن الله هو الدهر» وأخرجه أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ : «لا تسبوا الدهر فإن الله قال : أنا الدهر ، الأيام والليالي لي أجددها وأبليها ، وآتي بملوكٍ بعد ملوك» [٤] وسنده صحيح .



(١) أخرجه مسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: كراهية تسمية العنب كرمًا، برقم (٢٢٤٧).

(٢) أخرجه أحمد، (٢٧٤٥١) وهو صحيح.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ»، كتاب: الجامع، باب: ما يكره من الكلام، برقم (١٨٤٦).

(٤) أخرجه أحمد، (١٠٠٦١)، وقد صححه الألباني كما في «الصحيحة»، (٥٣٢).

أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ

(٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

وفي رواية: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢]» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (خلق الله الخلق فلما فرغ منه) أي قضاه وأتمه.

قوله: (قامت الرحم) يحتمل أن يكون على الحقيقة، والأعراض يجوز أن تتجسد وتتكلم بإذن الله، ويجوز أن يكون على حذفٍ أي قام ملك فتكلم على لسانها، ويحتمل أن يكون ذلك على طريق ضرب المثل والاستعارة والمراد تعظيم شأنها وفضل واصلها وإثم قاطعها.

قوله: (فأخذت) كذا للأكثر بحذف مفعول أخذت، وفي رواية ابن السكن «فأخذت بحقو الرحمن» وفي رواية الطبري «بحقوي الرحمن» بالتثنية، قال القابسي أبى أبو زيد المروزي أن يقرأ لنا هذا الحرف لإشكاله، ومشى بعض الشراح على الحذف فقال: أخذت بقائمةٍ من قوائم العرش.

وقال عياض: «الحقو» معقد الإزار، وهو الموضع الذي يستجار به ويحتزم به على عادة العرب، لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدفع، كما قالوا نمنعه مما نمنع منه أزرنا، فاستعير ذلك مجازًا للرحم في استعاذتها بالله من القطيعة انتهى.

وقد يطلق الحقو على الإزار نفسه كما في حديث أم عطية «فأعطاها حقوه فقال: أشعرنها إياه» يعني إزاره وهو المراد هنا، وهو الذي جرت العادة بالتمسك به عند الإلحاح في الاستجارة والطلب، والمعنى على هذا صحيح مع اعتقاد تنزيه الله عن الجارحة.

قال الطيبي: هذا القول مبني على الاستعارة التمثيلية كأنه شبه حالة الرحم وما هي عليه من

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، حديث (٤٨٣٢).
(٢) فتح الباري (٨/ ٥٧٠).

الافتقار إلى الصلة والذب عنها بحال مستجير يأخذ بحقو المستجار به، ثم أسند على سبيل الاستعارة التخييلية ما هو لازم للمشبه به من القيام فيكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، ثم رشحت الاستعارة بالقول والأخذ وبلفظ الحقو فهو استعارة أخرى، والتثنية فيه للتأكيد لأن الأخذ باليدين آكد في الاستجارة من الأخذ بيدٍ واحدة.

قوله: (فقال له مه) هو اسم فعل معناه الزجر أي اكفف. وقال ابن، مالك: هي هنا «ما» الاستفهامية حذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت، والشائع أن لا يفعل ذلك إلا وهي مجرورة، لكن قد سمع مثل ذلك فجاء عن أبي ذؤيب الهذلي قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج، فقلت مَهْ؟ فقالوا. قبض رسول الله ﷺ.

قوله: (هذا مقام العائذ بك من القطيعة) هذه الإشارة إلى المقام أي قيامي في هذا مقام العائذ بك، وسيأتي مزيد بيان لما يتعلق بقطيعة الرحم في أوائل كتاب الأدب إن شاء الله تعالى. ووقع في رواية الطبري «هذا مقام عائذ من القطيعة» والعائذ المستعيذ، وهو المعتصم بالشيء المستجير به.

قوله: (قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: فهل عسيتم) هذا ظاهره أن الاستشهاد موقوف، وسيأتي بيان من رفعه وكذا في رواية الطبري من طريق سعيد بن أبي مريم عن سليمان بن بلال ومحمد بن جعفر بن أبي كثير.

قوله: (ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم) حاصله أن الذي وقفه سليمان بن بلال على أبي هريرة رفعه حاتم بن إسماعيل، وكذا وقع في رواية الإسماعيلي المذكورة.

قوله: (بهذا) أي بهذا الإسناد والمتن، ووافق حاتمًا على رفع هذا الكلام الأخير، وكذا أخرجه الإسماعيلي من طريق حبان بن موسى عن عبد الله بن المبارك.

(تنبيه): اختلف في تأويل قوله: (إن توليتم) فالأكثر على أنها من الولاية والمعنى إن وليتم الحكم، وقيل بمعنى الإعراض، والمعنى لعلكم إن أعرضتم عن قبول الحكم أن يقع منكم ما ذكر، والأول أشهر، ويشهد له ما أخرج الطبري في تهذيبه من حديث عبد الله بن مغفل قال سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [محمد: ٢٢] قال هم هذا «الحي من قريش، أخذ الله عليهم إن ولوا الناس أن لا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم».

* * *

(٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ

قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكِ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] » [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ) تقدم تأويل فرغ في تفسير القتال، قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون المراد بالخلق جميع المخلوقات، ويحتمل أن يكون المراد به المكلفين. وهذا القول يحتمل أن يكون بعد خلق السماوات والأرض وإبرازها في الوجود، ويحتمل أن يكون بعد خلقها كتبًا في اللوح المحفوظ ولم يبرز بعد إلا اللوح والقلم، ويحتمل أن يكون بعد انتهاء خلق أرواح بني آدم عند قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] لما أخرجهم من صلب آدم عليه السلام مثل الذر.

قوله: (قامت الرحم فقالت) قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون بلسان الحال ويحتمل أن يكون بلسان المقال قولان مشهوران، والثاني أرجح. وعلى الثاني: فهل تتكلم كما هي أو بخلق الله لها عند كلامها حياة وعقلاً؟ قولان أيضًا مشهوران، والأول أرجح لصلاحية القدرة العامة لذلك، ولما في الأولين من تخصيص عموم لفظ القرآن والحديث بغير دليل، ولما يلزم منه من حصر قدرة القادر التي لا يحصرها شيء.

قلت: وقد تقدم في تفسير القتال حمل عياض له على المجاز، وأنه من باب ضرب المثل، وقوله أيضًا يجوز أن يكون الذي نسب إليه القول ملكًا يتكلم على لسان الرحم، وتقدم أيضًا ما يتعلق بزيادةٍ في هذا الحديث من وجه آخر عن معاوية بن أبي مزرد وهي قوله: «فأخذت بحقو الرحمن» ووقع في حديث ابن عباس عند الطبراني «إن الرحم أخذت بحجزة الرحمن» وحكى شيخنا في «شرح الترمذي» أن المراد بالحجزة هنا قائمة العرش، وأيد ذلك بما أخرجه مسلم من حديث عائشة «إن الرحم أخذت بقائمةٍ من قوائم العرش» [٣] وتقدم أيضًا ما يتعلق بقوله: «هذا مقام العائذ بك من القطيعة» [٤] في تفسير القتال، ووقع في رواية حبان بن موسى عن ابن المبارك بلفظ: «هذا مكان» بدل «مقام» وهو تفسير المراد أخرجه النسائي [٥].

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث (٥٩٨٧).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٤١٧).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم (٢٥٥٥).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى»، (٦/ ٤٦١)، برقم (١١٤٩٧)، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٢٩).

قوله: (أصل من وصلك وأقطع من قطعك) في ثاني أحاديث الباب من وجه آخر عن أبي هريرة **«من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»** قال ابن أبي جمرة: الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه، وإنما خاطب الناس بما يفهمون، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى، عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده. قال: وكذا القول في القطع، هو كناية عن حرمان الإحسان.

وقال القرطبي: وسواء قلنا إنه يعني القول المنسوب إلى الرحم على سبيل المجاز أو الحقيقة أو إنه على جهة التقدير والتمثيل كأن يكون المعنى: لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت كذا، ومثله ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا﴾[الحشر: ٢١] الآية، وفي آخرها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾[العنكبوت: ٤٣] فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته، وإذا كان كذلك فجار الله غير مخذول، وقد قالﷺ: **«من صلى الصبح فهو في ذمة الله، وإن من يطلبه الله بشيء من ذمته يدركه ثم يكبه على وجهه في النار»** أخرجه مسلم.

* * *

(٧٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ» [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (الرحم شجنة) بكسر المعجمة وسكون الجيم بعدها نون، وجاء بضم أوله وفتحه رواية ولغة. وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة، والشجن بالتحريك واحد الشجون وهي طرق الأودية، ومنه قولهم: **«الحديث ذو شجون»** أي يدخل بعضه في بعض.

وقوله: **«من الرحمن»** أي أخذ اسمها من هذا الاسم كما في حديث عبد الرحمن بن عوف في السنن مرفوعًا **«أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي»** [(٣)] والمعنى أنها أثر من آثار

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث (٥٩٨٨).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤١٨).

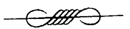
(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الزكاة، باب: في صلة الرحم، برقم (١٦٩٤)، والترمذي، (١٩٠٧)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

الرحمة مشتبكة بها؛ فالقاطع لها منقطع من رحمة الله . وقال الإسماعيلي : معنى الحديث أن الرحم اشتق اسمها من اسم الرحمن فلها به علقة، وليس معناه أنها من ذات الله . تعالى الله عن ذلك .

قال القرطبي : الرحم التي توصل عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة . وأما الرحم الخاصة فتزيد للنفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم . وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك كما في الحديث الأول من كتاب الأدب «**الأقرب فالأقرب**» .

وقال ابن أبي جمرة : تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء . والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى .

قوله : (فقال الله) زاد الإسماعيلي في روايته «**لها**» وهذه الفاء عاطفة على شيء محذوف، وأحسن ما يقدر له ما في الحديث الذي قبله «**فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال الله إلخ**» .



أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي

(٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»[١].

الشرح [٢]:

قوله: (تحاجت) أي تخاصمت.

قوله: (بالمتكبرين والمتجبرين) قيل هما بمعنًى، وقيل المتكبر المتعاظم بما ليس فيه والمتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه وقيل الذي لا يكترث بأمر.

قوله: (ضعفاء الناس وسقطهم) بفتحتين أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح، أو المراد بالحصر في قول الجنة: «لا ضعفاء الناس» الأغلب.

قال النووي: هذا الحديث على ظاهره، وإن الله يخلق في الجنة والنار تمييزًا يدركان به ويقدران على المراجعة والاحتجاج، ويحتمل أن يكون بلسان الحال، وسيأتي مزيدًا لهذا في «باب قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]» من كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

* * *

(٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا. فَقَالَتِ الْجَنَّةُ:

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]، حديث (٤٨٥٠).

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٩٧).

يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟! وَقَالَتِ النَّارُ: يَعْنِي أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق:٣٠] ثَلاَثًا حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ، قَطْ» (١).

الشرح (٢):

قوله: (اختصمت) في رواية همام عن أبي هريرة المتقدمة في سورة ق «**تحاجت**» ولمسلم من طريق أبي الزناد عن الأعرج «**احتجت**» وكذا له من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة، وكذا في حديث أبي سعيد عنده قال الطيبي: تحاجت أصله تحاججت وهو مفاعلة من الحجاج وهو الخصام وزنه ومعناه، يقال: حاججته محاججة ومحاجة وحجاجًا أي غالبته بالحجة ومنه «**فحج آدم موسى**» لكن حديث الباب لم يظهر فيه غلبة واحد منهما.

قلت: إنما وزان «**فحج آدم موسى**» لو جاء تحاجت الجنة والنار فحاجت الجنة النار، وإلا فلا يلزم من وقوع الخصام الغلبة، قال ابن بطال عن المهلب: يجوز أن يكون هذا الخصام حقيقة بأن يخلق الله فيهما حياة وفهمًا وكلامًا والله قادر على كل شيء، ويجوز أن يكون هذا مجازًا كقولهم: «**امتلأ الحوض وقال قطني**» والحوض لا يتكلم وإنما ذلك عبارة عن امتلائه وأنه لو كان ممن ينطق لقال ذلك، وكذا في قول النار: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق:٣٠] قال وحاصل اختصاصهما افتخار أحدهما على الأخرى بمن يسكنها فتظن النار أنها بمن ألقي فيها من عظماء الدنيا أبر عند الله من الجنة، وتظن الجنة أنها بمن أسكنها من أولياء الله تعالى أبر عند الله، فأجيبتا بأنه لا فضل لأحدهما على الأخرى من طريق من يسكنهما، وفي كلاهما شائبة شكاية إلى ربهما إذ لم تذكر كل واحدة منهما إلا ما اختصت به، وقد رد الله الأمر في ذلك إلى مشيئته، وقد تقدم كلام النووي في هذا في تفسير ق، وقال صاحب المفهم: يجوز أن يخلق الله ذلك القول فيما شاء من أجزاء الجنة والنار؛ لأنه لا يشترط عقلاً في الأصوات أن يكون محلها حيا على الراجح ولو سلمنا الشرط لجاز أن يخلق الله في بعض أجزائهما الجمادية حياة لا سيما وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[العنكبوت:٦٤] إن كل ما في الجنة حي، ويحتمل أن يكون ذلك بلسان الحال

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، حديث (٧٤٤٩).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٣٦).

والأول أولى.

قوله: (فقالت الجنة يا رب ما لها) فيه التفات؛ لأن نسق الكلام أن تقول ما لي، وقد وقع كذلك في رواية همام ما لي، وكذا لمسلم عن أبي الزناد.

قوله: (إلا ضعفاء الناس وسقطهم) زاد مسلم **«وعجزهم»** وفي رواية له **«وغرثهم»** وقد تقدم بيان المراد بالضعفاء في تفسير ق، وسقطهم بفتحتين جمع ساقط وهو النازل القدر الذي لا يؤبه له، وسقط المتاع رديئه وعجزهم بفتحتين أيضًا جمع عاجز ضبطه عياض، وتعقبه القرطبي بأنه يلزم أن يكون بتاء التأنيث ككاتب وكتبة وسقوط التاء في هذا الجمع نادر، قال: والصواب بضم أوله وتشديد الجيم مثل: شاهد وشهد، وأما **«غرثهم»** فهو بمعجمة ومثلثة جمع غرثان أي جيعان، ووقع في رواية الطبري بكسر أوله وتشديد الراء ثم مثناة أي غفلتهم، والمراد به أهل الإيمان الذين لم يتفطنوا للشبه، ولم توسوس لهم الشياطين بشيء من ذلك فهم أهل عقائد صحيحة وإيمان ثابت وهم الجمهور، وأما أهل العلم والمعرفة فهم بالنسبة إليهم قليل.

قوله: (وقالت النار، فقال للجنة) كذا وقع هنا مختصرًا قال ابن بطال: سقط قول النار هنا من جميع النسخ وهو محفوظ في الحديث، رواه ابن وهب عن مالك بلفظ أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين.

قلت: هو في غرائب مالك للدارقطني وكذا هو عند مسلم من رواية ورقاء عن أبي الزناد وله من رواية سفيان عن أبي الزناد **«يدخلني الجبارون والمتكبرون»** (١) وفي رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة **«ما لي لا يدخلني إلا»** أخرجه النسائي (٢)، وفي حديث أبي سعيد **«فقالت النار في»** أخرجه أبو يعلى وساق مسلم سنده (٣).

---

(١) رواية ورقاء:
أخرجها مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٤٦).
رواية سفيان:
أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٤٦).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى»، (٤/ ٤١٤)، برقم (٧٧٤٠)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٢٩١٩).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده، (٢/ ٣٩٧)، برقم (١١٧٢)، وقد صححه الألباني، انظر «صحيح الترغيب والترهيب»، (٢٩٠٥).

قوله : (فقال الله تعالى للجنة أنت رحمتي) زاد أبو الزناد في روايته «**أرحم بك من أشاء من عبادي**» وكذا لهمام .

قوله : (وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء) زاد أبو الزناد «**من عبادي**» .

قوله : (ملؤها) بكسر أوله وسكون اللام بعدها همزةٌ .

قوله : (فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا وأنه ينشئ للنار من يشاء) قال أبو الحسن القابسي : المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقًا وأما النار فيضع فيها قدمه قال : ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقًا إلا هذا انتهى .

وقد مضى في تفسير سورة ق من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة «**يقال لجهنم : هل امتلأت وتقول : هل من مزيد، فيضع الرب عليها قدمه فتقول : قط قط**» [1] ومن طريق همام بلفظ «**فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول : قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدًا**» [2] وتقدم هناك بيان اختلافهم في المراد بالقدم مستوفًى، وأجاب عياض بأن أحد ما قيل في تأويل القدم أنهم قوم تقدم في علم الله أنه يخلقهم قال : فهذا مطابق للإنشاء، وذكر القدم بعد الإنشاء يرجح أن يكونا متغايرين، وعن المهلب قال في هذه الزيادة حجة لأهل السنة في قولهم إن لله أن يعذب من لم يكلفه لعبادته في الدنيا ؛ لأن كل شيء ملكه فلو عذبهم لكان غير ظالم انتهى .

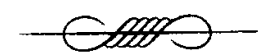
وأهل السنة إنما تمسكوا في ذلك بقوله تعالى : ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء :٢٣] و ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران :٤٠] وغير ذلك، وهو عندهم من جهة الجواز، وأما الوقوع ففيه نظر، وليس في الحديث حجة للاختلاف في لفظه ولقبوله التأويل، وقد قال جماعة من الأئمة : إن هذا الموضع مقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني واحتج بقوله : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٩] ثم قال وحمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذي روح يعذب بغير ذنب انتهى، ويمكن التزام أن يكونوا من ذوي الأرواح ولكن لا يعذبون كما في الخزنة، ويحتمل أن يراد بالإنشاء ابتداء إدخال الكفار النار، وعبر عن ابتداء الإدخال بالإنشاء فهو إنشاء الإدخال لا الإنشاء بمعنى ابتداء الخلق بدليل قوله : «**فيلقون فيها وتقول : هل من مزيد**» وأعادها ثلاث مرات ثم قال : «**حتى يضع فيها قدمه فحينئذٍ تمتلئ**» فالذي يملؤها حتى تقول حسبي هو القدم كما هو صريح الخبر وتأويل القدم قد تقدم والله أعلم، وقد أيد ابن أبي جمرة حمله على غير ظاهره بقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ

---

(١) سبق تخريجه . (٢) سبق تخريجه .

يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين :١٥] إذ لو كان على ظاهره لكان أهل النار في نعيم المشاهدة كما يتنعم أهل الجنة برؤية ربهم؛ لأن مشاهدة الحق لا يكون معها عذاب، وقال عياض يحتمل أن يكون معنى قوله عند ذكر الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا أنه يعذب من يشاء غير ظالم له كما قال أعذب بك من أشاء، ويحتمل أن يكون راجعًا إلى تخاصم أهل الجنة والنار، فإن الذي جعل لكل منهما عدل وحكمة وباستحقاق كل منهم من غير أن يظلم أحدًا، وقال غيره: يحتمل أن يكون ذلك على سبيل التلميح بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف :٣٠] فعبر عن ترك تضييع الأجر بترك الظلم، والمراد أنه يدخل من أحسن الجنة التي وعد المتقين برحمته، وقد قال للجنة أنت رحمتي وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف :٥٦] وبهذا تظهر مناسبة الحديث للترجمة والعلم عند الله تعالى.

وفي الحديث دلالة على اتساع الجنة والنار بحيث تسع كل من كان ومن يكون إلى يوم القيامة وتحتاج إلى زيادة، وقد تقدم في آخر الرقاق أن آخر من يدخل الجنة يعطى مثل الدنيا وعشرة أمثالها، وقال الداودي: يؤخذ من الحديث أن الأشياء توصف بغالبها؛ لأن الجنة قد يدخلها غير الضعفاء والنار قد يدخلها غير المتكبرين، وفيه رد على من حمل قول النار: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق :٣٠] على أنه استفهام إنكار وأنها لا تحتاج إلى زيادة.



مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ

(٧٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» يُرِيدُ عَيْنَيْهِ.

تَابَعَهُ أَشْعَثُ بْنُ جَابِرٍ، وَأَبُو ظِلَالٍ بْنُ هِلَالٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه) بالتثنية، وقد فسرهما آخر الحديث بقوله: «يريد عينيه» ولم يصرح بالذي فسرهما، والمراد بالحبيبتين المحبوبتان لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به، أو شر فيجتنبه.

قوله: (فصبر) زاد الترمذي في روايته عن أنس «واحتسب» [٣] وكذا لابن حبان [٤] والترمذي من حديث أبي هريرة [٥]، ولابن حبان من حديث ابن عباس أيضًا [٦]، والمراد أنه يصبر مستحضرًا ما وعد الله به الصابر من الثواب، لا أن يصبر مجردًا عن ذلك، لأن الأعمال بالنيات، وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد وإلا يصير كما جاء في حديث سلمان «أن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبًا، وأن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» موقوفًا.

قوله: (عوضته منهما الجنة) وهذا أعظم العوض، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها، وهو شامل لكل من وقع له ذلك بشرط المذكور. ووقع في حديث أبي أمامة فيه قيد آخر أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» بلفظ: «إذا أخذت كريمتيك فصبرت عند

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره، حديث (٥٦٥٣).

(٢) فتح الباري (١٠/١١٦).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في ذهاب البصر، برقم (٢٤٠١)، من حديث أبي هريرة وليس عنده من حديث أنس بهذا السياق، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

(٤) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (٧/١٩٣)، برقم (٢٩٣٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٢٩٣٠).

(٥) سبق تخريجه قريبا.

(٦) سبق تخريجه قريبا.

الصدمة واحتسبت» [١] فأشار إلى أن الصبر النافع هو ما يكون في أول وقوع البلاء فيفوض ويسلم، وإلا فمتى تضجر وتقلق في أول وهلة ثم يئس فيصبر لا يكون حصل المقصود، وقد مضى حديث أنس في الجنائز **«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»** وقد وقع في حديث العرباض فيما صححه ابن حبان فيه بشرط آخر ولفظه: **«إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له ثوابًا دون الجنة إذا هو حمدني عليهما»** [٢] ولم أر هذه الزيادة في غير هذه الطريق، وإذا كان ثواب من وقع له ذلك الجنة فالذي له أعمال صالحة أخرى يزاد في رفع الدرجات.

قوله: (تابعه أشعث بن جابر وأبو ظلال بن هلال عن أنس) أما متابعة أشعث بن جابر وهو ابن عبد الله بن جابر نسب إلى جده وهو أبو عبد الله الأعمى البصري الحداني بضم الحاء وتشديد الدال المهملتين، وحدان بطن من الأزد، ولهذا يقال له الأزدي، وهو الحملي بضم المهملة وسكون الميم وهو مختلف فيه، وقال الدارقطني يعتد به وليس له في البخاري إلا هذا الموضع فأخرجها أحمد بلفظ: **«قال ربكم من أذهبت كريمتيه ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة»** [٣]. وأما متابعة أبي ظلال فأخرجها عبد بن حميد عن يزيد بن هارون عنه قال: **«دخلت على أنس فقال لي: أدنه، متى ذهب بصرك؟ قلت: وأنا صغير. قال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى»** فذكر - الحديث بلفظ: **«ما لمن أخذت كريمتيه عندي جزاء إلا الجنة»** وأخرج الترمذي من وجه آخر عن أبي ظلال بلفظ: **«إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة»** [٤].

(تنبيه): أبو ظلال بكسر الظاء المشالة المعجمة والتخفيف اسمه هلال، والذي وقع في الأصل أبو ظلال بن هلال صوابه إما أبو ظلال هلال بحذف **«ابن»**. وإما أبو ظلال بن أبي هلال بزيادة **«أبي»** واختلف في اسم أبيه فقيل ميمون. وقيل: سويد. وقيل: يزيد. وقيل: زيد، وهو ضعيف عند الجميع، إلا أن البخاري قال إنه مقارب الحديث، وليس له في صحيحه غير هذه المتابعة. وذكر المزي في ترجمته أن ابن حبان ذكره في الثقات، وليس بجيد، لأن ابن حبان ذكره في الضعفاء فقال: لا يجوز الاحتجاج به، وإنما ذكر في الثقات هلال بن أبي هلال آخر روى عنه

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، (١/ ١٨٩)، برقم (٥٣٥)، وقد صححه الألباني في تعليقه على «الأدب المفرد»، (٥٣٥).
(٢) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (٧/ ١٩٤)، برقم (٢٩٣١)، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (٤٣٠٥).
(٣) أخرجه أحمد، (١٣٦٠٧).
(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في ذهاب البصر، برقم (٢٤٠٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

يحيى بن المتوكل، وقد فرق البخاري بينهما، ولهم شيخ ثالث يقال له هلال بن أبي هلال تابعي أيضًا روى عنه ابنه محمد، وهو أصلح حالاً في الحديث منهما، والله أعلم.

* * *

(٧٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلاَّ الْجَنَّةَ».

وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَأَبُو ظِلاَلٍ اسْمُهُ هِلاَلٌ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إن الله يقول إذا أخذت كريمتي عبدي) أي أعميت عينيه الكريمتين عليه وإنما سميتا بها لأنه لا أكرم عند الإنسان في حواسه منها (لم يكن له جزاءٌ عندي إلا الجنة) أي دخولها مع السابقين أو بغير عذابٍ؛ لأن العمى من أعظم البلايا، وهذا قيده في حديث أبي هريرة الآتي بما إذا صبر واحتسب.

قوله: (وفي الباب عن أبي هريرة وزيد بن أرقم) أما حديث أبي هريرة فأخرجه الترمذي في هذا الباب [٣] وأما حديث زيد بن أرقم فأخرجه البزار من رواية جابر الجعفي بلفظ: «ما ابتلي عبدٌ بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى الله لقي الله تبارك وتعالى ولا حساب عليه» [٤]. قال الحافظ في الفتح: وأصله عند أحمد [٥] بغير لفظه بسندٍ جيدٍ، انتهى.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه) وأخرجه البخاري ولفظه: «إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه» [٦].

* * *

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر، حديث (٢٤٠٠).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/٦٨). (٣) سبق تخريجه.
(٤) عزاه الهيثمي في مجمعه، (٢/٣٠٨) للبزار، وقال: وفيه جابر الجعفي وفيه كلام كثير، وقد وثقه.
(٥) أخرجه أحمد، (١٣٦٠٧).
(٦) أخرجه البخاري، كتاب: المرض، باب: فضل من ذهب بصره، برقم (٥٦٥٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ». وَفِي الْبَاب عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (من أذهبت حبيبتيه) بالتثنية قال الحافظ وقد فسرهما آخر الحديث بقوله يريد عينيه والمراد بالحبيبتين المحبوبتان؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خيرٍ فيسر به أو شر فيجتنبه.

(فصبر واحتسب) قال الحافظ المراد أنه يصبر مستحضرًا ما وعد الله به الصابر من الثواب، لا أن يصبر مجردًا عن ذلك لأن الأعمال بالنيات وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه، بل إما لدفع مكروهٍ أو لكفارة ذنوبٍ أو لرفع منزلةٍ، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد، وإلا يصير كما جاء في حديث سلمان: «إن مرض المؤمن يجعله الله له كفارةً ومستعتبًا، وإن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل». أخرجه البخاري في الأدب المفرد موقوفًا [٣]، انتهى.

(لم أرض له ثوابًا دون الجنة) قال الحافظ: وهذا أعظم العوض لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا، والالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها وهو شاملٌ لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور، ووقع في حديث أبي أمامة فيه قيدٌ آخر أخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظ: «إذا أخذت كريمتيك فصبرت عند الصدمة واحتسبت» فأشار إلى أن الصبر النافع هو ما يكون في وقوع البلاء فيفوض ويسلم وإلا فمتى تضجر وتقلق في أول وهلةٍ ثم يئس فيصبر لا يكون حصل المقصود. وقد مضى حديث أنسٍ في الجنائز: إنما الصبر عند الصدمة الأولى. وقد وقع في حديث العرباض فيما صححه ابن حبان فيه بشرطٍ آخر ولفظه: «إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنينٌ لم أرض له ثوابًا دون الجنة إذا هو حمدني عليهما» [٤]. ولم أر هذه الزيادة في غير هذه الطريق، وإذا كان

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر، حديث (٢٤٠١).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٦٩).

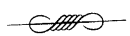
(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٧٣)، برقم (٤٩٣)، وقد صححه الألباني في تعليقه على «الأدب المفرد».

(٤) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (٧/ ١٩٤)، برقم (٢٩٣١)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٣٤٥٠).

ثواب من وقع له ذلك الجنة، فالذي له أعمالٌ صالحةٌ أخرى يزاد في رفع الدرجات انتهى.

قوله: (وفي الباب عن عرباض بن سارية) أخرجها ابن حبان في صحيحه.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ) وأخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظ قال رسول الله ﷺ: **«لا يذهب الله بحبيبتي عبدٍ فيصبر ويحتسب إلا أدخله الله الجنة»** [1].



(١) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (٧/ ١٩٤)، برقم (٢٩٣٢)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٣٤٥١).

فَبِي يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟

(٨١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، فَبِي حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا، فَبِي يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (لقد خلقت خلقًا) أي من الآدميين (ألسنتهم أحلى من العسل) فبها يملقون ويداهنون (وقلوبهم أمر من الصبر) قال في القاموس: الصبر ككتفٍ ولا يسكن إلا في ضرورة شعرٍ عصارة شجرٍ مر أي فبها يمكرون وينافقون (لأتيحنهم) بمثناةٍ فوقيةٍ فمثناةٍ تحتيةٍ فحاءٍ مهملةٍ فنونٍ أي لأقدرن لهم من أتاح له كذا أي قدر له وأنزل به (فتنةً) أي ابتلاءً وامتحانًا (تدع الحليم) بفتح الدال أي تتركه (منهم حيرانًا) أي تترك العاقل منهم متحيرًا، لا يمكنه دفعها، ولا كف شرها. (فبي يغترون) بتقدير همزة الاستفهام.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) ذكر المنذري في الترغيب هذا الحديث ونقل تحسين الترمذي وأقره. اعلم أن حديث ابن عمر هذا وحديث أبي هريرة الذي قبله، لا مناسبة لهما بباب ذهاب البصر، ولعله سقط قبلهما بابٌ يناسب هذين الحديثين.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر، حديث (٢٤٠٥).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٧٢).

أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ، فَمَاذَا صَنَعْتَ؟

(٨٢) عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ، فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهِ، فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْرًا فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النَّارِ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ الْحَسَنِ قَوْلَهُ: وَلَمْ يُسْنِدُوهُ.

وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (يجاء) أي يؤتى (كأنه بذجٌ) بفتح موحدةٍ وذالٍ معجمةٍ فجيمٍ ولد الضأن معرب بزه أراد بذلك هوانه وعجزه. وفي بعض الطرق فكأنه بذجٌ من الذل وفي شرح السنة شبه ابن آدم بالبذج لصغاره وصغره، أي يكون حقيرًا ذليلًا (فيوقف) أي ابن آدم (أعطيتك) أي الحياة والحواس والصحة والعافية ونحوها (وخولتك) أي جعلتك ذا خولٍ من الخدم والحشم والمال والجاه وأمثالها (وأنعمت عليك) أي بإنزال الكتاب وبإرسال الرسول وغير ذلك (فماذا صنعت) أي فيما ذكر (فيقول جمعته) أي المال (وثمرته) بتشديد الميم أي نميته وكثرته (وتركته) أي في الدنيا عند موتي (أكثر ما كان) أي في أيام حياتي (فارجعني) بهمزة وصلٍ أي ردني إلى الدنيا (آتك به كله) أي بإنفاقه في سبيلك، كما أخبر عن الكفار أنهم يقولون في الآخرة: «رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت» «فيقول له» أي الرب لابن آدم (أرني ما قدمت) أي لأجل الآخرة من الخير (فيقول) أي ثانيًا كما قال أولاً (فإذا عبدٌ) الفاء فصيحةٌ تدل على المقدر وإذا للمفاجأة وعبدٌ خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ. أي قال رسول الله ﷺ فإذا هو عبدٌ (لم يقدم) خيرًا أي فيما أعطي ولم يمتثل ما أمر به ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٠] (فيمضى به) بصيغة المجهول أي فيذهب به.

* * *

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، حديث (٢٤٢٧).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٩٧).

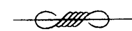
(٨٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالاَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالاً وَوَلَدًا؟ وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ؟ وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلاَقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ قَالَ : فَيَقُولُ : لاَ، فَيَقُولُ لَهُ : الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي» .

قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ : «الْيَوْمَ أَنْسَاكَ» يَقُولُ : الْيَوْمَ أَتْرُكُكَ فِي الْعَذَابِ، هَكَذَا فَسَّرُوهُ .

قَالَ أَبُو عِيسَى : وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذِهِ الآيَةَ ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ [الأعراف :٥١] قَالُوا : إِنَّمَا مَعْنَاهُ : الْيَوْمَ نَتْرُكُهُمْ فِي الْعَذَابِ [١] .

الشرح [٢]:

قوله : (ترأس) بوزن تفتح رأس القوم يرأسهم إذا صار رئيسهم ومقدمهم (وتربع) أي تأخذ ربع الغنيمة، يقال ربعت القوم إذا أخذت ربع أموالهم أي ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا؛ لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ويسمى ذلك الربع المرباع .



(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، حديث (٢٤٢٨).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٩٧).

يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى

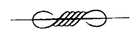
(٨٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ».

قَالَ التِرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَأَبُو خَالِدٍ الْوَالِبِيُّ اسْمُهُ هُرْمُزُ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إن الله يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي) أي تفرغ عن مهماتك لطاعتي (أملأ صدرك) أي قلبك (غنًى) والغنى إنما هو غنى القلب (وأسد فقرك) أي تفرغ عن مهماتك لعبادتي أقضي مهماتك وأغنيك عن خلقي، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، وتسكن للتخفيف. ولم أسد فقرك أي إن لم تفرغ لذلك واشتغلت بغيري لم أسد فقرك لأن الخلق فقراء على الإطلاق فتزيد فقرًا على فقرك.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) وأخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد [٣]، وقال الحاكم صحيح الإسناد وقال المناوي: وأقروه.



(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، حديث (٢٤٦٦).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ١٤٠).

(٣) أخرجه أحمد، (٨٤٨١)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا، برقم (٤١٠٧)، وابن حبان في (صحيحه)، (٢/ ١١٩)، برقم (٣٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨١)، برقم (٣٦٥٧)، والبيهقي في «الزهد»، (٢/ ٣٦٨)، برقم (٩٨٨)، والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (١٩١٤).

يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ أَتَذْكُرُ يَوْمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟

(٨٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ : أَفِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ : نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِيٍّ، عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، وَمَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ : «نَعَمْ، قَالَ : هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قُلْنَا : لاَ، قَالَ : كَذَلِكَ لاَ تُمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، وَلاَ يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلاَّ حَاضَرَهُ اللَّهُ مُحَاضَرَةً حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ أَتَذْكُرُ يَوْمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيُذَكِّرُ بِبَعْضِ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي، فَيَقُولُ : «بَلَى، فَسَعَةُ مَغْفِرَتِي بَلَغَتْ بِكَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ» فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، وَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى : قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرْ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ الآذَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا وَلاَ يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ : فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ إِلَيْهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا، ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَيَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ : مَرْحَبًا وَأَهْلاً لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ : إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا».

قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رَوَى سُوَيْدُ بْنُ عَمْرٍو عَنِ الأَوْزَاعِيِّ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ [١].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، حديث (٢٥٤٩).

الشرح [١]:

قوله: (فقال سعيدٌ أفيها) أي في الجنة (سوقٌ) يعني: وهي موضوعةٌ للحاجة إلى التجارة (أخبرني رسول الله ﷺ أن) قال القاري: بالفتح في أصل السيد وغيره وفي نسخةٍ يعني من المشكاة بالكسر على الحكاية أي الخبر هو قوله إن أو للتقدير قائلاً إن (أهل الجنة إذا دخلوها) أي الجنة (نزلوا فيها) أي في منازلها ودرجاتها (بفضل أعمالهم) أي بقدر زيادة طاعاتهم لهم كميةً وكيفيةً (ثم يؤذن) أي لأهل الجنة (في مقدار يوم الجمعة) أي في مقدار الأسبوع. والظاهر أن المراد يوم الجمعة فإنه ورد الأحاديث في فضائل يوم الجمعة أنه يكون في الجنة يوم جمعةٍ كما كان في الدنيا ويحضرون ربهم إلى آخر الحديث كذا في اللمعات وقال القاري: أي قدر إتيانه والمراد في مقدار الأسبوع انتهى.

(فيزورون ربهم) أي (ويبرز) من الإبراز ويظهر ربهم (ويتبدى لهم) بتشديد الدال أي يظهر ويتجلى ربهم لهم (فتوضع لهم منابر) أي كراسي مرتفعةٌ (ومنابر من زبرجدٍ) بفتح زايٍ وموحدةٍ فراءٍ ساكنةٍ فجيمٍ مفتوحةٍ جوهرٌ معروفٌ (ومنابر من ذهبٍ ومنابر من فضةٍ) أي بحسب مقادير أعمالهم ومراتبٌ أحوالهم (ويجلس أدناهم) أي أدونهم منزلةً (وما فيهم دني) أي والحال أنه ليس في أهل الجنة دونٌ وخسيسٌ قال الطيبي رحمه الله: وهو تتميمٌ صونًا لما يتوهم من قوله أدناهم الدناءة والمراد به الأدنى في المرتبة (على كثبان المسك) بضم الكاف وسكون المثلثة جمع كثيبٍ أي تل من الرمل المستطيل من كثبت الشيء إذا جمعته (والكافور) بالجر عطفٌ على المسك (ما يرون) بصيغة المجهول من الإراءة والضمير إلى الجالسين على الكثبان أي لا يظنون ولا يتوهمون (أن أصحاب الكراسي) أي أصحاب المنابر (بأفضل منهم مجلسًا) حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، بل إنهم واقفون في مقام الرضا ومتلذذون بحال التسليم بما جرى القضاء.

(هل تتمارون) تفاعلٌ من المرية بمعنى الشك أي هل تشكون (من رؤية الشمس) وفي بعض النسخ في رؤية الشمس أي في رؤيتكم الشمس (والقمر) أي وفي رؤية القمر (ليلة البدر) واحترز عن الهلال وعن القمر في غير ليالي البدر فإنه لم يكن حينئذٍ في نهاية النور (قلنا لا) أي لا نشك في رؤية الشمس والقمر (إلا حاضره الله محاضرةً).

قال التوربشتي رحمه الله: الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجابٍ ولا ترجمانٍ، ومنه الحديث: «ما منكم من أحدٍ إلا

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٢١٩).

ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمانٌ» الحديث. والمعنى خاطبه الله مخاطبةً وحاوره محاورةً (يا فلان) بالفتح والضم (بن فلانٍ) بنصب ابنٍ وصرف فلانٍ وهما كنايتان عن اسمه واسم أبيه. وروى أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء مرفوعًا: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» [1] (أتذكر يوم قلت كذا وكذا) أي مما لا يجوز في الشرع فكأنه يتوقف الرجل فيه ويتأمل فيما ارتكبه من معاصيه (فيذكره) بتشديد الكاف أي فيعلمه الله.

(ببعض غدراته) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة: جمع غدرةٍ بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك الوفاء والمراد معاصيه لأنه لم يفِ بتركها الذي عهد الله إليه في الدنيا (أفلم تغفر لي) أي أدخلتني الجنة فلم تغفر لي ما صدر لي من المعصية (فيقول بلى) أي غفرت لك فبسعة مغفرتي بفتح السين ويكسر (بلغت) أي وصلت (منزلتك هذه).

قال الطيبي: عطفٌ على مقدرٍ أي غفرت لك فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة والتقديم دل على التخصيص أي بلوغك تلك المنزلة كائنٌ بسعة رحمتي لا بعملك (فبينما) وفي بعض النسخ فبينما وفي بعض النسخ فبينا (هم) أي على أهل الجنة (على ذلك) أي على ما ذكر من المحاضرة والمحاورة (غشيتهم) أي غطتهم (فأمطرت عليهم طيبًا) أي عظيمًا (قد حفت) بتشديد الفاء أي أحاطت.

(ما لم تنظر العيون إلى مثله) قال المظهر: ما موصولةٌ والموصول مع صلته يحتمل أن يكون منصوبًا بدلاً من الضمير المنصوب المقدر العائد إلى ما في قوله ما أعددت، ويحتمل أن يكون في محل الرفع على أنها خبر مبتدإٍ محذوفٍ أي المعد لكم وقيل أو هو مبتدأٌ خبره محذوفٌ أي فيها.

وقال الطيبي رحمه الله: الوجه أن يكون ما موصوفةٌ بدلاً من سوقًا انتهى وفي بعض النسخ فيه، (ما لم تنظر العيون إلى مثله) وهو ظاهرٌ (ولم تسمع الآذان) بمد الهمزة جمع الأذن أي وما لم تسمع بمثله (ولم يخطر) بضم الطاء أي وما لم يمر مثله على القلوب (فيحمل إلينا) أي إلى قصورنا (وليس يباع فيها ولا يشترى) الجملة حالٌ من ما في اشتهينا وهو المحمول والضمير في يباع عائدٌ إليه (وفي ذلك السوق) هو يذكر ويؤنث فأنثه تارةً وذكره أخرى والتأنيث أكثر وأشهر (يلقى) أي يرى (قال) أي النبي ﷺ وأبو هريرة مرفوعًا حقيقةً أو موقوفًا في حكم المرفوع (فيقبل) من الإقبال أي فيجيء ويتوجه (من هو دونه) أي في الرتبة والمنزلة (فيروعه) بضم الراء (ما يرى) أي يبصره (عليه من اللباس) بيان ما، قال الطيبي: الضمير المجرور يحتمل أن يرجع إلى من فيكون الروع

---

(١) أخرجه أحمد، (٢١١٨٥)، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في تغيير الأسماء، برقم (٤٩٤٨)، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف سنن أبي داود».

مجازًا عن الكراهة مما هو عليه من اللباس وأن يرجع إلى الرجل ذي المنزلة. فالروع بمعنى الإعجاب أي يعجبه حسنه فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه، ويدل عليه قوله: (فما ينقضي آخر حديثه) أي ما ألقي في روعه من الحديث وضمير المفعول فيه عائدٌ إلى من (حتى يتخيل عليه) بصيغة الفاعل. وفي نسخةٍ يعني من المشكاة بالبناء للمفعول أي حتى يتصور له (ما هو أحسن منه) أي يظهر عليه أن لباسه أحسن من لباس صاحبه وذلك أي سبب ما ذكر من التخيل (أنه) أي الشأن (أن يحزن) بفتح الزاي يغتم (فيها) أي في الجنة. فحزنٌ هنا لازمٌ من حزن بالكسر لا من باب نصر فإنه متعد غير ملائم للمقام (فتتلقانا) من التلقي أي تستقبلنا (أزواجنا) أي من نساء الدنيا ومن الحور العين (ويحق لنا) قال القاري: بكسر الحاء وتشديد القاف وفي نسخةٍ يعني من المشكاة بضم الحاء، ففي المصباح. حق الشيء كضرب ونصر إذا ثبت. وفي القاموس حق الشيء وجب ووقع بلا شك، وحقه أوجبه لازمٌ ومتعد. فالمعنى يوجبنا ويلزمنا، ويمكن أن يكون من باب الحذف والإيصال أي يحق لنا ويليق بنا (أن ننقلب بمثل ما انقلبنا) أي من الانقلاب بمعنى الانصراف.

قوله: (هذا حديثٌ غريبٌ) قال المنذري في الترغيب بعد ذكر هذا الحديث: رواه الترمذي وابن ماجه كلاهما من رواية عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيدٍ [(١)]. وقال الترمذي حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال وعبد الحميد هو كاتب الأوزاعي مختلفٌ فيه وبقية رواة الإسناد ثقاتٌ، وقد رواه ابن أبي الدنيا عن هقل بن زيادٍ كاتب الأوزاعي أيضًا [(٢)] واسمه محمدٌ، وقيل عبد الله وهو ثقةٌ ثبتٌ احتج به مسلمٌ وغيره عن الأوزاعي قال: نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة، فذكر الحديث انتهى.

* * *

(٨٦) عن سَعيد بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ، قَالَ سَعِيدٌ: أَوَ فِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ

---

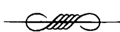
(١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سوق الجنة، برقم (٢٥٤٩)، وابن ماجه، (٤٣٣٦)، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف جامع الترمذي».

(٢) أخرجه الدارقطني في «العلل»، (٧/ ٢٧٥)، من طريق هقل عن الأوزاعي به.

فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، مَا يُرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: كَذَلِكَ لاَ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَلاَ يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلاَّ حَاضَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاضَرَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ: أَلاَ تَذْكُرُ يَا فُلاَنُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، ثُمَّ يَقُولُ: قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ، قَالَ: فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حُفَّتْ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعِ الأَذَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ، قَالَ: فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلاَ يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ، فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ لَهُ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا، قَالَ: ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَتَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطِّيبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَنَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا»[١].

الشرح [٢]:

قوله: (في سوق الجنة) قيل هو مجمع لأهل الجنة يجتمعون فيها في كل مقدار جمعة أي أسبوع وليس هناك أسبوع حقيقة لفقد الشمس والنهار والليل (ويبرز) من أبرز إذا ظهر (ويتبدى) أي يظهر هو تعالى لهم قوله: (أدناهم) أي أقلهم منزلة ودرجة في الجنة بالنسبة إلى غيره (دنيء) خسيس (إلا حاضره الله محاضرة) الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاربة مع البعد من غير حجاب ولا ترجمان (غدارته) بفتحتين جمع غدرة هو ترك الوفاء والمراد بها المعاصي ما لم تنظر العيون إلى مثله قيل بدل مما أعددت أو خبر محذوف أي هو أي ذلك المعد لكم (فيروعه) أي يعجبه (أن يحزن) من حزن كفرح.



---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، حديث (٤٣٣٦).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه.

أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ

(٨٧) عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ».

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ [١].

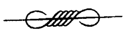
الشرح [٢]:

قوله: (عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس) بن مالكٍ أبي معاذٍ الأنصاري ثقةٌ من الرابعة.

قوله: (أخرجوا من النار من ذكرني) أي بشرط كونه مؤمنًا مخلصًا (يومًا) أي وقتًا وزمانًا (وخافني في مقام) أي مكانٍ في ارتكاب معصيةٍ من المعاصي كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قال الطيبي: أراد الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية، وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب، يدل عليه قوله ﷺ: من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة. والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي وتقيدها بالطاعات، وإلا فهو حديث نفسٍ حركةٌ لا يستحق أن يسمى خوفًا، ولك عند مشاهدة سببٍ هائلٍ، وإذا غاب ذلك السبب عن الحس، رجع القلب إلى الفضلة. قال الفضيل: إذا قيل ذلك هل تخاف الله؟ فاسكت فإنك إذا قلت: لا كفرت، وإذا قلت نعم كذبت، أشار به إلى الخوف الذي هو كف الجوارح عن المعاصي.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ) وأخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور [٣].



---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين، حديث (٢٥٩٤).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب»، (١/ ٤٦٩، ٤٧٠)، برقم (٧٤٠)، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع»، (٦٤٣٦).

بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً

(٨٨) عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعَافِرِيِّ ثُمَّ الْحُبُلِيِّ قَال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (إن الله سيخلص) بتشديد اللام أي يميز ويختار (رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة) وفي رواية ابن ماجه [(٣)]: يصاح برجلٍ من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق (فينشر) بضم الشين المعجمة أي فيفتح (تسعةً وتسعين سجلا) بكسرتين فتشديدٍ أي كتابًا كبيرًا (كل سجل مثل مد البصر) أي كل كتابٍ منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان (ثم يقول) أي الله سبحانه وتعالى (أتنكر من هذا) أي المكتوب (أظلمك كتبتي) بفتحاتٍ جمع كاتبٍ والمراد الكرام الكاتبون (الحافظون) أي لأعمال بني آدم (فيقول أفلك عذرٌ) أي فيما فعلته من كونه سهوًا أو خطأً أو جهلاً ونحو ذلك (فيقول بلى) أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك (إن لك عندنا حسنةً) أي واحدةً عظيمةً مقبولةً. وفي رواية ابن ماجه: ثم يقول ألك عن ذلك حسنةٌ فيهاب الرجل فيقول لا.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، حديث (٢٦٣٩).

(٢) تحفة الأحوذي (١٣/ ٧٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم: (٤٣٠٠)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن ابن ماجه».

فيقول بلى إن لك عندنا حسناتٍ (فيخرج) بصيغة المجهول المذكر، وفي رواية ابن ماجه فتخرج له (بطاقةٌ) قال في النهاية: البطاقة رقعةٌ صغيرةٌ يثبت فيها مقدار ما تجعل فيه إن كان عينًا فوزنه أو عدده، وإن كان متاعًا فثمنه، قيل سميت بذلك لأنها تشد بطاقةٍ من الثوب فتكون الباء حينئذٍ زائدةً وهي كلمةٌ كثيرة الاستعمال بمصر.

وقال في القاموس: البطاقة ككتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه سميت لأنها تشد بطاقةٍ من هدب الثوب (فيها) أي مكتوبٌ في البطاقة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) قال القاري: يحتمل أن الكلمة هي أول ما نطق بها. ويحتمل أن تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولةً عند الحضرة وهو الأظهر في مادة الخصوص من عموم الأمة (احضر وزنك) أي الوزن الذي لك أو وزن عملك أو وقت وزنك أو آلة وزنك وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل (فيقول: يا رب ما هذه البطاقة) أي الواحدة (مع هذه السجلات) أي الكثيرة وما قدرها بجنبها ومقابلتها (فقال فإنك لا تظلم) أي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن. قيل وجه مطابقة هذا جوابًا لقوله: ما هذه البطاقة؟ أن اسم الإشارة للتحقير كأنه أنكر أن يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنةٌ لتلك السجلات، فرد بقوله: إنك لا تظلم بحقيرةٍ، أي لا تحقر هذه فإنها عظيمةٌ عنده سبحانه إذ لا يثقل مع اسم الله شيءٌ ولو ثقل عليه شيءٌ لظلمت (قال فتوضع السجلات في كفةٍ) بكسرٍ فتشديدٍ أي فردةٍ من زوجي الميزان، ففي القاموس الكفة بالكسر من الميزان معروفٌ ويفتح (والبطاقة) أي وتوضع (في كفةٍ) أي في أخرى (فطاشت السجلات) أي خفت (وثقلت البطاقة) أي رجحت والتعبير بالمضي لتحقق وقوعه (ولا يثقل) أي ولا يرجح ولا يغلب (مع اسم الله شيءٌ) والمعنى لا يقاومه شيءٌ من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي. فإن قيل: الأعمال أعراضٌ لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام، أجيب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال ويختلف باختلاف الأحوال أو أن الله يجسم الأفعال والأقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) وأخرجه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي [1]، وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط مسلمٍ كذا في الترغيب.

---

(١) سبق تخريجه عن ابن ماجه، وأخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (١/ ٤٦١)، برقم (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك»، (١/ ٧١٠)، برقم (١٩٣٧)، والبيهقي في «الشعب»، (١/ ٢٦٤)، برقم (٢٨٣)، والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (١٧٧٦).

(٨٩) عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا: كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى: الْبِطَاقَةُ: الرُّقْعَةُ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَ لِلرُّقْعَةِ: بِطَاقَةً [١].

* * *

الشرح [٢]:

قوله: (يصاح) أي ينادى (سجلا) بالكسر والتشديد هو الكتاب الكبير (فيهاب الرجل) أي يوقع في هيبة (فيقول) من كمال الهيبة (لا) أي: ليس حسنة (حسنات) كأن الجمع باعتبار الحسنة بعشر أمثالها (بطاقة) أي: رقعة صغيرة والباء زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر.

(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ) قال السيوطي: قال الحكيم الترمذي: ليست هذه شهادة التوحيد لأن من شأن الميزان أن يوضع في كفته شيء وفي الأخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة فهذا غير مستحيل لأن العبد يأتي بهما جميعًا ويستحيل أن يأتي بالكفر والإيمان جميعًا عبد واحد يوضع الإيمان في كفة والكفر في كفة فكذلك استحال أن توضع شهادة التوحيد في الميزان وأما بعدما آمن العبد فإن النطق منه بلا إله إلا الله حسنة توضع في الميزان سائر الحسنات اهـ.

قلت: شهادة التوحيد والإيمان حسنة أيضًا فإن قال ليس لهما ما يضادهما شخصًا وإن كان ما يضادهما نوعًا وهي السيئة المقابلة للحسنة فيراد أن النطق بلا إله إلا الله بعد الإيمان ليس له ما يضاد شخصه أيضًا ومن لم يترك الصلاة قط ففعل الصلاة منه حسنة لا يقابلها من السيئات ما يضادها شخصًا فليتأمل (فطاشت) أي رفعت والله أعلم.

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث (٤٣٠٠).
(٢) حاشية السندي على ابن ماجه، حديث (٤٣٠٠).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي

(٩٠) عن أبي زُرْعَةَ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ فَرَأَى أَعْلاَهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً». ثُمَّ دَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مُنْتَهَى الْحِلْيَةِ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (دخلت مع أبي هريرة) جاء عن أبي زرعة المذكور حديث آخر بسندٍ آخر أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من طريق علي بن مدرك عن عبد الله بن نجي بنونٍ وجيم مصغر عن أبيه عن علي رفعه «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة» [٣].

قوله: (دارًا بالمدينة) هي لمروان بن الحكم، وقع ذلك في رواية محمد بن فضيلٍ عن عمارة بن القعقاع عند مسلم من هذا الوجه، وعند مسلم أيضًا والإسماعيلي من طريق جرير عن عمارة «دارًا تبنى لسعيدٍ أو لمروان» [٤] بالشك، وسعيد هو ابن العاص بن سعيد الأموي، وكان هو ومروان بن الحكم يتعاقبان إمرة المدينة لمعاوية، والرواية الجازمة أولى.

قوله: (مصورًا يصور) لم أقف على اسمه، وقوله: «يصور» بصيغة المضارعة للجميع، وضبطه الكرماني بوجهين أحدهما هذا والآخر بكسر الموحدة وضم الصاد المهملة وفتح الواو ثم راء منونة، وهو بعيد.

قوله: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) هكذا في البخاري، وقد وقع نحو ذلك في حديث آخر لأبي هريرة تقدم قريبًا في «باب ما يذكر في المسك» وفيه حذف بينه ما وقع في رواية جرير المذكورة قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «ومن أظلم»

---

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور، حديث (٥٩٥٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٣٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: اللباس، باب: في الصور، برقم (٤١٥٧)، والنسائي، (٤٢٨٣)، وابن حبان في صحيحه، (١٣/ ١٦٦، ١٦٧)، برقم (٥٨٥٦)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، برقم (٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلخ، ونحوه في رواية ابن فضيل، وقوله: «ذهب» أي قصد وقوله: «كخلقي» التشبيه في فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه، قال ابن بطال: فهم أبو هريرة أن التصوير يتناول ما له ظل وما ليس له ظل، فلهذا أنكر ما ينقش في الحيطان.

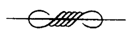
قلت: هو ظاهر من عموم اللفظ، ويحتمل أن يقصر على ما له ظل من جهة قوله: «كخلقي» فإن خلقه الذي اخترعه ليس صورة في حائط بل هو خلق تام، لكن بقية الحديث تقتضي تعميم الزجر عن تصوير كل شيء وهي قوله: «فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة» وهي بفتح المعجمة وتشديد الراء، ويجاب عن ذلك بأن المراد إيجاد حبة على الحقيقة لا تصويرها. ووقع لابن فضيل من الزيادة «وليخلقوا شعرة» والمراد بالحبة حبة القمح بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم، والمراد بالذرة النملة، والغرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك.

قوله: (ثم دعا بتورٍ) أي طلب تورًا، وهو بمثناة إناء كالطست تقدم بيانه في كتاب الطهارة.

قوله: (من ماء) أي فيه ماء.

قوله: (فغسل يديه حتى بلغ إبطه) في هذه الرواية اختصار وبيانه في رواية جرير بلفظ: «فتوضأ أبو هريرة فغسل يده حتى بلغ إبطه وغسل رجليه حتى بلغ ركبتيه» أخرجها الإسماعيلي، وقدم قصة الوضوء على قصة المصور، ولم يذكر مسلم قصة الوضوء هنا.

قوله: (منتهى الحلية) في رواية جرير «إنه منتهى الحلية» كأنه يشير إلى الحديث المتقدم في الطهارة في فصل الغرة والتحجيل في الوضوء، ويؤيده حديثه الآخر «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» وقد تقدم شرحه، والبحث في ذلك مستوفًى هناك. وليس بين ما دل عليه الخبر من الزجر عن التصوير وبين ما ذكر من وضوء أبي هريرة مناسبة، وإنما أخبر أبو زرعة بما شاهد وسمع من ذلك.



مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ

(٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (يتنزل ربنا) كذا للأكثر هنا بوزن يتفعل مشددًا، وللنسفي والكشميهني «ينزل» بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الزاي.

قوله: (حين يبقى ثلث الليل) قال ابن بطال: ترجم بنصف الليل وساق في الحديث أن التنزل يقع ثلث الليل، لكن المصنف عول على ما في الآية وهي قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢-٣] فأخذ الترجمة من دليل القرآن، وذكر النصف فيه يدل على تأكيد المحافظة على وقت التنزل قبل دخوله ليأتي وقت الإجابة والعبد مرتقب له مستعد للقائه. وقال الكرماني: لفظ الخبر: «حين يبقى ثلث الليل» وذلك يقع في النصف الثاني انتهى.

والذي يظهر لي أن البخاري جرى على عادته فأشار إلى الرواية التي وردت بلفظ النصف، فقد أخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: «ينزل الله إلى السماء الدنيا نصف الليل الأخير أو ثلث الليل الآخر» [٣] وأخرجه الدارقطني في كتاب الرؤيا من رواية عبيد الله العمري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة نحوه، ومن طريق حبيب بن أبي ثابت عن الأغر عن أبي هريرة بلفظ: «شطر الليل» [٤] من غير تردد، وسأستوعب ألفاظه في التوحيد إن شاء الله تعالى. وقال أيضًا: النزول محال على الله لأن حقيقته الحركة من جهة العلو إلى السفل، وقد دلت البراهين القاطعة على تنزيهه على ذلك فليتأول ذلك بأن المراد نزول ملك الرحمة ونحوه أو يفوض مع اعتقاد التنزيه، وقد تقدم شرح الحديث في الصلاة في «باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل» من أبواب التهجد، ويأتي ما بقي منه في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل، حديث (٦٣٢١).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٢٩). (٣) أخرجه أحمد، (١٠١٦٦).

(٤) أخرجه الدارقطني في «العلل»، (٩/ ٢٧٦)، برقم (١٧٥٧)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب»، (١٦٤٦).

أُشهدكم أني قد غفرت لهم

(٩٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالُوا: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يقولون: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ - وَاللَّهِ - يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ، وَرَوَاهُ سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (عن أبي هريرة) كذا قال جرير، وتابعه الفضيل بن عياض عند ابن حبان وأبو بكر بن عياش عند الإسماعيلي كلاهما عن الأعمش، وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن أبي معاوية عن الأعمش فقال: «عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد» هكذا بالشك للأكثر، وفي نسخة «وعن أبي سعيد» بواو العطف، والأول هو المعتمد، فقد أخرجه أحمد عن أبي معاوية [(٣)] بالشك وقال: شك الأعمش، وكذا قال ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل عن أبي معاوية، وكذا أخرجه الإسماعيلي من رواية عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد وقال شك سليمان يعني الأعمش، قال الترمذي: حسن صحيح، وقد روي عن أبي

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث (٦٤٠٨).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢١١).

(٣) لم أجده براوية أحمد عن أبي معاوية.

هريرة من غير هذا الوجه يعني كما تقدم بغير تردد.

قوله بعد سياق المتن: (رواه شعبة عن الأعمش) يعني بسنده المذكور.

قوله: (ولم يرفعه) هكذا وصله أحمد قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال بنحوه ولم يرفعه [(١)]، وهكذا أخرجه الإسماعيلي من رواية بشر بن خالد عن محمد بن جعفر موقوفًا.

قوله: (ورواه سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ) وصله مسلم وأحمد من طريقه [(٢)]، وسأذكر ما في روايته من فائدة.

قوله: (إن لله ملائكة) زاد الإسماعيلي من طريق عثمان بن أبي شيبة وابن حبان من طريق إسحاق بن راهويه كلاهما عن جرير «فضلًا» [(٣)] وكذا لابن حبان من طريق فضيل بن عياض [(٤)]، وكذا لمسلم من رواية سهيل [(٥)]، قال عياض في «المشارق» ما نصه: في روايتنا عن أكثرهم بسكون الضاد المعجمة وهو الصواب، ورواه العذري والهوزني «فضل» بالضم وبعضهم بضم الضاد، ومعناه زيادة على كتاب الناس هكذا جاء مفسرًا في البخاري، قال: وكان هذا الحرف في كتاب ابن عيسى «فضلاء» بضم أوله وفتح الضاد والمد وهو وهم هنا وإن كانت هذه صفتهم عليهم السلام، وقال في «الإكمال» الرواية فيه عند جمهور شيوخنا في مسلم والبخاري بفتح الفاء وسكون الضاد فذكر نحو ما تقدم وزاد: هكذا جاء مفسرًا في البخاري في رواية أبي معاوية الضرير، وقال ابن الأثير في «النهاية» (فضلًا) أي زيادة عن الملائكة المرتبين مع الخلائق، ويروى بسكون الضاد وبضمها قال بعضهم والسكون أكثر وأصوب.

وقال النووي: ضبطوا (فضلًا) على أوجه أرجحها بضم الفاء والضاد والثاني بضم الفاء وسكون الضاد ورجحه بعضهم وادعى أنها أكثر وأصوب، والثالث بفتح الفاء وسكون الضاد، قال القاضي عياض: هكذا الرواية عند جمهور شيوخنا في البخاري ومسلم، والرابع بضم الفاء والضاد كالأول لكن برفع اللام يعني على أنه خبر إن، والخامس فضلاء بالمد جمع فاضل قال العلماء

(١) أخرجه أحمد، (١٠٩٠٢)، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (١٩١٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، برقم (٧٥٨)، وأحمد، (٧٧٣٣).

(٣) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (٣/ ١٣٩)، برقم (٨٥٧)، وقد صححه الألباني كما في «الصحيحة»، (٣٥٤٠).

(٤) أخرجه ابن حبان في (صحيحه)، (٣/ ١٣٧، ١٣٨)، برقم (٨٥٦)، وقد صححه الألباني كما في «الصحيحة» (٣٥٤٠).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل مجالس الذكر، برقم (٢٦٨٩).

ومعناه على جميع الروايات أنهم زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق لا وظيفة لهم إلا حلق الذكر، وقال الطيبي: فضلاً بضم الفاء وسكون الضاد جمع فاضل كنزل ونازل انتهى، ونسبة عياض هذه اللفظة للبخاري وهم فإنها ليست في صحيح البخاري هنا في جميع الروايات إلا أن تكون خارج الصحيح، ولم يخرج البخاري الحديث المذكور عن أبي معاوية أصلاً وإنما أخرجه من طريقه الترمذي، وزاد ابن أبي الدنيا والطبراني رواية جرير فضلاً عن كتاب الناس، ومثله لابن حبان من رواية فضيل بن عياض وزاد «سياحين في الأرض» وكذا هو في رواية أبي معاوية عند الترمذي والإسماعيلي عن كتاب الأيدي، ولمسلم من رواية سهيل عن أبيه «سيارة فضلاً».

قوله: (يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر) في رواية سهيل «يتبعون مجالس الذكر». وفي حديث جابر بن أبي يعلى «إن لله سرايا من الملائكة تقف وتحل بمجالس الذكر في الأرض».

قوله: (فإذا وجدوا قومًا) في رواية فضيل بن عياض «فإذا رأوا قومًا» وفي رواية سهيل «فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر».

قوله: (تنادوا) في رواية الإسماعيلي «يتنادون».

قوله: (هلموا إلى حاجتكم) في رواية أبي معاوية «بغيتكم» وقوله: «هلموا» على لغة أهل نجد، وأما أهل الحجاز فيقولون للواحد والاثنين والجمع هلم بلفظ الإفراد، وقد تقدم تقرير ذلك في التفسير. واختلف في أصل هذه الكلمة فقيل هل لك في الأكل أم، أي اقصد، وقيل أصله لم بضم اللام وتشديد الميم وها للتنبيه حذفت ألفها تخفيفًا.

قوله: (فيحفونهم بأجنحتهم) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين، والباء للتعدية وقيل للاستعانة.

قوله: (إلى السماء الدنيا) في رواية الكشميهني «إلى سماء الدنيا» وفي رواية سهيل «قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين سماء الدنيا».

قوله: (قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم) في رواية الكشميهني «بهم» كذا للإسماعيلي، وهي جملة معترضة وردت لرفع التوهم، زاد في رواية سهيل «من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض» وفي رواية الترمذي «فيقول الله: أي شيء تركتم عبادي يصنعون» [1].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض، برقم، برقم (٣٦٠٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

قوله: (ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك) كذا لأبي ذر بالإفراد فيهما، ولغيره **«قالوا: يقولون»** ولابن أبي الدنيا **«قال: يقولون»** وزاد سهيل في روايته **«فإذا تفرقوا»** أي أهل المجلس **«عرجوا»** أي الملائكة **«وصعدوا إلى السماء»**.

قوله: (يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك) زاد إسحاق وعثمان عن جرير **«ويمجدونك»** وكذا لابن أبي الدنيا، وفي رواية أبي معاوية **«فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك»** وفي رواية الإسماعيلي **«قالوا: ربنا مررنا بهم وهم يذكرونك... إلخ»** وفي رواية سهيل **«جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك»**، وفي حديث أنس عند البزار **«ويعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم»** [(١)] ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة، وفي دخول قراءة الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر، والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة حسب، وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى.

قوله: (قال فيقول هل رأوني؟ قال فيقولون لا والله ما رأوك) كذا ثبت لفظ الجلالة في جميع نسخ البخاري وكذا في بقية المواضع، وسقط لغيره.

قوله: (كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا) زاد أبو ذر في روايته **«وتحميدًا»** وكذا لابن أبي الدنيا، وزاد في رواية الإسماعيلي **«وأشد لك ذكرًا»** وفي رواية ابن أبي الدنيا **«وأكثر لك تسبيحًا»**.

قوله: (قال يقول) في رواية أبي ذر **«فيقول»**.

قوله: (فما يسألوني) في رواية أبي معاوية **«فأي شيء يطلبون»**.

قوله: (يسألونك الجنة) في رواية سهيل **«يسألونك جنتك»**.

قوله: (كانوا أشد عليها حرصًا) زاد أبو معاوية في روايته **«عليها»** وفي رواية ابن أبي الدنيا **«كانوا أشد حرصًا وأشد طلبة وأعظم لها رغبة»**.

قوله: (قال فمم يتعوذون؟ قال يقولون من النار) في رواية أبي معاوية **«فمن أي شيء يتعوذون؟**

---

(١) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٧٧)، للبزار من طريق زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري. قال: وكلاهما وثق على ضعفه، فعاد هذا إسناده حسن.

فيقولون من النار» وفي رواية سهيل «قالوا: ويستجيرونك. وقال: ومم يستجيرونني؟ قالوا من نارك».

قوله: (كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة) في رواية أبي معاوية «كانوا أشد منها هربا وأشد منها تعوذًا وخوفًا»، وزاد سهيل في روايته «قالوا: ويستغفرونك» قال: فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا» وفي حديث أنس «فيقول غشوهم رحمتي».

قوله: (يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة) في رواية أبي معاوية «فيقولون: إن فيهم فلانًا الخطاء لم يردهم إنما جاء لحاجةٍ» وفي رواية سهيل «قال: يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم» وزاد في روايته «قال: وله قد غفرت».

قوله: (هم الجلساء) في رواية أبي معاوية وكذا في رواية سهيل «هم القوم» وفي اللام إشعار بالكمال أي هم القوم كل القوم.

قوله: (لا يشقى جليسهم) كذا لأبي ذر، ولغيره «لا يشقى بهم جليسهم» وللترمذي «لا يشقى لهم جليس» وهذه الجملة مستأنفة لبيان المقتضي لكونهم أهل الكمال، وقد أخرج جعفر في الذكر من طريق أبي الأشهب عن الحسن البصري قال: «بينما قوم يذكرون الله إذ أتاهم رجل فقعد إليهم، قال: فنزلت الرحمة ثم ارتفعت، فقالوا: ربنا فيهم عبدك فلان، قال: غشوهم رحمتي، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وفي هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل، لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود.

(تنبيه): اختصر أبو زيد المروزي في روايته عن الفربري متن هذا الحديث فساق منه إلى قوله: «هلموا إلى حاجتكم» ثم قال: فذكر الحديث. وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكرامًا لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر. وفيه محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه من المسئول لإظهار العناية بالمسئول عنه والتنوية بقدره والإعلان بشرف منزلته. وقيل إن في خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠] فكأنه قيل لهم: انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان، وكيف عالجوا ذلك وضاهوكم في التسبيح والتقديس، وقيل إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل ووجود الصوارف وصدوره في عالم الغيب، بخلاف

الملائكة في ذلك كله. وفيه بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله تعالى جهرًا في دار الدنيا، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة رفعه «واعلموا أنكم لم تروا ربكم حتى تموتوا» [١]. وفيه جواز القسم في الأمر المحقق تأكيدًا له وتنويهًا به. وفيه أن الذي اشتملت عليه الجنة من أنواع الخيرات والنار من أنواع المكروهات فوق ما وصفتا به، وأن الرغبة والطلب من الله والمبالغة في ذلك من أسباب الحصول.

* * *

(٩٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، فُضُلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَيَقُولُونَ إِنَّ فِيهِمْ فُلاَنًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ [٢].

الشرح [٣]:

قال الحافظ في الفتح: كذا قال جرير وتابعه الفضيل بن عياض عند ابن حبان وأبو بكر بن عياش عند الإسماعيلي كلاهما عن الأعمش وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن أبي معاوية عن الأعمش فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد [٤] هكذا بالشك للأكثر، وفي نسخة

(١) لم أقف عليه عند مسلم.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض، حديث (٣٦٠٠).

(٣) تحفة الأحوذي (١٠/٤٢). (٤) سبق تخريجه.

وعن أبي سعيدٍ بواو العطف والأول هو المعتمد فقد أخرجه أحمد عن أبي معاوية [١] بالشك وقال شك الأعمش، وكذا قال ابن أبي الدنيا عن إسحاق أبو إسماعيل عن أبي معاوية وكذا أخرجه الإسماعيلي من رواية عبد الواحد بن زيادٍ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيدٍ وقال شك سليمان يعني الأعمش قال الترمذي حسنٌ صحيحٌ، وقد روي عن أبي هريرة من غير هذا الوجه يعني كما تقدم بغير ترددٍ انتهى.

قوله: «**سياحين في الأرض**» بفتح السين المهملة وشدة التحتية من ساح في الأرض إذا ذهب فيها وسار، وفي رواية مسلم سيارةً، وفي رواية البخاري: إن لله ملائكةً يطوفون في الطرق «**فضلًا**» صفةٌ بعد صفةٍ للملائكة.

قال النووي: ضبطوا فضلًا على أوجهٍ أحدها وأرجحها فضلًا بضم الفاء والضاد والثانية بضم الفاء وإسكان الضاد ورجحها بعضهم وادعى أنها أكثر وأصوب والثالثة بفتح الفاء وإسكان الضاد والرابعة فضلٌ بضم الفاء والضاد ورفع اللام على أنه خبر مبتدأٍ محذوفٍ والخامسة فضلاء بالمد جمع فاضلٍ.

قال العلماء معناه على جميع الروايات: أنهم ملائكةٌ زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم وإنما مقصودهم حلق الذكر «**عن كتاب الناس**» بضم الكاف وشدة الفوقية جمع كاتبٍ والمراد بهم الكرام الكاتبون وغيرهم المرتبون مع الناس، وزاد مسلمٌ في روايته يبتغون مجالس الذكر «**تنادوا**» أي نادى بعض الملائكة بعضًا قائلين «**هلموا**» أي تعالوا مسرعين «**إلى بغيتكم**» بكسر الموحدة وسكون الغين المعجمة أي إلى مطلوبكم وفي رواية البخاري إلى حاجتكم أي من استماع الذكر وزيادة الذاكر وإطاعة المذكور. واستعمل هلم هنا على لغة بني تميم أنها تثنى وتجمع وتؤنث ولغة الحجازيين بناء لفظها على الفتح وبقاؤه بحاله مع المثنى والجمع والمؤنث ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠] «**فيحفون بهم**» أي يحدقون بهم ويستديرون حولهم يقال حف القوم الرجل وبه وحوله أحدقوا واستداروا به «**إلى السماء الدنيا**» أي يقف بعضهم فوق بعضهم إلى السماء الدنيا، وفي رواية مسلمٍ: فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا معهم وخف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا «**أي شيءٍ**» بالنصب مفعولٌ مقدمٌ لقوله يصنعون «**فيقولون**» أي الملائكة «**تركناهم**» أي عبادك «**يحمدونك**» بالتخفيف «**ويمجدونك**» بالتشديد أي يذكرونك بالعظمة أو ينسبونك إلى المجد وهو الكرم «**ويذكرونك**» وفي رواية مسلمٍ فإذا تفرقوا أي أهل المجلس عرجوا أي الملائكة وصعدوا إلى

---

(١) أخرجه أحمد، (٧٣٧٦)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (٢١٧٣).

السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك [١]. وفي حديث أنسٍ عند البزار «ويعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم» [٢].

قال الحافظ: ويؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمجالس الذكر وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيحٍ وتكبيرٍ وغيرهما. وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة وفي دخول قراءة الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظرٌ. والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة فحسب. وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى انتهى.

قلت: وقال العيني في العمدة: قوله يلتمسون أهل الذكر يتناول الصلاة وقراءة القرآن وتلاوة الحديث وتدريس العلوم ومناظرة العلماء ونحوها انتهى.

فاختلف الحافظ والعيني في أن المراد بمجالس الذكر وأهل الذكر الخصوص أو العموم فاختار الحافظ الخصوص نظرًا إلى ظاهر ألفاظ الطرق المذكورة، واختار العيني للعموم نظرًا إلى أن ما في هذه الطرق من ألفاظ الذكر تمثيلاتٌ والظاهر هو الخصوص كما قال الحافظ والله تعالى أعلم (قال) أي النبي ﷺ «فيقول» أي الله «فكيف لو رأوني» أي لو رأوني ما يكون حالهم في الذكر «وأشد لك تمجيدًا» أي تعظيمًا «وأشد لك ذكرًا» فيه إيماءٌ إلى أن تحمل مشقة الخدمة على قدر المعرفة والمحبة «وأي شيءٍ يطلبون» مني «فهل رأوها» أي الجنة «لكانوا أشد لها طلبًا وأشد عليها حرصًا» لأن الخبر ليس كالمعاينة «أشهدكم» من الإشهاد أي أجعلكم شاهدين «إن فيهم فلانًا» كنايةً عن اسمه ونسبه «الخطاء» بالنصب على أنه صفةٌ لفلانًا أي كثير الخطايا «لم يردهم إنما جاءهم لحاجةٍ» أي لم يرد معيتهم في ذكرٍ بل جاءهم لحاجةٍ دنيويةٍ له يريد الملائكة بهذا أنه لا يستحق المغفرة، وفي رواية مسلمٍ: يقولون رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطاءٌ إنما مر فجلس معهم «هم القوم» [٣] قال الطيبي: تعريف الخبر يدل على الكمال أي هم القوم الكاملون فيما هم فيه من السعادة «لا يشقى» أي لا يصير شقيا «لهم» وفي بعض النسخ بهم أي بسببهم وببركتهم «جليسٌ» أي مجالسهم وهذه الجملة مستأنفةٌ لبيان المقتضي لكونهم أهل الكمال، وفي رواية مسلمٍ: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، باب: فضل مجالس الذكر، برقم (٢٦٨٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

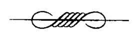
(٣) سبق تخريجه.

وفي الحديث: فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل تعالى به عليهم إكرامًا لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر.

وفيه: محبة الملائكة لبني آدم واعتناؤهم بهم، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه من المسئول لإظهار العناية بالمسئول عنه والتنويه بقدره والإعلان بشرف منزلته.

وقيل: إن في خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فكأنه قيل انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان وكيف عالجوا ذلك وضاهوكم في التقديس والتسبيح كذا في الفتح.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ) أخرجه أحمد والشيخان [(١)].



(١) أخرجه أحمد، (٧٣٧٦)، والبخاري، كتاب الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل، برقم (٦٤٠٨)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل مجالس الذكر، برقم (٢٦٨٩).

مَا لِعَبْدِي المؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ

(٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ» [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (إن رسول الله ﷺ **قال: يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء**) أي ثواب ولم أر لفظ جزاء في رواية الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان، ولأبي نعيم من طريق السراج كلاهما عن قتيبة.

قوله: (إذا قبضت صفيه) بفتح الصاد المهملة وكسر الفاء وتشديد التحتانية وهو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان، والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت.

قوله: (ثم احتسبه إلا الجنة) قال الجوهري احتسب ولده إذا مات كبيرًا. فإن مات صغيرًا قيل أفرطه، وليس هذا التفصيل مرادًا هنا بل المراد باحتسبه صبر على فقده راجيًا الأجر من الله على ذلك، وأصل الحسبة بالكسر الأجرة، والاحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصًا.

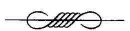
واستدل به ابن بطال على أن من مات له ولد واحد يلتحق بمن مات له ثلاثة وكذا اثنان، وأن قول الصحابي كما مضى في **«باب فضل من مات له ولد»** من كتاب الجنائز **«ولم نسأله عن الواحد»** لا يمنع من حصول الفضل لمن مات له واحد، فلعله ﷺ سئل بعد ذلك عن الواحد فأخبر بذلك، أو أنه أعلم بأن حكم الواحد حكم ما زاد عليه فأخبر به.

قلت: وقد تقدم في الجنائز تسمية من سأل عن ذلك، والرواية التي فيها **«ثم لم نسأله عن الواحد»** ولم يقع لي إذ ذاك وقوع السائل عن الواحد. وقد وجدت من حديث جابر ما أخرجه أحمد من طريق محمود بن أسد عن جابر وفيه **«قلنا يا رسول الله واثنان؟ قال: واثنان. قال محمود فقلت لجابر أراكم لو قلتم واحدًا لقال واحد، قال وأنا والله أظن ذاك»** [(٣)] ورجاله موثقون. وعند

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، حديث (٦٤٢٤).
(٢) فتح الباري (١١/ ٢٤٢).
(٣) أخرجه أحمد، (١٣٨٧٣)، وإسناده حسن.

أحمد والطبراني من حديث معاذ رفعه «أوجب ذو الثلاثة. فقال له معاذ: وذو الاثنين؟ قال: وذو الاثنين»[(١)] زاد في رواية الطبراني قال: «أو واحد» وفي سنده ضعف. وله في الكبير والأوسط من حديث جابر بن سمرة رفعه «من دفن له ثلاثة فصبر» الحديث وفيه «فقالت أم أيمن: وواحد؟ فسكت ثم قال: يا أم أيمن من دفن واحدًا فصبر عليه واحتسبه وجبت له الجنة»[(٢)] وفي سندهما ناصح بن عبد الله وهو ضعيف جدا. ووجه الدلالة من حديث الباب أن الصفي أعم من أن يكون ولدًا أم غيره وقد أفرد ورتب الثواب بالجنة لمن مات له فاحتسبه، ويدخل هذا ما أخرجه أحمد والنسائي من حديث قرة بن إياس أن رجلًا كان يأتي النبيﷺ ومعه ابن له، فقال: «أتحبه؟» قال: نعم. ففقده فقال: «ما فعل فلان؟» قالوا: يا رسول الله مات ابنه، فقال: «ألا تحب أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة، إلا وجدته ينتظرك». فقال رجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟ قال: «بل لكلكم»[(٣)] وسنده على شرط الصحيح وقد صححه ابن حبان والحاكم.



(١) أخرجه أحمد، (٢١٥٠٣)، وعزاه الهيثمي في «المجمع»، (٣/٨)، للطبراني في الكبير، وقال: وفيه أبو رملة ولم أجد من وثقه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، (٢/٢٤٥)، برقم (٢٠٣٠)، وفي «الأوسط»، (٣/٦٣)، برقم (٢٤٨٩).

(٣) أخرجه أحمد، (١٥١٦٨)، والنسائي، كتاب: الجنائز، باب: الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة، برقم (١٨٧٠)، وابن حبان في صحيحه، (٧/٢٠٩)، برقم (٢٩٤٧)، والحاكم في «المستدرك»، (١/٥٤١)، برقم (١٤١٧)، والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (٧٩٦٣).

أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!

(٩٥) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!» [(١)].

(٩٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً؟!» [(٢)].

الشرح [(٣)]:

قوله: (نزل نبي من الأنبياء) قيل هو العزير، وروى الحكيم الترمذي في «النوادر» أنه موسى عليه السلام [(٤)]، وبذلك جزم الكلاباذي في «معاني الأخبار» والقرطبي في التفسير.

قوله: (فلدغته) بالدال المهملة والغين المعجمة أي قرصته، وليس هو بالذال المعجمة والعين المهملة فإن ذاك معناه الإحراق.

قوله: (فأمر بجهازه) بفتح الجيم ويجوز كسرها بعدها زاي أي متاعه.

قوله: (ثم أمر ببيتها فأحرق) أي بيت النمل، وفي رواية الزهري الماضية في الجهاد فأمر بقرية النمل فأحرقت، وقرية النمل موضع اجتماعهن، والعرب تفرق في الأوطان فيقولون لمسكن الإنسان وطن، ولمسكن الإبل عطن، وللأسد عرين وغابة، وللظبي كناس، وللضب وجار، وللطائر عش، وللزنبور كور، ولليربوع نافق، وللنمل قرية.

قوله: (فهلا نملة واحدة) يجوز فيه النصب على تقدير عامل محذوف تقديره فهلا أحرقت نملة واحدة وهي التي آذتك بخلاف غيرها فلم يصدر منها جناية. واستدل بهذا الحديث على جواز إحراق الحيوان المؤذي بالنار من جهة أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه ولا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب إذا حرق المشرك المسلم، حديث (٣٠١٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق، حديث (٣٣١٩).

(٣) فتح الباري (٦/ ٣٥٨).

(٤) لم أقف عليه في «النوادر»، وانظر «البيان و التعريف» (٢/ ١٣٠).

سيما إن ورد على لسان الشارع ما يشعر باستحسان ذلك، لكن ورد في شرعنا النهي عن التعذيب بالنار.

قال النووي: هذا الحديث محمول على أنه كان جائزًا في شرع ذلك النبي جواز قتل النمل وجواز التعذيب بالنار، فإنه لم يقع عليه العتب في أصل القتل ولا في الإحراق بل في الزيادة على النملة الواحدة، وأما في شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا في القصاص بشرطه، وكذا لا يجوز عندنا قتل النمل لحديث ابن عباس في السنن «أن النبيﷺ نهى عن قتل النملة والنحلة»[1] انتهى، وقد قيد غيره كالخطابي النهي عن قتله من النمل بالسليماني، وقال البغوي: النمل الصغير الذي يقال له الذر يجوز قتله، ونقله صاحب «الاستقصاء» عن الصيمري وبه جزم الخطابي.

وفي قوله: «أن القتل والإحراق كان جائزًا في شرع ذلك النبي» نظر، لأنه لو كان كذلك لم يعاتب أصلاً ورأسًا إذا ثبت أن الأذى طبعه.

وقال عياض: في هذا الحديث دلالة على جواز قتل كل مؤذٍ. ويقال إن لهذه القصة سببًا، وهو أن النبي مر على قرية أهلكها الله تعالى بذنوب أهلها فوقف متعجبًا فقال: يا رب قد كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنبًا، ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة، فنبهه الله جل وعلا على أن الجنس المؤذي يقتل وإن لم يؤذ، وتقتل أولاده وإن لم تبلغ الأذى انتهى.

وهذا هو الظاهر وإن ثبتت هذه القصة تعين المصير إليه. والحاصل أنه لم يعاتب إنكارًا لما فعل بل جوابًا له وإيضاحًا لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل تلك القرية، فضرب له المثل بذلك أي إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتعين إهلاك الجميع طريقًا إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع، ولهذا نظائر كتترس الكفار بالمسلمين وغير ذلك والله سبحانه أعلم. وقال الكرماني النمل غير مكلف فكيف أشير في الحديث إلى أنه لو أحرق نملة واحدة جاز مع أن القصاص إنما يكون بالمثل لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] ثم أجاب بتجويز أن التحريق كان جائزًا عنده، ثم قال يرد على قولنا كان جائزًا لو كان كذلك لما ذم عليه. وأجاب بأنه قد يذم الرفيع القدر على خلاف الأولى انتهى.

والتعبير بالذم في هذا لا يليق بمقام النبي، فينبغي أن يعبر بالعتاب. وقال القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذا النبي إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع آذاه منه واحد، وكان الأولى به الصبر والصفح، وكأنه وقع له أن هذا النوع مؤذٍ لبني آدم وحرمة بني آدم أعظم من حرمة الحيوان،

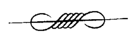
---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في قتل الذر، برقم (٥٢٦٧)، وابن ماجه، (٣٢٢٤)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

فلو انفرد هذا النظر ولم يأت إليه التشفي لم يعاتب. قال: والذي يؤيد هذا التمسك بأصل عصمة الأنبياء وأنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم وأشدهم له خشية انتهى.

(تكملة): النملة واحدة النمل وجمع الجمع نمال. والنمل أعظم الحيوانات حيلة في طلب الرزق. ومن عجيب أمره أنه إذا وجد شيئًا ولو قل أنذر الباقين، ويحتكر في زمن الصيف للشتاء، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض وإذا حفر مكانه اتخذها تعاريج لئلا يجري إليها ماء المطر، وليس في الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره، والذي في النمل كالزنبور في النحل.

قوله: (أمة من الأمم مسبحة) استدل به على أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة، ويتأيد به قول من حمل قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] على الحقيقة. وتعقب بأن ذلك لا يمنع الحمل على المجاز بأن يكون سببًا للتسبيح.



إِنَّ اللَّـهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ

(٩٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» (١).

الشرح (٢):

قوله: (فيما يروي عن ربه) هذا من الأحاديث الإلهية، ثم هو محتملٌ أن يكون مما تلقاه ﷺ عن ربه بلا واسطةٍ ويحتمل أن يكون مما تلقاه بواسطة الملك وهو الراجح.

وقال الكرماني: يحتمل أن يكون من الأحاديث القدسية ويحتمل أن يكون للبيان لما فيه من الإسناد الصريح إلى الله حيث قال: «إن الله كتب»، ويحتمل أن يكون لبيان الواقع وليس فيه أن غيره ليس كذلك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، بل فيه أن غيره كذلك إذ قال: «فيما يرويه» أي في جملة ما يرويه، انتهى ملخصًا.

والثاني لا ينافي الأول وهو المعتمد، فقد أخرجه مسلمٌ من طريق جعفر بن سليمان عن الجعد ولم يسق لفظه، وأخرجه أبو عوانة من طريق عفان، وأبو نعيم من طريق قتيبة كلاهما عن جعفر بلفظ: «فيما يروي عن ربه قال: إن ربكم رحيمٌ من هم بحسنةٍ» وسيأتي في التوحيد من طريق الأعرج عن أبي هريرة بلفظ: عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل إذا أراد عبدي أن يعمل» (٣) وأخرجه مسلمٌ بنحوه من هذا الوجه ومن طرق أخرى منها عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل إذا هم عبدي» (٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، حديث (٦٤٩١).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٢٣).

(٣) بنحوه أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، برقم (١٣١). رواية البخاري: أخرجها كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، برقم (٧٥٠١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، برقم (١٢٨).

قوله: (إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات) يحتمل أن يكون هذا من قول الله تعالى فيكون التقدير: قال الله إن الله كتب، ويحتمل أن يكون من كلام النبي ﷺ يحكيه عن فعل الله تعالى وفاعل «ثم بين ذلك» هو الله تعالى، وقوله: «فمن هم» شرح ذلك.

قوله: (ثم بين ذلك) أي فصله بقوله: «فمن هم» والمجمل قوله: «كتب الحسنات والسيئات» وقوله: كتب قال الطوفي أي أمر الحفظة أن تكتب، أو المراد قدر ذلك في علمه على وفق الواقع منها. وقال غيره المراد قدر ذلك وعرف الكتبة من الملائكة ذلك التقدير، فلا يحتاج إلى الاستفسار في كل وقتٍ عن كيفية الكتابة لكونه أمرًا مفروغًا منه انتهى.

وقد يعكر على ذلك ما أخرجه مسلمٌ من طريق همام عن أبي هريرة رفعه قال: «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئةً، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها»[١] فهذا ظاهره وقوع المراجعة لكن ذلك مخصوصٌ بإرادة عمل السيئة، ويحتمل أن يكون ذلك وقع في ابتداء الأمر فلما حصل الجواب استقر ذلك فلا يحتاج إلى المراجعة بعده. وقد وجدت عن الشافعي ما يوافق ظاهر الخبر، وأن المؤاخذة إنما تقع لمن هم على الشيء فشرع فيه. لا من هم به ولم يتصل به العمل، فقال في صلاة الخوف لما ذكر العمل الذي يبطلها ما حاصله: إن من أحرم بالصلاة وقصد القتال فشرع فيه بطلت صلاته، ومن تحرم وقصد إلى العدو لو دهمه دفعه بالقتال لم تبطل.

قوله: (فمن هم) كذا في رواية ابن سيرين عن أبي هريرة عند مسلم، وفي رواية الأعرج في التوحيد: «إذا أراد» وأخرجه مسلمٌ من هذا الوجه بلفظ: «إذا هم» كذا عنده من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة فهما بمعنًى واحدٍ.

ووقع لمسلم أيضًا من رواية همام عن أبي هريرة بلفظ: «إذا تحدث» وهو محمولٌ على حديث النفس لتوافق الروايات الأخرى، ويحتمل أن يكون على ظاهره ولكن ليس قيدًا في كتابة الحسنة بل بمجرد الإرادة تكتب الحسنة، نعم ورد ما يدل على أن مطلق الهم والإرادة لا يكفي، فعند أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث خريم بن فاتكٍ رفعه «ومن هم بحسنةٍ يعلم الله أنه قد أشعر بها قلبه وحرص عليها»[٢] وقد تمسك به ابن حبان فقال بعد إيراد حديث الباب في صحيحه: المراد بالهم هنا العزم. ثم قال: ويحتمل أن الله يكتب الحسنة بمجرد الهم بها وإن لم يعزم عليها زيادةً في الفضل.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، برقم (١٢٩).
(٢) أخرجه أحمد، (١٨٥٥٦)، وقد صححه الألباني كما في «الصحيحة» (٢٦٠٤).

قوله: (فلم يعملها) يتناول نفي عمل الجوارح، وأما عمل القلب فيحتمل نفيه أيضًا إن كانت الحسنة تكتب بمجرد الهم كما في معظم الأحاديث، لا إن قيدت بالتصميم كما في حديث خريم، ويؤيد الأول حديث أبي ذر عند مسلم أن الكف عن الشر صدقةٌ.

قوله: (كتبها الله له) أي للذي هم بالحسنة (عنده) أي عند الله (حسنةً كاملةً) كذا ثبت في حديث ابن عباس دون حديث أبي هريرة وغيره وصف الحسنة بكونها كاملةً، وكذا قوله: «عنده» وفيهما نوعان من التأكيد: فأما العندية فإشارةٌ إلى الشرف، وأما الكمال فإشارةٌ إلى رفع توهم نقصها لكونها نشأت عن الهم المجرد. فكأنه قيل بل هي كاملةٌ لا نقص فيها.

قال النووي: أشار بقوله: «عنده» إلى مزيد الاعتناء به، وبقوله: «كاملةً» إلى تعظيم الحسنة وتأكيد أمرها، وعكس ذلك في السيئة فلم يصفها بكاملةٍ بل أكدها بقوله: «واحدة» إشارة إلى تخفيفها مبالغةً في الفضل والإحسان.

ومعنى قوله: «كتبها الله» أمر الحفظة بكتابتها بدليل حديث أبي هريرة الآتي في التوحيد بلفظ: «إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها» وفيه دليلٌ على أن الملك يطلع على ما في قلب الآدمي إما بإطلاع الله إياه أو بأن يخلق له علمًا يدرك به ذلك، ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني قال: «ينادي الملك اكتب لفلانٍ كذا وكذا، فيقول يا رب إنه لم يعمله، فيقول: إنه نواه» [1] وقيل: بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحةً خبيثةً وبالحسنة رائحة طيبة، وأخرج ذلك الطبري عن أبي معشرٍ المدني [2]، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة ورأيت في شرح مغلطاي أنه ورد مرفوعًا.

قال الطوفي: إنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة لأن إرادة الخير سببٌ إلى العمل وإرادة الخير خير لأن إرادة الخير من عمل القلب، واستشكل بأنه إذا كان كذلك فكيف لا تضاعف لعموم قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وأجيب بحمل الآية على عمل الجوارح والحديث على الهم المجرد واستشكل أيضًا بأن عمل القلب إذا اعتبر في حصول الحسنة فكيف لم يعتبر في حصول السيئة؟ وأجيب بأن ترك عمل السيئة التي وقع الهم بها يكفرها لأنه قد نسخ قصده السيئة وخالف هواه، ثم إن ظاهر الحديث حصول الحسنة بمجرد الترك سواء كان ذلك لمانعٍ أم لا، ويتجه أن يقال: يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع فإن كان خارجيا مع بقاء قصد الذي هم بفعل الحسنة فهي عظيمة القدر، ولا سيما إن قارنها ندمٌ على تفويتها واستمرت النية على فعلها عند القدرة، وإن كان الترك من الذي هم من قبل نفسه فهي دون ذلك إلا إن قارنها قصد الإعراض عنها

(١) عزاه المباركفوري في «تحفة الأحوذي» لابن أبي الدنيا.
(٢) لم أقف عليه عند الطبري بهذا السياق.

جملةً والرغبة عن فعلها، ولا سيما إن وقع العمل في عكسها كأن يريد أن يتصدق بدرهم مثلاً فصرفه بعينه في معصيةٍ، فالذي يظهر في الأخير أن لا تكتب له حسنة أصلاً، وأما ما قبله فعلى الاحتمال.

واستدل بقوله: حسنةً كاملةً على أنها تكتب حسنةً مضاعفةً لأن ذلك هو الكمال لكنه مشكلٌ يلزم منه مساواة من نوى الخير بمن فعله في أن كلا منهما يكتب له حسنةً. وأجيب بأن التضعيف في الآية يقتضي اختصاصه بالعامل لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام:١٦٠] والمجيء بها هو العمل وأما الناوي فإنما ورد أنه يكتب له حسنةٌ ومعناه يكتب له مثل ثواب الحسنة، والتضعيف قدرٌ زائدٌ على أصل الحسنة، والعلم عند الله تعالى.

قوله: (فإن هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسناتٍ) يؤخذ منه رفع توهم أن حسنة الإرادة تضاف إلى عشرة التضعيف فتكون الجملة إحدى عشرة على ما هو ظاهر رواية جعفر بن سليمان عند مسلم ولفظه: «**فإن عملها كتبت له عشر أمثالها**» وكذا في حديث أبي هريرة وفي بعض طرقه احتمال، ورواية عبد الوارث في الباب ظاهرة فيما قلته وهو المعتمد.

قال ابن عبد السلام في أماليه: معنى الحديث إذا هم بحسنةٍ فإن كتبت له حسنة عملها كملت له عشرةً لأنا نأخذ بقيد كونها قد هم بها، وكذا السيئة إذا عملها لا تكتب واحدةً للهم وأخرى للعمل بل تكتب واحدةً فقط. قلت: الثاني صريحٌ في حديث هذا الباب، وهو مقتضى كونها في جميع الطرق لا تكتب بمجرد الهم، وأما حسنة الهم بالحسنة فالاحتمال قائمٌ، وقوله بقيد كونها قد هم بها يعكر عليه من عمل حسنةً بغتةً من غير أن يسبق له أنه هم بها فإن قضية كلامه أنه يكتب له تسعةٌ وهو خلاف ظاهر الآية ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] فإنه يتناول من هم بها ومن لم يهم، والتحقيق أن حسنة من هم بها تندرج في العمل في عشرةٍ لعملٍ لكن تكون حسنة من هم بها أعظم قدرًا ممن لم يهم بها، والعلم عند الله تعالى.

قوله: (إلى سبعمائة ضعفٍ) الضعف في اللغة المثل، والتحقيق أنه اسمٌ يقع على العدد بشرط أن يكون معه عددٌ آخر، فإذا قيل ضعف العشرة فهم أن المراد عشرون، ومن ذلك لو أقر بأن له عندي ضعف درهم لزمه درهمان أو ضعفي درهم لزمه ثلاثةٌ.

قوله: (إلى أضعاف كثيرة) لم يقع في شيء من طرق حديث أبي هريرة «**إلى أضعاف كثيرة**» إلا في حديثه الماضي في الصيام فإن في بعض طرقه عند مسلم «**إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله**»[1] وله من حديث أبي ذر رفعه «**يقول الله: من عمل حسنة فله عشر أمثالها**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، برقم (١١٥١).

وأزيد» [(١)] وهو بفتح الهمزة وكسر الزاي، وهذا يدل على أن تضعيف حسنة العمل إلى عشرةٍ مجزومٌ به وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة وشرف العمل ونحو ذلك، وقد قيل: إن العمل الذي يضاعف إلى سبعمائةٍ خاص بالنفقة في سبيل الله، وتمسك قائله بما في حديث خريم بن فاتك المشار إليه قريبًا رفعه **«من هم بحسنةٍ فلم يعملها»** فذكر الحديث وفيه **«ومن عمل حسنة كانت له بعشر أمثالها، ومن أنفق نفقة في سبيل الله كانت له بسبعمائة ضعفٍ»** وتعقب بأنه صريحٌ في أن النفقة في سبيل الله تضاعف إلى سبعمائةٍ وليس فيه نفي ذلك عن غيرها صريحًا.

ويدل على التعميم حديث أبي هريرة الماضي في الصيام **«كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ»** الحديث واختلف في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة :٢٦١] هل المراد المضاعفة إلى سبعمائةٍ فقط أو زيادة على ذلك؟ فالأول هو المحقق من سياق الآية والثاني محتملٌ، ويؤيد الجواز سعة الفضل.

قوله: (ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة) المراد بالكمال عظم القدر كما تقدم لا التضعيف إلى العشرة، ولم يقع التقييد بكاملةٍ في طرق حديث أبي هريرة، وظاهر الإطلاق كتابة الحسنة بمجرد الترك، لكنه قيده في حديث الأعرج عن أبي هريرة، كما سيأتي في كتاب التوحيد ولفظه: **«إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة»** وأخرجه مسلم من هذا الوجه، لكن لم يقع عنده **«من أجلي»** ووقع عنده من طريق همام عن أبي هريرة **«وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي»** [(٢)] بفتح الجيم وتشديد الراء بعد الألف ياء المتكلم وهي بمعنى من أجلي، ونقل عياض عن بعض العلماء أنه حمل حديث ابن عباس على عمومه، ثم صوب حمل مطلقه على ما قيد في حديث أبي هريرة.

قلت: ويحتمل أن تكون حسنة من ترك بغير استحضار ما قيد به دون حسنة الآخر لما تقدم أن ترك المعصية كف عن الشر والكف عن الشر خير، ويحتمل أيضًا أن يكتب لمن هم بالمعصية ثم تركها حسنة مجردة، فإن تركها من مخافة ربه سبحانه كتبت حسنة مضاعفة.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، برقم (٢٦٨٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت. . . ، برقم (١٢٩).

وقال الخطابي: محل كتابة الحسنة على الترك أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه، لأن الإنسان لا يسمى تاركًا إلا مع القدرة، ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانعٌ كأن يمشي إلى امرأةٍ ليزني بها مثلاً فيجد الباب مغلقًا ويتعسر فتحه، ومثله من تمكن من الزنا مثلاً فلم ينتشر أو طرقه ما يخاف من أذاه عاجلاً.

ووقع في حديث أبي كبشة الأنماري ما قد يعارض ظاهر حديث الباب، وهو ما أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه بلفظ: **«إنما الدنيا لأربعةٍ»** فذكر الحديث وفيه: **«وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يعمل في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يرى لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل. ورجل لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهما في الوزر سواء»** [1] فقيل الجمع بين الحديثين بالتنزيل على حالتين، فتحمل الحالة الأولى على من هم بالمعصية هما مجردًا من غير تصميم، والحالة الثانية على من صمم على ذلك وأصر عليه. وهو موافق لما ذهب إليه الباقلاني وغيره.

قال المازري: ذهب ابن الباقلاني يعني ومن تبعه إلى أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن عليها نفسه أنه يأثم، وحمل الأحاديث الواردة في العفو عمن هم بسيئةٍ ولم يعملها على الخاطر الذي يمر بالقلب ولا يستقر.

قال المازري: وخالفه كثيرٌ من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ونقل ذلك عن نص الشافعي، ويؤيده قوله في حديث أبي هريرة فيما أخرجه مسلمٌ من طريق همام عنه بلفظ: **«فأنا أغفرها له ما لم يعملها»** فإن الظاهر أن المراد بالعمل هنا عمل الجارحة بالمعصية المهموم به.

وتعقبه عياض بأن عامة السلف وأهل العلم على ما قال ابن الباقلاني لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة لا السيئة التي هم أن يعملها، كمن يأمر بتحصيل معصية ثم لا يفعلها بعد حصولها فإنه يأثم بالأمر المذكور لا بالمعصية ومما يدل على ذلك حديث **«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»** وسيأتي سياقه وشرحه في كتاب الفتن، والذي يظهر أنه من هذا الجنس وهو أنه يعاقب على عزمه بمقدار ما يستحقه ولا يعاقب عقاب من باشر القتل حسا.

وهنا قسم آخر: وهو من فعل المعصية ولم يتب منها ثم هم أن يعود إليها فإنه يعاقب على

---

(١) أخرجه أحمد، (١٧٥٧٠)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: النية، برقم (٤٢٢٨)، والترمذي، (٢٣٢٥)، والحديث صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

الإصرار كما جزم به ابن المبارك وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران :١٣٥] ويؤيده أن الإصرار معصية اتفاقًا، فمن عزم على المعصية وصمم عليها كتبت عليه سيئة، فإذا عملها كتبت عليه معصية ثانية. قال النووي: وهذا ظاهرٌ حسنٌ لا مزيد عليه، وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ [النور :١٩] الآية، وقوله: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات :١٢] وغير ذلك.

وقال ابن الجوزي: إذا حدث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ فإن عزم وصمم زاد على حديث النفس وهو من عمل القلب.

قال: والدليل على التفريق بين الهم والعزم أن من كان في الصلاة فوقع في خاطره أن يقطعها لم تنقطع، فإن صمم على قطعها بطلت.

وأجيب عن القول الأول: بأن المؤاخذة على أعمال القلوب المستقلة بالمعصية لا تستلزم المؤاخذة على عمل القلب بقصد معصية الجارحة إذا لم يعمل المقصود، للفرق بين ما هو بالقصد وما هو بالوسيلة.

وقسم بعضهم ما يقع في النفس أقسامًا يظهر منها الجواب عن الثاني، أضعفها أن يخطر له ثم يذهب في الحال، وهذا من الوسوسة وهو معفو عنه وهو دون التردد، وفوقه أن يتردد فيه فيهم به ثم ينفر عنه فيتركه ثم يهم به ثم يترك كذلك ولا يستمر على قصده، وهذا هو التردد فيعفى عنه أيضًا، وفوقه أن يميل إليه ولا ينفر عنه لكن لا يصمم على فعله وهذا هو الهم فيعفى عنه أيضًا، وفوقه أن يميل إليه ولا ينفر منه، بل يصمم على فعله، فهذا هو العزم، وهو منتهى الهم، وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يكون من أعمال القلوب صرفًا كالشك في الوحدانية أو النبوة أو البعث فهذا كفر ويعاقب عليه جزمًا، ودونه المعصية التي لا تصل إلى الكفر كمن يحب ما يبغض الله ويبغض ما يحبه الله ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك فهذا يأثم، ويلتحق به الكبر والعجب والبغي والمكر والحسد، وفي بعض هذا خلاف. فعن الحسن البصري أن سوء الظن بالمسلم وحسده معفو عنه وحملوه على ما يقع في النفس مما لا يقدر على دفعه. لكن من يقع له ذلك مأمور بمجاهدته النفس على تركه.

والقسم الثاني: أن يكون من أعمال الجوارح كالزنا والسرقة فهو الذي وقع فيه النزاع، فذهبت طائفة إلى عدم المؤاخذة بذلك أصلاً، عن نص الشافعي، ويؤيده ما وقع في حديث خريم بن فاتك المنبه عليه قبل فإنه حيث ذكر الهم بالحسنة قال: علم الله أنه أشعرها قلبه وحرص عليها، وحيث

ذكر الهم بالسيئة لم يقيد بشيء بل قال فيه: ومن هم بسيئةٍ لم تكتب عليه، والمقام مقام الفضل فلا يليق التحجير فيه.

وذهب كثير من العلماء إلى المؤاخذة بالعزم المصمم، وسأل ابن المبارك سفيان الثوري: أيؤاخذ العبد بما يهم به؟ قال: إذا جزم بذلك. واستدل كثير منهم بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وحملوا حديث أبي هريرة الصحيح المرفوع: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم**»[(١)] على الخطرات كما تقدم.

ثم افترق هؤلاء فقالت طائفة: يعاقب عليه صاحبه في الدنيا خاصة بنحو الهم والغم.

وقالت طائفة: بل يعاقب عليه يوم القيامة لكن بالعتاب لا بالعذاب، وهذا قول ابن جريج والربيع بن أنس وطائفة ونسب ذلك إلى ابن عباس أيضًا، واستدلوا بحديث النجوى الماضي شرحه في «**باب ستر المؤمن على نفسه**» من كتاب الأدب، واستثنى جماعة ممن ذهب إلى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع في الحرم المكي ولو لم يصمم لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ذكره السدي في تفسيره عن مرة عن ابن مسعود، وأخرجه أحمد من طريقه مرفوعًا[(٢)]، ومنهم من رجحه موقوفًا، ويؤيد ذلك أن الحرم يجب اعتقاد تعظيمه فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمته، وتعقب هذا البحث بأن تعظيم الله آكد من تعظيم الحرم ومع ذلك فمن هم بمعصيته لا يؤاخذه فكيف يؤاخذ بما دونه؟ ويمكن أن يجاب عن هذا بأن انتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم انتهاك حرمة الله لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله فصارت المعصية في الحرم أشد من المعصية في غيره وإن اشترك الجميع في ترك تعظيم الله تعالى، نعم من هم بالمعصية قاصدًا الاستخفاف بالحرم عصى، ومن هم بمعصية الله قاصدًا الاستخفاف بالله كفر، وإنما المعفو عنه من هم بمعصيةٍ ذاهلاً عن قصد الاستخفاف، وهذا تفصيل جيد ينبغي أن يستحضر عند شرح حديث «**لا يزني الزاني وهو مؤمن**».

وقال السبكي الكبير: الهاجس لا يؤاخذ به إجماعًا، والخاطر وهو جريان ذلك الهاجس وحديث النفس لا يؤاخذ بهما للحديث المشار إليه، والهم وهو قصد فعل المعصية مع التردد لا يؤاخذ به الحديث الباب، والعزم – وهو قوة ذلك القصد أو الجزم به ورفع التردد – قال المحققون

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: إذا حنث ناسيًا في الأيمان، برقم (٦٦٦٤)، ومسلم، كتاب: الأيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، برقم (١٢٧).

(٢) أخرجه أحمد، (٤٣٠٤)، موقوفًا.

يؤاخذ به، وقال بعضهم لا: واحتج بقول أهل اللغة: هم بالشيء عزم عليه، وهذا لا يكفي، قال: ومن أدلة الأول حديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما»(١) الحديث، وفيه أنه كان حريصًا على قتل صاحبه فعلل بالحرص، واحتج بعضهم بأعمال القلوب ولا حجة معه لأنها على قسمين:

أحدهما: لا يتعلق بفعلٍ خارجي وليس البحث فيه.

والثاني: يتعلق بالملتقيين عزم كل منهما على قتل صاحبه واقترن بعزمه فعل بعض ما عزم عليه وهو شهر السلاح وإشارته به إلى الآخر فهذا الفعل يؤاخذ به سواء حصل القتل أم لا. انتهى.

ولا يلزم من قوله: «فالقاتل والمقتول في النار» أن يكونا في درجةٍ واحدةٍ من العذاب بالاتفاق.

قوله: (فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) في رواية الأعرج «فاكتبوها له بمثلها» وزاد مسلم في حديث أبي ذر «فجزاؤه بمثلها أو أغفر» وله في آخر حديث ابن عباس أو «يمحوها» والمعنى: أن الله يمحوها بالفضل، أو بالتوبة، أو بالاستغفار، أو بعمل الحسنة التي تكفر السيئة، والأول أشبه لظاهر حديث أبي ذر، وفيه رد لقول من ادعى أن الكبائر لا تغفر إلا بالتوبة.

ويستفاد من التأكيد بقوله: «واحدة» أن السيئة لا تضاعف كما تضاعف الحسنة، وهو على وفق قوله تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قال ابن عبد السلام في أماليه: فائدة التأكيد دفع توهم من يظن أنه إذا عمل السيئة كتبت عليه سيئة العمل وأضيفت إليها سيئة الهم، وليس كذلك إنما يكتب عليه سيئةٌ واحدةٌ.

وقد استثنى بعض العلماء وقوع المعصية في الحرم المكي.

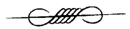
قال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد: هل ورد في شيء من الحديث أن السيئة تكتب بأكثر من واحدة؟ قال: لا، ما سمعت إلا بمكة لتعظيم البلد.

والجمهور على التعميم في الأزمنة والأمكنة لكن قد يتفاوت بالعظم، ولا يرد على ذلك قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] لأن ذلك ورد تعظيمًا لحق النبي ﷺ لأن وقوع ذلك من نسائه يقتضي أمرًا زائدًا على الفاحشة وهو أذى النبي ﷺ، وزاد مسلمٌ بعد قوله: «أو يمحوها»: «ولا يهلك على الله إلا هالكٌ» أي من أصر على

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢]، برقم (٦٨٧٥)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، برقم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

التجري على السيئة عزمًا وقولاً وفعلًا وأعرض عن الحسنات هما وقولاً وفعلًا.

قال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحدٌ الجنة، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات؛ ويؤيد ما دل عليه حديث الباب من الإثابة على الهم بالحسنة وعدم المؤاخذة على الهم بالسيئة قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] إذ ذكر في السوء الافتعال الذي يدل على المعالجة والتكلف فيه بخلاف الحسنة، وفيه ما يترتب للعبد على هجران لذته وترك شهوته من أجل ربه رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه، واستدل به على أن الحفظة لا تكتب المباح للتقييد بالحسنات والسيئات، وأجاب بعض الشراح بأن بعض الأئمة عد المباح من الحسن، وتعقب بأن الكلام فيما يترتب على فعله حسنةٌ وليس المباح ولو سمي حسنًا كذلك، نعم قد يكتب حسنةً بالنية وليس البحث فيه، وقد تقدم في «باب حفظ اللسان» قريبًا شيء من ذلك، وفيه أن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه جعل العدل في السيئة والفضل في الحسنة فضاعف الحسنة ولم يضاعف السيئة بل أضاف فيها إلى العدل الفضل فأدارها بين العقوبة والعفو بقوله: «كتبت له واحدةً أو يمحوها» وبقوله: «فجزاؤه بمثلها أو أغفر» وفي هذا الحديث رد على الكعبي في زعمه أن ليس في الشرع مباحٌ بل الفاعل إما عاصٍ وإما مثابٌ، فمن اشتغل عن المعصية بشيءٍ فهو مثابٌ، وتعقبوه بما تقدم أن الذي يثاب على ترك المعصية هو الذي يقصد بتركها رضا الله كما تقدمت الإشارة إليه، وحكى ابن التين أنه يلزمه أن الزاني مثلاً مثابٌ لاشتغاله بالزنا عن معصيةٍ أخرى ولا يخفى ما فيه.



مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ

(٩٨) عن عطاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (عن عطاء) هو ابن يسار، ووقع كذلك في بعض النسخ، وقيل هو ابن أبي رباح والأول أصح نبه على ذلك الخطيب، وساق الذهبي في ترجمة خالد من الميزان بعد أن ذكر قول أحمد فيه له مناكير، وقول أبي حاتم لا يحتج به، وأخرج ابن عدي عشرة أحاديث من حديثه استنكرها: هذا الحديث من طريق محمد بن مخلد عن محمد بن عثمان بن كرامة شيخ البخاري فيه وقال: هذا حديث غريب جدا لولا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الإسناد ولا خرجه من عدا البخاري ولا أظنه في مسند أحمد.

قلت: ليس هو في مسند أحمد جزمًا، وإطلاق أنه لم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد مردودٌ، ومع ذلك فشريكٌ شيخ شيخ خالدٍ فيه مقالٌ أيضًا، وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص وقدم وأخر وتفرد فيه بأشياء لم يتابع عليها كما يأتي القول فيه مستوعبًا في مكانه، ولكن للحديث طرقٌ أخرى يدل مجموعها على أن له أصلاً.

منها: عن عائشة أخرجه أحمد في «الزهد» وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الزهد» من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها [٣]، وذكر ابن حبان وابن عدي أنه تفرد به، وقد قال البخاري إنه منكر الحديث، لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد عن عروة [٤] وقال: لم يروه عن عروة إلا يعقوب وعبد الواحد.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث (٦٥٠٢).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣٤١).
(٣) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٢٦٩)، لأحمد من طريق عبد الواحد بن قيس وهو ضعيف.
(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩/ ١٣٩) برقم (٩٣٥٢).

ومنها: عن أبي أمامة أخرجه الطبراني والبيهقي في «الزهد» بسندٍ ضعيفٍ.

ومنها: عن علي عند الإسماعيلي في مسند علي، وعن ابن عباس أخرجه الطبراني وسندهما ضعيفٌ، وعن أنس أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني وفي سنده ضعفٌ أيضًا [١]، وعن حذيفة أخرجه الطبراني مختصرًا [٢] وسنده حسنٌ غريبٌ، وعن معاذ بن جبلٍ أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم في «الحلية» مختصرًا [٣] وسنده ضعيفٌ أيضًا، وعن وهب بن منبهٍ مقطوعًا، أخرجه أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية» [٤] وفيه تعقبٌ على ابن حبان حيث قال بعد إخراج حديث أبي هريرة: لا يعرف لهذا الحديث إلا طريقان يعني غير حديث الباب وهما هشامٌ الكناني عن أنس وعبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة وكلاهما لا يصح، وسأذكر ما في رواياتهم من فائدةٍ زائدةٍ.

قوله: (إن الله تعالى) قال الكرماني: هذا من الأحاديث القدسية، وقد تقدم القول فيها قبل ستة أبوابٍ. قلت: وقد وقع في بعض طرقه أن النبي ﷺ حدث به عن جبريل عن الله عز وجل وذلك في حديث أنسٍ.

قوله: (من عادى لي وليا) المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته.

وقد استشكل وجود أحدٍ يعاديه لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه.

وأجيب: بأن المعاداة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلاً بل قد تقع عن بغضٍ ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكرٍ، والمبتدع في بغضه للسني، فتقع المعاداة من الجانبين، أما من جانب الولي فلله تعالى وفي الله، وأما من جانب الآخر فلما تقدم.

وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولي في الله، وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته. وقد تطلق المعاداة ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ومن الآخر بالقوة، قال

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده، (١٢/ ٥٢٠)، برقم (٧٠٨٧)، وعزاه الهيثمي في «المجمع»، (٢/ ٢٤٨) للبزار بنحوه، وأخرجه الطبراني في «الكبير»، (٨/ ٢٠٦)، برقم (٧٨٣٢).

(٢) انظر «جامع العلوم والحكم»، (١/ ٣٦٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: من ترجى له السلامة من الفتن، برقم (٣٩٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية»، (١/ ٥)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه».

(٤) لم أقف عليه.

الكرماني: قوله: «لي» هو في الأصل صفةٌ لقوله: «وليا» لكنه لما تقدم صار حالاً.

وقال ابن هبيرة في «الإفصاح»: قوله: «عادى لي وليا» أي اتخذه عدوا، ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته وهو إن تضمن التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله ليس على الإطلاق بل يستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضي نزاعًا بين وليين في مخاصمةٍ أو محاكمةٍ ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامضٍ، فإنه جرى بين أبي بكرٍ وعمر مشاجرةٌ، وبين العباس وعلي، إلى غير ذلك من الوقائع انتهى ملخصًا موضحًا.

وتعقبه الفاكهاني بأن معاداة الولي لكونه وليا لا يفهم إلا إن كان على طريق الحسد الذي هو تمني زوال ولايته وهو بعيدٌ جدا في حق الولي فتأمله قلت: والذي قدمته أولى أن يعتمد.

قال ابن هبيرة: ويستفاد من هذا الحديث تقديم الإعذار على الإنذار وهو واضحٌ.

قوله: (فقد آذنته) بالمد وفتح المعجمة بعدها نونٌ أي أعلمته، والإيذان الإعلام، ومنه أخذ الأذان.

قوله: (بالحرب) في رواية الكشميهني «بحرب» ووقع في حديث عائشة «من عادى لي وليا» [(١)] وفي روايةٍ لأحمد «من آذى لي وليا» [(٢)] وفي أخرى له «من آذى» وفي حديث ميمونة مثله «فقد استحل محاربتي» [(٣)] وفي رواية وهب بن منبهٍ موقوفًا «قال الله: من أهان وليي المؤمن فقد استقبلني بالمحاربة» [(٤)] وفي حديث معاذ «فقد بارز الله بالمحاربة» [(٥)] وفي حديث أبي أمامة وأنسٍ «فقد بارزني» [(٦)] وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلةٌ من الجانبين مع أن المخلوق في أسر الخالق.

والجواب: أنه من المخاطبة بما يفهم، فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالبٌ، فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه. فأطلق الحرب وأراد لازمه أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب.

قال الفاكهاني: في هذا تهديدٌ شديدٌ، لأن من حاربه الله أهلكه، وهو من المجاز البليغ، لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله.

وقال الطوفي: لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة،

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه أحمد، (٢٥٦٦١).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.

وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديقٌ وصديق العدو عدو، فعدو ولي الله عدو الله فمن عاداه كان كمن حاربه ومن حاربه فكأنما حارب الله.

قوله: (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه) يجوز في «أحب» الرفع والنصب، ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظرٌ للتقييد بقوله افترضت عليه، إلا إن أخذ من جهة المعنى الأعم، ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله.

قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازمٌ ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبًا، وأيضًا فالفرض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرائض قد يفعله خوفًا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارًا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته.

قوله: (وما زال) في رواية الكشميهني «وما يزال» بصيغة المضارعة.

قوله: (يتقرب إلي) التقرب طلب القرب، قال أبو القاسم القشيري: قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه، ثم بإحسانه. وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه، وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه. ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق.

قال: وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس، وباللطف والنصرة خاص بالخواص، وبالتأنيس خاص بالأولياء. ووقع في حديث أبي أمامة «يتحبب إلى» بدل «يتقرب» وكذا في حديث ميمونة.

قوله: (بالنوافل حتى أحببته) في رواية الكشميهني «أحبه» ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة؟

والجواب: أن المراد من النوافل ما كانت حاويةً للفرائض مشتملةً عليها ومكملةً لها، ويؤيده أن في رواية أبي أمامة «ابن آدم. إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك» وقال الفاكهاني: معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى.

وقال ابن هبيرة: يؤخذ من قوله: «**ما تقرب إلخ**» أن النافلة لا تقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلةً لأنها تأتي زائدةً على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى.

وأيضًا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراجٍ أو يقضي ما عليه من دينٍ.

وأيضًا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم: «**انظروا هل لعبدي من تطوعٍ فتكمل به فريضته**» [1] الحديث بمعناه فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذورٌ ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرورٌ.

قوله: (فكنت سمعه الذي يسمع) زاد الكشميهني «**به**».

قوله: (وبصره الذي يبصر به) في حديث عائشة في رواية عبد الواحد: «**عينه التي يبصر بها**» وفي رواية يعقوب بن مجاهد «**عينيه التي يبصر بهما**» بالتثنية وكذا قال في الأذن واليد والرجل، وزاد عبد الواحد في روايته «**وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به**» ونحوه في حديث أبي أمامة وفي حديث ميمونة «**وقلبه الذي يعقل به**» وفي حديث أنس «**ومن أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا**».

وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ؟

والجواب من أوجهٍ:

أحدها: أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح.

ثانيها: أن المعنى كليته مشغولةٌ بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به.

ثالثها: المعنى أحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ.

رابعها: كنت له في النصرة، كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه.

خامسها: قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة: هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضافٍ،

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق عند مسلم.

والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك إلخ.

سادسها: قال الفاكهاني: يحتمل معنًى آخر أدق من الذي قبله، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلانٌ أملى بمعنى مأمولي، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك، وبمعناه قال ابن هبيرة أيضًا.

وقال الطوفي: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية **«فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي»**.

قال: والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية، قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر، قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرًا.

وقال الخطابي: هذه أمثالٌ والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها، بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله. وإلى هذا نحا الداودي، ومثله الكلاباذي، وعبر بقوله: أحفظه فلا يتصرف إلا في محابي، لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه.

سابعها: قال الخطابي أيضًا: وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.

وقال بعضهم: وهو منتزع مما تقدم لا يتحرك له جارحةٌ إلا في الله ولله، فهي كلها تعمل بالحق للحق. وأسند البيهقي في «الزهد» عن أبي عثمان الجيزي أحد أئمة الطريق قال: معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الأسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي.

وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو، وأنه الغاية التي لا شيء وراءها، وهو أن يكون قائمًا بإقامة الله له محبا بمحبته له ناظرًا بنظره له من غير أن تبقى معه بقيةٌ تناط باسمٍ أو تقف على رسمٍ أو تتعلق بأمرٍ أو توصف بوصفٍ، ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى، قام ومحبته له حتى أحبه ونظره إلى عبده حتى أقبل ناظرًا إليه بقلبه.

وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى

يصفى من الكدورات، أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك، وأنه يفنى عن نفسه جملةً حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدمًا صرفًا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج، وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث «**ولئن سألني، ولئن استعاذني**» فإنه كالصريح في الرد عليهم.

قوله: (وإن سألني) زاد في رواية عبد الواحد «**عبدي**».

قوله: (أعطيته) أي ما سأل.

قوله: (ولئن استعاذني) ضبطناه بوجهين الأشهر بالنون بعد الذال المعجمة والثاني بالموحدة والمعنى أعذته مما يخاف، وفي حديث أبي أمامة «**وإذا استنصر بي نصرته**» وفي حديث أنس «**نصحني فنصحت له**» ويستفاد منه أن المراد بالنوافل جميع ما يندب من الأقوال والأفعال.

وقد وقع في حديث أبي أمامة المذكور «**وأحب عبادة عبدي إلى النصيحة**».

وقد استشكل بأن جماعةً من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا ولم يجابوا.

والجواب: أن الإجابة تتنوع:

فتارةً يقع المطلوب بعينه على الفور.

وتارةً يقع ولكن يتأخر لحكمةٍ فيه.

وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحةٌ ناجزةٌ وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها.

وفي الحديث: عظم قدر الصلاة، فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها، وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقر لعين العبد منها ولهذا جاء في حديث أنس المرفوع «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» أخرجه النسائي وغيره [1] بسندٍ صحيحٍ، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإن السالك غرض الآفات والفتور.

وفي حديث حذيفة من الزيادة «**ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين**

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، برقم (٣٩٣٩)، وأحمد (١١٨٨٤)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن النسائي».

والصديقين والشهداء في الجنة» [1] وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل التجلي والرياضة فقالوا: القلب إذا كان محفوظًا مع الله كانت خواطره معصومةً من الخطأ.

وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا: لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة، والعصمة إنما هي للأنبياء ومن عداهم فقد يخطئ، فقد كان عمر رضي الله عنه رأس الملهمين ومع ذلك فكان ربما رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه. فمن ظن أنه يكتفي بما يقع في خاطره عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فقد ارتكب أعظم الخطإ، وأما من بالغ منهم فقال: حدثني قلبي عن ربي فإنه أشد خطأً فإنه لا يأمن أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان، والله المستعان.

قال الطوفي: هذا الحديث أصلٌ في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه، إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان والظاهرة وهي الإسلام والمركب منهما وهو الإحسان فيهما كما تضمنه حديث جبريل، والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها.

وفي الحديث أيضًا: أن من أتى بما وجب عليه، وتقرب بالنوافل لم يرد دعاؤه؛ لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم، وقد تقدم الجواب عما يتخلف من ذلك.

وفيه: أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبًا لله لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية، وقد تقدم تقرير هذا واضحًا في أوائل كتاب الدعوات.

قوله: (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن) وفي حديث عائشة **«ترددي عن موته»** ووقع في **«الحلية»** في ترجمة وهب بن منبه **«إني لأجد في كتب الأنبياء أن الله تعالى يقول: ما ترددت عن شيء قط ترددي عن قبض روح المؤمن إلخ»** قال الخطابي: التردد في حق الله غير جائزٍ، والبداء عليه في الأمور غير سائغ. ولكن له تأويلان:

أحدهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داءٍ يصيبه وفاقةٍ تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرًا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه.

والثاني: أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيءٍ أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن،

---

(١) سبق تخريجه.

كما روى في قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت وتردده إليه مرةً بعد أخرى، قال: وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه.

وقال الكلاباذي ما حاصله: أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات، أي عن الترديد بالتردد، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصبٍ إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك.

قال: وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلاً عن إزالة الكراهة عنه، فأخبر أنه يكره الموت ويسوءه، ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال فيأتيه الموت وهو له مؤثرٌ وإليه مشتاق.

قال: وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودبر وتهدد وهدد والله أعلم.

وعن بعضهم: يحتمل أن يكون تركيب الولي يحتمل أن يعيش خمسين سنةً وعمره الذي كتب له سبعون فإذا بلغها فمرض دعا الله بالعافية فيحييه عشرين أخرى مثلاً، فعبر عن قدر التركيب وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد، وعبر ابن الجوزي عن الثاني بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره، قال: وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة.

فإن قيل: إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد؟ فالجواب أنه يتردد فيما يحد له فيه الوقت، كأن يقال لا تقبض روحه إلا إذا رضي، ثم ذكر جوابًا ثالثًا وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدا من امتثاله. وجوابًا رابعًا وهو أن يكون هذا خطابًا لنا بما نعقل والرب منزهٌ عن حقيقته، بل هو من جنس قوله: «**ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً**» فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديبًا فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد.

وجوز الكرماني احتمالاً آخر وهو أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج، بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قول كن سريعًا دفعةً.

قوله: (**يكره الموت وأنا أكره مساءته**) في حديث عائشة «**إنه يكره الموت وأنا أكره مساءته**» زاد ابن مخلد عن ابن كرامة في آخره «**ولا بد له منه**» ووقعت هذه الزيادة أيضًا في حديث وهب، وأسند البيهقي في «**الزهد**» عن الجنيد سيد الطائفة قال: الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت

وصعوبته وكربه، وليس المعنى أني أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته انتهى.

وعبر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضي، وهو مفارقة الروح للجسد، ولا تحصل غالبًا إلا بألم عظيم جدا كما جاء عن عمرو بن العاص أنه سئل وهو يموت فقال: «**كأني أتنفس من خرم إبرة، وكأن غصن شوك يجر به من قامتي إلى هامتي**» وعن كعب أن عمر سأله عن الموت فوصفه بنحو هذا، فلما كان الموت بهذا الوصف، والله يكره أذى المؤمن، أطلق على ذلك الكراهة.

ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر، وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين.

وجوز الكرماني أن يكون المراد أكره مكرهه الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالمتردد.

قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء: في هذا الحديث عظم قدر الولي، لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له، وعن حوله وقوته بصدق توكله.

قال: ويؤخذ منه أن لا يحكم لإنسانٍ آذى وليا ثم لم يعاجل بمصيبةٍ في نفسه أو ماله أو ولده بأنه سلم من انتقام الله، فقد تكون مصيبته في غير ذلك مما هو أشد عليه كالمصيبة في الدين مثلاً.

قال: ويدخل في قوله: «**افترضت عليه**» الفرائض الظاهرة فعلاً كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، وتركًا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات، والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه وغير ذلك. وهي تنقسم أيضًا إلى أفعال وتروك.

قال: وفيه دلالةٌ على جواز اطلاع الولي على المغيبات بإطلاع الله تعالى له، ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن :٢٦-٢٧] فإنه لا يمنع دخول بعض أتباعه معه بالتبعية لصدق قولنا ما دخل على الملك اليوم إلا الوزير، ومن المعلوم أنه دخل معه بعض خدمه.

قلت: الوصف المستثنى للرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه رسولاً فلا مشاركة لأحدٍ من أتباعه فيه إلا منه، وإلا فيحتمل ما قال، والعلم عند الله تعالى.

(تنبيهٌ): أشكل وجه دخول هذا الحديث في باب التواضع حتى قال الداودي: ليس هذا الحديث من التواضع في شيء، وقال بعضهم: المناسب إدخاله في الباب الذي قبله وهو مجاهدة المرء نفسه في طاعة الله تعالى، وبذلك ترجم البيهقي في «**الزهد**» فقال: فصلٌ في الاجتهاد في الطاعة وملازمة العبودية. والجواب عن البخاري من أوجهٍ:

أحدها: أن التقرب إلى الله بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع لله والتوكل عليه، ذكره الكرماني.

ثانيها: ذكره أيضًا فقال: قيل الترجمة مستفادة مما قال: «كنت سمعه» ومن التردد.

قلت: ويخرج منه جوابٌ ثالثٌ.

ويظهر لي رابعٌ، وهو: أنها تستفاد من لازم قوله: «من عادى لي وليا» لأنه يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستلزم لموالاتهم، وموالاة جميع الأولياء لا تتأتى إلا بغاية التواضع، إذ منهم الأشعث الأغبر الذي لا يؤبه له.

وقد ورد في الحث على التواضع عدة أحاديث صحيحةٍ لكن ليس شيء منها على شرطه فاستغنى عنها بحديثي الباب.

منها: حديث عياض بن حمارٍ رفعه «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ» أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما [١].

ومنها: حديث أبي هريرة رفعه «وما تواضع أحدٌ لله تعالى إلا رفعه» أخرجه مسلم أيضًا والترمذي [٢].

ومنها: حديث أبي سعيد رفعه «من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله في أعلى عليين» الحديث أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان [٣].



(١) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، برقم (٢٨٦٥)، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في التواضع برقم (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٨٨)، والترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في التواضع، برقم (٢٠٢٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، برقم (٤١٧٦)، وابن حبان في صحيحه، (١٢/ ٤٩١)، برقم (٥٦٧٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه».

إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ

(٩٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآيَةَ، وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]. قَالَ: فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» [(١)].

* * *

(١٠٠) عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» [(٢)].

الشرح [(٣)]:

قوله: (قام فينا النبي ﷺ يخطب) وقع لمسلم بدل قوله: يخطب «بموعظة» أخرجه عن محمد بن بشار شيخ البخاري فيه ومحمد بن المثنى قال: واللفظ لابن المثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر بسنده المذكور هنا وكذا أخرجه أحمد عن محمد ابن جعفر.

قوله: (فقال إنكم) زاد ابن المثنى «يا أيها الناس إنكم».

قوله: (تحشرون) في رواية الكشميهني «محشورون» وهي رواية ابن المثنى.

قوله: (حفاة) لم يقع فيه أيضًا «مشاة».

قوله: (عراة) قال البيهقي: وقع في حديث أبي سعيد يعني: الذي أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان، أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال: «سمعت النبي ﷺ يقول: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» [(٤)] ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عاريًا، وبعضهم كاسيًا، أو

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث (٦٥٢٦).
(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث (٦٥٨٢).
(٣) فتح الباري (١١/ ٣٨٣).
(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الجنائز، باب: ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت، برقم،

يحشرون كلهم عراةً، ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم، وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم، وممن حمله على عمومه معاذ بن جبلٍ فأخرج ابن أبي الدنيا بسندٍ حسنٍ عن عمرو بن الأسود قال: «دفنا أم معاذ بن جبل فأمر بها فكفنت في ثيابٍ جددٍ وقال: أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها»[1] قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤] على أحد الأقوال وهو قول قتادة قال: معناه وعملك فأخلصه ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه «يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه»[2] أخرجه مسلم وحديث فضالة بن عبيد «من مات على مرتبةٍ من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة»[3] الحديث أخرجه أحمد.

ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر ويتأيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:٩٤] وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] وإلى ذلك الإشارة في حديث الباب بذكر قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤] عقب قوله: «حفاة عراة» قال: فيحمل ما دل عليه حديث أبي سعيد على الشهداء لأنهم يدفنون بثيابهم فيبعثون فيها تمييزًا لهم عن غيرهم، وقد نقله ابن عبد البر عن أكثر العلماء، ومن حيث النظر إن الملابس في الدنيا أموالٌ ولا مال في الآخرة مما كان في الدنيا، ولأن الذي يقي النفس مما تكره في الآخرة ثواب بحسن عملها أو رحمةٌ مبتدأةٌ من الله، وأما ملابس الدنيا فلا تغني عنها شيئًا قاله الحليمي.

وذهب الغزالي إلى ظاهر حديث أبي سعيد وأورده بزيادةٍ لم أجد لها أصلاً وهي: فإن أمتي تحشر في أكفانها وسائر الأمم عراة. قال القرطبي: إن ثبت حمل على الشهداء من أمته حتى لا تتناقض الأخبار.

قوله: (غرلاً) بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأقلف وزنه ومعناه وهو من بقيت

(٣١١٤)، وابن حبان في صحيحه، (١٦/٣٠٧)، برقم (٧٣١٦)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(١) عزاه المباركفوري في «تحفة الأحوذي»، (٧/٩١) لابن أبي الدنيا.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (٢٨٧٨).

(٣) أخرجه أحمد، (٢٣٤٢٣)، ورجاله ثقات.

غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر .

قال أبو هلال العسكري : لا تلتقي اللام مع الراء في كلمةٍ إلا في أربع : أرل اسم جبلٍ وورلٌ اسم حيوانٍ معروفٍ وحرل ضربٌ من الحجارة والغرلة . واستدرك عليه كلمتان هرل ولد الزوجة وبرل الديك الذي يستدير بعنقه والستة حوشيةٌ إلا الغرلة .

قال ابن عبد البر : يحشر الآدمي عاريًا ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع منه شيءٌ يرد حتى الأقلف . وقال أبو الوفاء بن عقيلٍ : حشفة الأقلف موقاةٌ بالقلفة فتكون أرق فلما أزالوا تلك القطعة في الدنيا أعادها الله تعالى ليذيقها من حلاوة فضله .

قوله : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء :١٠٤] الآية ساق ابن المثنى الآية كلها إلى قوله : ﴿فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ومثله ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف :٢٩] ومنه ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام :٩٤] ووقع في حديث أم سلمة عند ابن أبي الدنيا «يحشر الناس حفاةً عراةً كما بدئوا» .

قوله : (وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل) تقدم بعض الكلام عليه في أحاديث الأنبياء قال القرطبي في «شرح مسلم» : يجوز أن يراد بالخلائق من عدا نبينا ﷺ فلم يدخل هو في عموم خطاب نفسه وتعقبه تلميذه القرطبي أيضًا في «التذكرة» فقال : هذا حسنٌ لولا ما جاء من حديث علي يعني الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد من طريق عبد الله بن الحارث عن علي قال : «أول من يكسى يوم القيامة خليل الله عليه السلام قبطيتين ثم يكسى محمدٌ ﷺ حلةً حبرةً عن يمين العرش» [(١)] .

قلت : كذا أورده مختصرًا موقوفًا وأخرجه أبو يعلى مطولاً مرفوعًا .

وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد «وأول من يكسى من الجنة إبراهيم يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بي فأكسى حلةً من الجنة لا يقوم لها البشر ، ثم يؤتى بكرسي فيطرح على ساق العرش وهو عن يمين العرش» [(٢)] وفي مرسل عبيد بن عميرٍ عند جعفر الفريابي «يحشر الناس حفاة عراة فيقول الله تعالى : ألا أرى خليلي عريانًا؟ فيكسى إبراهيم ثوبًا أبيض فهو أول من يكسى» .

قيل : الحكمة في كون إبراهيم أول من يكسى أنه جرد حين ألقي في النار .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ، (١/ ١٠٥ ، ١٠٦) ، وقد صححه الألباني كما في «مختصر العلو» .
(٢) عزاه المباركفوري في «التحفة» ، (٧/ ٩٢) للبيهقي من طريق ابن عباس به .

وقيل: لأنه أول من استن التستر بالسراويل.

وقيل: إنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه فعجلت له الكسوة أمانًا له ليطمئن قلبه. وهذا اختيار الحليمي والأول اختيار القرطبي.

قلت: وقد أخرج ابن منده من حديث حيدة بفتح المهملة وسكون التحتانية رفعه. قال: «**أول من يكسى إبراهيم يقول الله: اكسوا خليلي ليعلم الناس اليوم فضله عليهم**» [1].

قلت: وقد تقدم شيءٌ من هذا في ترجمة إبراهيم من بدء الخلق وإنه لا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبينا عليه الصلاة والسلام مطلقًا، وقد ظهر لي الآن أنه يحتمل أن يكون نبينا عليه الصلاة والسلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها، والحلة التي يكساها حينئذٍ من حلل الجنة خلعة الكرامة بقرينة إجلاسه على الكرسي عند ساق العرش، فتكون أولية إبراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق.

وأجاب الحليمي: بأنه يكسى أولاً ثم يكسى نبيناﷺ على ظاهر الخبر لكن حلة نبيناﷺ أعلى وأكمل فتجبر نفاستها ما فات من الأولية والله أعلم.

قوله: (وإنه سيجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال) أي إلى جهة النار ووقع ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة في آخر «**بابٌ صفة النار**» من طريق عطاء بن يسارٍ عنه ولفظه: «**فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار**» الحديث. وبين في حديث أنسٍ الموضع ولفظه: «**ليردن علي ناسٌ من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني**» الحديث وفي حديث سهل «**ليردن علي أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم**» وفي حديث أبي هريرة عند مسلم «**ليذادن رجالٌ عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم**».

قوله: (فأقول يا رب أصحابي) في رواية أحمد «**فلأقولن**» وفي رواية أحاديث الأنبياء «**أصيحابي**» بالتصغير وكذا هو في حديث أنسٍ وهو خبر مبتدأٍ محذوفٍ تقديره هؤلاء.

قوله: (فيقول الله إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) في حديث أبي هريرة المذكور «**إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**» وزاد في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أيضًا «**فيقول: نك لا علم لك بما أحدثوا بعدك فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: سحقًا سحقًا**» أي بعدًا بعدًا والتأكيد للمبالغة.

وفي حديث أبي سعيد في «**باب صفة النار**» أيضًا «**فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**

---

(١) عزاه الحافظ في «الفتح»، (١١/ ٣٨٤)، لابن منده.

فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي» وزاد في رواية عطاء بن يسار: **«فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»** ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكرة رفعه **«ليردن على الحوض رجالٌ ممن صحبني ورآني»** [(١)] وسنده حسنٌ. وللطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه وزاد **«فقلت: يا رسول الله ادع الله أن لا يجعلني منهم قال: لست منهم»** [(٢)] وسنده حسنٌ.

قوله: (فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدًا - إلى قوله - الحكيم) كذا لأبي ذر وفي رواية غيره زيادة ما دمت فيهم والباقي سواءٌ.

قوله: (قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم) وقع في رواية الكشميهني **«لن يزالوا»** ووقع في ترجمة مريم من أحاديث الأنبياء قال الفربري ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قبيصة قال: هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكرٍ فقاتلهم أبو بكر يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر. وقد وصله الإسماعيلي من وجهٍ آخر عن قبيصة.

وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحدٌ وإنما ارتد قومٌ من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين. ويدل قوله: **«أصيحابي»** بالتصغير على قلة عددهم.

وقال غيره: قيل: هو على ظاهره من الكفر والمراد بأمتي: أمة الدعوة لا أمة الإجابة. ورجح بقوله في حديث أبي هريرة **«فأقول بعدًا لهم وسحقًا»** ويؤيده كونهم خفي عليه حالهم، ولو كانوا من أمة الإجابة لعرف حالهم، بكون أعمالهم تعرض عليه.

وهذا يرده قوله في حديث أنس: **«حتى إذا عرفتهم»** وكذا في حديث أبي هريرة.

وقال ابن التين: يحتمل أن يكونوا منافقين أو من مرتكبي الكبائر. وقيل هم قومٌ من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبةً ورهبةً.

وقال الداودي: لا يمتنع دخول أصحاب الكبائر والبدع في ذلك.

وقال النووي: قيل: هم المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من أجل السيما التي عليهم فيقال إنهم بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه.

---

(١) أخرجه أحمد، (١٩٩٨١)، وفيه علي بن زيد: ضعيف، يرويه عن شيخه الحسن وهو مدلس وقد عنعن.

(٢) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (٩/ ٣٦٧)، للطبراني في «الأوسط»، وقال: ورجالهما ثقات.

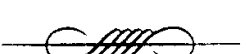
قال عياضٌ وغيره: وعلى هذا فيذهب عنهم الغرة والتحجيل ويطفأ نورهم.

وقيل: لا يلزم أن تكون عليهم السيما بل يناديهم لما كان يعرف من إسلامهم وقيل هم أصحاب الكبائر والبدع الذين ماتوا على الإسلام وعلى هذا فلا يقطع بدخول هؤلاء النار لجواز أن يذادوا عن الحوض أولاً عقوبةً لهم ثم يرحموا ولا يمتنع أن يكون لهم غرةٌ وتحجيلٌ فعرفهم بالسيما سواءٌ كانوا في زمنه أو بعده ورجح عياضٌ والباجي وغيرهما ما قال قبيصة راوي الخبر إنهم من ارتد بعده ﷺ ولا يلزم من معرفته لهم أن يكون عليهم السيما لأنها كرامةٌ يظهر بها عمل المسلم. والمرتد قد حبط عمله فقد يكون عرفهم بأعيانهم لا بصفتهم باعتبار ما كانوا عليه قبل ارتدادهم ولا يبعد أن يدخل في ذلك أيضًا من كان في زمنه من المنافقين وسيأتي في حديث الشفاعة **«وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها»** فدل على أنهم يحشرون مع المؤمنين فيعرف أعيانهم ولو لم يكن لهم تلك السيما فمن عرف صورته ناداه مستصحبًا لحاله التي فارقه عليها في الدنيا وأما دخول أصحاب البدع في ذلك فاستبعد لتعبيره في الخبر بقوله: **«أصحابي»** وأصحاب البدع إنما حدثوا بعده.

وأجيب: بحمل الصحبة على المعنى الأعم واستبعد أيضًا أنه لا يقال للمسلم ولو كان مبتدعًا سحقًا وأجيب بأنه لا يمتنع أن يقال ذلك لمن علم أنه قضي عليه بالتعذيب على معصيةٍ ثم ينجو بالشفاعة فيكون قوله: سحقًا، تسليمًا لأمر الله مع بقاء الرجاء وكذا القول في أصحاب الكبائر.

وقال البيضاوي: ليس قوله: **«مرتدين»** نصا في كونهم ارتدوا عن الإسلام بل يحتمل ذلك ويحتمل أن يراد أنهم عصاة المؤمنين المرتدون عن الاستقامة يبدلون الأعمال الصالحة بالسيئة انتهى.

وقد أخرج أبو يعلى بسندٍ حسنٍ عن أبي سعيد **«سمعت رسول الله ﷺ»** فذكر حديثًا فقال: **«يا أيها الناس إني فرطكم على الحوض فإذا جئتم قال رجلٌ: يا رسول الله أنا فلان بن فلانٍ وقال آخر: أنا فلان ابن فلانٍ فأقول أما النسب فقد عرفته ولعلكم أحدثتم بعدي وارتددتم»** [1] ولأحمد والبزار نحوه من حديث جابر وسأذكر في آخر **«باب صفة النار»** ما يحتاج إلى شرحه من ألفاظ الأحاديث التي أشرت إليها إن شاء الله تعالى.



(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، (٢/٤٣٣)، برقم (١٢٣٨)، وإسناده حسن.

أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا

(١٠١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١).

الشرح (٢):

قوله: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة) في رواية الحبيبي عن مالك عن الإسماعيلي **«يطلع الله على أهل الجنة فيقول»**.

قوله: (فيقولون) في رواية أبي ذر عن المستملي **«يقولون»** بحذف الفاء.

قوله: (وسعديك) زاد سعيد بن داود وعبد العزيز بن يحيى كلاهما عن مالك عند الدارقطني في الغرائب **«والخير في يديك»**.

قوله: (فيقول هل رضيتم) في حديث جابر عند البزار وصححه ابن حبان: **«هل تشتهون شيئًا»**.

قوله: (وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا) في حديث جابر **«وهل شيء أفضل مما أعطيتنا»**.

قوله: (أنا أعطيكم أفضل من ذلك) في رواية ابن وهب عن مالك كما سيأتي في التوحيد **«ألا أعطيكم»**.

قوله: (أحل) بضم أوله وكسر المهملة أي أنزل.

قوله: (رضواني) بكسر أوله وضمه، وفي حديث جابر قال **«رضواني أكبر»** وفيه تلميح بقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة، وكل من علم أن سيده راضٍ عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم. وفي هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٤٩).
(٢) فتح الباري (١١/ ٤٢٢).

(تنبيهان) :

(الأول) : حديث أبي سعيد هذا كأنه مختصر من الحديث الطويل الماضي في تفسير سورة النساء من طريق حفص بن ميسرة والآتي في التوحيد من طريق سعيد ابن أبي هلال كلاهما عن زيد بن أسلم بهذا السند في صفة الجواز على الصراط ، وفيه قصة الذين يخرجون من النار ، وفي آخره أنه يقال لهم نحو هذا الكلام ، لكن إذا ثبت أن ذلك يقال لهؤلاء ؛ لكونهم من أهل الجنة فهو للسابقين بطريق الأولى .

(الثاني) : هذا الخطاب غير الخطاب الذي لأهل الجنة كلهم ، وهو فيما أخرجه مسلم وأحمد من حديث صهيب رفعه **«إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم موعدًا عند الله يريد أن ينجزكموه»** الحديث ، وفيه **«فيكشف الحجاب فينظرون إليه»** وفيه **«فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه»** [(١)] وله شاهد عند ابن المبارك في الزهد من حديث أبي موسى من قوله [(٢)] ، وأخرجه ابن أبي حاتم من حديثه مرفوعًا باختصار [(٣)] .

* * *

(١٠٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» [(٤)] .

الشرح [(٥)] :

حديث أبي سعيد **«أن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة»** الحديث ، وفيه فيقول : أحل عليكم رضواني ، وقد تقدم شرحه في أواخر **«كتاب الرقاق»** في باب صفة الجنة والنار .

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه ، كتاب : الإيمان ، باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، برقم (١٨١) ، وأحمد ، (١٨٤٥٦) . .

(٢) عزاه الحافظ في «الفتح» ، (١١/ ٤٢٢) لابن المبارك في الزهد من حديث أبي موسى .

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ، حديث (٧٥١٨) .

(٥) فتح الباري (٣/ ٤٨٨) .

قال ابن بطال: استشكل بعضهم هذا؛ لأنه يوهم أن له أن يسخط على أهل الجنة وهو خلاف ظواهر القرآن، كقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[المائدة :١١٩] ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام :٨٢] وأجاب بأن إخراج العباد من العدم إلى الوجود من تفضله وإحسانه، وكذلك تنجيز ما وعدهم به من الجنة والنعيم من تفضله وإحسانه، وأما دوام ذلك ن فزيادة من فضله على المجازاة لو كانت لازمة، ومعاذ الله أن يجب عليه شيء فلما كانت المجازاة لا تزيد في العادة على المدة ومدة الدنيا متناهية جاز أن تتناهى مدة المجازاة فتفضل عليهم بالدوام فارتفع الإشكال جملة انتهى ملخصًا.

وقال غيره: ظاهر الحديث أن الرضا أفضل من اللقاء وهو مشكل وأجيب بأنه ليس في الخبر أن الرضا أفضل من كل شيء وإنما فيه أن الرضا أفضل من العطاء، وعلى تقدير التسليم فاللقاء مستلزم للرضا فهو من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، كذا نقل الكرماني، ويحتمل أن يقال: المراد حصول أنواع الرضوان ومن جملتها اللقاء فلا إشكال.

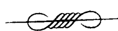
قال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: في هذا الحديث: جواز إضافة المنزل لساكنه، وإن لم يكن في الأصل له فإن الجنة ملك الله عز وجل، وقد أضافها لساكنها بقوله: يا أهل الجنة، قال: والحكمة في ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو أخبر به قبل الاستقرار لكان خبرًا من باب علم اليقين، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة :١٧] .

قال: ويستفاد من هذا: أنه لا ينبغي أن يخاطب أحد بشيء حتى يكون عنده ما يستدل به عليه ولو على بعضه، وكذا ينبغي للمرء أن لا يأخذ من الأمور إلا قدر ما يحمله.

وفيه: الأدب في السؤال لقولهم: وأي شيء أفضل من ذلك؛ لأنهم لم يعلموا شيئًا أفضل مما هم فيه فاستفهموا عما لا علم لهم به.

وفيه: أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو في رضا الله سبحانه وتعالى، وكل شيء ما عداه وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره.

وفيه: دليل على رضا كل من أهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم وتنويع درجاتهم؛ لأن الكل أجابوا بلفظ واحد وهو «أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك» وبالله التوفيق.



لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟

(١٠٣) عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ بِي»[(١)].

* * *

(١٠٤) عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ»[(٢)].

الشرح[(٣)]:

حديث أنس «يجاء بالكافر» ذكره من رواية هشام الدستوائي ومن رواية سعيد وهو ابن أبي عروبة كلاهما عن قتادة وساقه بلفظ سعيد، وأما لفظ هشام فأخرجه مسلمٌ والإسماعيلي من طرقٍ عن معاذ بن هشام عن أبيه بلفظ: «يقال للكافر»[(٤)] والباقي مثله وهو بضم أول يجاء ويقال، وسيأتي بعد باب في «باب صفة الجنة والنار» من رواية أبي عمران الجوني عن أنس التصريح بأن الله سبحانه هو الذي يقول له ذلك ولفظه: «يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيءٍ أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم» ورواه مسلم والنسائي من طريق ثابت عن أنسٍ، وظاهر سياقه أن ذلك يقع للكافر بعد أن يدخل النار ولفظه: «يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك؟ فيقول: شر مضجعٍ، فيقال له: هل تفتدي بقراب الأرض ذهبًا؟ فيقول نعم يا رب، فيقال له: كذبت»[(٥)] ويحتمل أن يراد بالمضجع هنا مضجعه في القبر فيلتئم مع الروايات الأخرى.

قوله: (فيقال له) زاد مسلمٌ في رواية سعيدٍ «كذبت».

قوله: (قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك) في رواية أبي عمران فيقول: «أردت منك ما هو

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٥٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، حديث (٦٥٣٨).

(٣) فتح الباري (١١/٤٠٢).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي» وفي رواية ثابت **«قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل فيؤمر به إلى النار»**.

قال عياض: يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] الآية فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمنٌ، ومن لم يوف به فهو الكافر، فمراد الحديث: أردت منك حين أخذت الميثاق فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك، ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب، والمعنى أمرتك فلم تفعل، لأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد، واعترض بعض المعتزلة بأنه كيف يصح أن يأمر بما لا يريد؟ والجواب أن ذلك ليس بممتنعٍ ولا مستحيلٍ.

وقال المازري: مذهب أهل السنة أن الله تعالى أراد إيمان المؤمن وكفر الكافر، ولو أراد من الكافر الإيمان لآمن، يعني لو قدره عليه لوقع.

وقال أهل الاعتزال: بل أراد من الجميع الإيمان، فأجاب المؤمن وامتنع الكافر، فحملوا الغائب على الشاهد لأنهم رأوا أن مريد الشر شريرٌ والكفر شر فلا يصح أن يريده الباري.

وأجاب أهل السنة عن ذلك بأن الشر شر في حق المخلوقين، وأما في حق الخالق فإنه يفعل ما يشاء، وإنما كانت إرادة الشر شرا لنهي الله عنه، والباري سبحانه ليس فوقه أحدٌ يأمره فلا يصح أن تقاس إرادته على إرادة المخلوقين، وأيضًا فالمريد لفعلٍ ما إذا لم يحصل ما أراده آذن ذلك بعجزه وضعفه والباري تعالى لا يوصف بالعجز والضعف فلو أراد الإيمان من الكافر ولم يؤمن لآذن ذلك بعجزٍ وضعفٍ، تعالى الله عن ذلك.

وقد تمسك بعضهم بهذا الحديث المتفق على صحته، والجواب عنه ما تقدم، واحتجوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] وأجيبوا بأنه من العام المخصوص بمن قضى الله له الإيمان، فعباده على هذا: الملائكة ومؤمنو الإنس والجن.

وقال آخرون: الإرادة معنى الرضا، ومعنى قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ﴾ [الزمر:٧] أي لا يشكره لهم ولا يثيبهم عليه، فعلى هذا فهي صفة فعلٍ.

وقيل: معنى الرضا أنه لا يرضاه دينًا مشروعًا لهم.

وقيل: الرضا صفةٌ وراء الإرادة.

وقيل: الإرادة تطلق بإزاء شيئين إرادة تقدير وإرادة رضًا، والثانية أخص من الأولى والله أعلم.

وقيل: الرضا من الله إرادة الخير كما أن السخط إرادة الشر.

وقال النووي: قوله: «**فيقال له كذبت**» معناه لو رددناك إلى الدنيا لما افتديت لأنك سئلت أيسر من ذلك فأبيت، ويكون من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨] وبهذا يجتمع معنى هذا الحديث مع قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ [الرعد:١٨].

قال: وفي الحديث من الفوائد: جواز قول الإنسان يقول الله خلافًا لمن كره ذلك، وقال: إنما يجوز قال الله تعالى وهو قولٌ شاذ مخالفٌ لأقوال العلماء من السلف والخلف، وقد تظاهرت به الأحاديث. وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

* * *

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ

(١٠٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ»، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله تعالى: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه) هكذا روى يحيى بن عمارة عن أبي سعيد الخدري آخر الحديث ولم يذكر أوله، ورواه عطاء ابن يسار عن أبي سعيد مطولاً وأوله الرؤية وكشف الساق، والعرض، ونصب الصراط والمرور عليه، وسقوط من يسقط، وشفاعة المؤمنين في إخوانهم، وقول الله: أخرجوا من عرفتم صورته، وفيه من في قلبه مثقال دينار وغير ذلك، وفيه قول الله تعالى: «شفعت الملائكة والنبيون والمؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد صاروا حممًا»، وقد ساق المصنف أكثر في تفسير سورة النساء، وساقه بتمامه في كتاب التوحيد، وسأذكر فوائده في شرح حدث الباب الذي يلي هذا مع الإشارة إلى ما تضمنته هذه الطريق إن شاء الله تعالى. وتقدمت لهذه الرواية طريق أخرى في كتاب الإيمان في «باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال» وتقدم ما يتعلق بذلك هناك.

واستدل الغزالي بقوله: «من كان في قلبه» على نجاة من أيقن بذلك وحال بينه وبين النطق به الموت، وقال في حق من قدر على ذلك فأخر فمات: يحتمل أن كون امتناعه عن النطق بمنزلة امتناعه عن الصلاة فيكون غير مخلدٍ في النار، ويحتمل غير ذلك.

ورجح غيره الثاني فيحتاج إلى تأويل قوله: «في قلبه» فيقدر فيه محذوف تقديره منضما إلى النطق به مع القدرة عليه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٦٠).
(٢) فتح الباري (١١/ ٤٣٠).

اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا

(١٠٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً»[(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولاً فيها) قال عياض: جاء نحو هذا في آخر من يجوز على الصراط يعني كما يأتي في آخر الباب الذي يليه قال: فيحتمل أنهما اثنان إما شخصان وإما نوعان أو جنسان، وعبر فيه بالواحد عن الجماعة لاشتراكهم في الحكم الذي كان سبب ذلك، ويحتمل أن يكون الخروج هنا بمعنى الورود وهو الجواز على الصراط فيتحد المعنى إما في شخص واحد أو أكثر.

قلت: وقع عند مسلم من رواية أنس عن ابن مسعود ما يقوي الاحتمال الثاني ولفظه: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك»[(٣)] وعند الحاكم من طريق مسروق عن ابن مسعود ما يقتضي الجمع[(٤)].

قوله: (حبوًا) بمهملة وموحدة أي زحفًا وزنه ومعناه. ووقع بلفظ: «زحفًا» في رواية الأعمش عن إبراهيم عند مسلم.

قوله: (فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا) وفي رواية الأعمش

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٧١).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٤٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجًا، برقم (١٨٧).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٦٣٢، ٦٣٣)، برقم (٨٧٥١)، والحديث صححه الألباني كما في «تخريج الطحاوية»، (ص٤٦٩).

«فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه - أي الدنيا - فيقول: نعم، فيقال له: تمن، فيتمنى».

قوله: (أتسخر مني أو تضحك مني) وفي رواية الأعمش: «أتسخر بي» ولم يشك، وكذا لمسلم من رواية منصور، وله من رواية أنس عن ابن مسعود: «أتستهزئ بي وأنت رب العالمين».

وقال المازري: هذا مشكل، وتفسير الضحك بالرضا لا يتأتى هنا، ولكن لما كانت عادة المستهزئ أن يضحك من الذي استهزأ به ذكر معه، وأما نسبة السخرية إلى الله تعالى فهي على سبيل المقابلة وإن لم يذكره في الجانب الآخر لفظًا لكنه لما ذكر أنه عاهد مرارًا وغدر حل فعله محل المستهزئ وظن أن في قول الله له: «ادخل الجنة» وتردده إليها وظنه أنها ملأى نوعًا من السخرية به جزاء على فعله فسمى الجزاء على السخرية سخرية، ونقل عياض عن بعضهم أن ألف أتسخر مني ألف النفي كهي في قوله تعالى: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ [الأعراف:١٥٥] على أحد الأقوال، قال: وهو كلام متدللٍ علم مكانه من ربه وبسطه له بالإعطاء. وجوز عياض أن الرجل قال ذلك وهو غير ضابط لما قال إذ وله عقله من السرور بما لم يخطر بباله، ويؤيده أنه قال في بعض طرقه عند مسلم لما خلص من النار «لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين»[1] وقال القرطبي في «المفهم»: أكثروا في تأويله، وأشبه ما قيل فيه أنه استخفه الفرح وأدهشه فقال ذلك، وقيل: قال ذلك لكونه خاف أن يجازى على ما كان منه في الدنيا من التساهل في الطاعات وارتكاب المعاصي كفعل الساخرين، فكأنه قال: أتجازيني على ما كان مني؟ فهو كقوله سخر الله منهم وقوله: الله يستهزئ بهم أي: ينزل بهم جزاء سخريتهم واستهزائهم وسيأتي بيان الاختلاف في اسم هذا الرجل في آخر شرح حديث الباب الذي يليه.

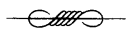
قوله: (ضحك حتى بدت نواجذه) بنونٍ وجيمٍ وذالٍ معجمةٍ جمع ناجذٍ، تقدم ضبطه في كتاب الصيام، وفي رواية ابن مسعود «فضحك ابن مسعود فقالوا: مم تضحك؟ فقال: هكذا فعل رسول الله ﷺ من ضحك رب العالمين حين قال الرجل: أتستهزئ مني؟ قال: لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر» قال البيضاوي: نسبة الضحك إلى الله تعالى مجاز بمعنى الرضا، وضحك النبي ﷺ على حقيقته، وضحك ابن مسعود على سبيل التأسي.

قوله: (وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة) قال الكرماني: ليس هذا من تتمة كلام رسول الله ﷺ بل هو من كلام الراوي نقلاً عن الصحابة أو عن غيرهم من أهل العلم.

قلت: قائل «وكان يقال» هو الراوي كما أشار إليه، وأما قائل المقالة المذكورة فهو النبي ﷺ، ثبت ذلك في أول حديث أبي سعيد عند مسلم ولفظه: «أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله

(١) سبق تخريجه.

وجهه عن النار» (١) وساق القصة، وفي رواية له من حديث المغيرة أن موسى عليه السلام سأل ربه عن ذلك، ولمسلم أيضًا من طريق همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقال له تمن فيتمنى ويتمنى فيقال إن لك ما تمنيت ومثله معه» (٢).



(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٨٨).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٢).

لَا يَأْتِ ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ

(١٠٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَأْتِ ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ الْقَدَرُ، وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»[١].

* * *

(١٠٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ»[٢].

الشرح[٣]:

قوله في حديث أبي هريرة: (لا يأتي ابن آدم النذر بشيء) ابن آدم بالنصب مفعولٌ مقدمٌ والنذر بالرفع هو الفاعل.

قوله: (لم أكن قدرته) هذا من الأحاديث القدسية لكن سقط منه التصريح بنسبته إلى الله عز وجل، وقد أخرجه أبو داود في رواية ابن العبد عنه من رواية مالك[٤]، والنسائي وابن ماجه من رواية سفيان الثوري كلاهما عن أبي الزناد[٥]، وأخرجه مسلم من رواية عمرو بن أبي، وعمر عن الأعرج[٦]، وتقدم في أواخر كتاب القدر من طريق همام عن أبي هريرة ولفظه: «لم يكن قدرته» وفي رواية للنسائي «لم أقدره عليه»[٧] وفي رواية ابن ماجه «إلا ما قدر له، ولكن يغلبه النذر فأقدر

---

(١) رواه البخاري، كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، حديث (٦٦٠٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، وقوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان :٧] حديث (٦٦٩٤).

(٣) فتح الباري (١١/ ٥٨٠).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الأيمان والنذور، باب: النهي عن النذور، برقم (٣٢٨٨)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

(٥) أخرجه النسائي، في كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخره، برقم (٣٨٠٤)، وابن ماجه، (٢١٢٣)، والحديث صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٦) أخرجه مسلم، كتاب: النذر، باب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا، برقم (١٦٤٠).

(٧) سبق تخريجه.

له» (١) وفي رواية مالك «بشيء لم يكن قدر له، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قدرته» وفي رواية مسلم «لم يكن الله قدره له» (٢) وكذا وقع الاختلاف في قوله: «فيستخرج الله به من البخيل» ففي رواية مالك «فيستخرج به» على البناء لما لم يسم فاعله، وكذا في رواية ابن ماجه والنسائي وعبدة «ولكنه شيء يستخرج به من البخيل» وفي رواية همام «ولكن يلقيه النذر وقد قدرته له أستخرج به من البخيل» وفي رواية مسلم «ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج» (٣).

قوله: (ولكن يلقيه النذر إلى القدر) تقدم البحث فيه في «باب إلقاء العبد النذر إلى القدر» وأن هذه الرواية مطابقة للترجمة المشار إليها، قال الكرماني: فإن قيل القدر هو الذي يلقيه إلى النذر قلنا تقدير النذر غير تقدير الإلقاء فالأول يلجئه إلى النذر، والنذر يلجئه إلى الإعطاء.

قوله: (فيستخرج الله) فيه التفاتٌ ونسق الكلام أن يقال فأستخرج ليوافق قوله أولاً «قدرته» وثانيًا «فيؤتيني».

قوله: (فيؤتيني عليه ما لم يكن عليه من قبل) كذا للأكثر أي يعطيني، ووقع في رواية الكشميهني «يؤتني» بالجزم ووجهت بأنها بدلٌ من قوله: «يكن» فجزمت بلم، ووقع في رواية مالك «يؤتي» في الموضعين، وفي رواية ابن ماجه: «فييسر عليه ما لم يكن ييسر عليه من قبل ذلك» وفي رواية مسلم «فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج» وهذه أوضح الروايات: قال البيضاوي: عادة الناس تعليق النذر على تحصيل منفعة أو دفع مضرةٍ، فنهي عنه لأنه فعل البخلاء؛ إذ السخي إذا أراد أن يتقرب بادر إليه والبخيل لا تطاوعه نفسه بإخراج شيء من يده إلا في مقابلة عوض يستوفيه أولاً فيلتزمه في مقابلة ما يحصل له، وذلك لا يغني من القدر شيئًا فلا يسوق إليه خيرًا، لم يقدر له ولا يرد عنه شرا قضي عليه، لكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه.

قال ابن العربي: فيه حجة على وجوب الوفاء بما التزمه الناذر، لأن الحديث نص على ذلك بقوله: «يستخرج به» فإنه لو لم يلزمه إخراجه لما تم المراد من وصفه بالبخل من صدور النذر عنه؛ إذ لو كان مخيرًا في الوفاء لاستمر لبخله على عدم الإخراج.

وفي الحديث: الرد على القدرية كما تقدم تقريره في الباب المشار إليه، وأما ما أخرجه

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

الترمذي من حديث أنس «إن الصدقة تدفع ميتة السوء» [(١)] فظاهره يعارض قوله: «إن النذر لا يرد القدر» [(٢)] ويجمع بينهما بأن الصدقة تكون سببًا لدفع ميتة السوء، والأسباب مقدرة كالمسببات، وقد قال ﷺ لمن سأله عن الرقى هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله» أخرجه أبو داود والحاكم [(٣)]، ونحوه قول عمر: «نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله» كما تقدم تقريره في كتاب الطب، ومثل ذلك مشروعية الطب والتداوي.

وقال ابن العربي: النذر شبيه بالدعاء، فإنه لا يرد القدر، ولكنه من القدر أيضًا، ومع ذلك فقد نهي عن النذر وندب إلى الدعاء، والسبب فيه أن الدعاء عبادةٌ عاجلةٌ، ويظهر به التوجه إلى الله والتضرع له والخضوع، وهذا بخلاف النذر فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول وترك العمل إلى حين الضرورة والله أعلم.

وفي الحديث: أن كل شيء يبتدئه المكلف من وجوه البر أفضل مما يلتزمه بالنذر قاله الماوردي.

وفيه: الحث على الإخلاص في عمل الخير وذم البخل، وأن من اتبع المأمورات واجتنب المنهيات لا يعد بخيلاً.

(تنبية): قال ابن المنير: مناسبة أحاديث الباب لترجمة الوفاء بالنذر قوله: «يستخرج به من البخيل» وإنما يخرج البخيل ما تعين عليه إذ لو أخرج ما يتبرع به لكان جوادًا. وقال الكرماني: يؤخذ معنى الترجمة من لفظ: «يستخرج».

قلت: ويحتمل أن يكون البخاري أشار إلى تخصيص النذر المنهي عنه بنذر المعاوضة واللجاج بدليل الآية، فإن الثناء الذي تضمنته محمول على نذر القربة كما تقدم أول الباب، فيجمع بين الآية والحديث بتخصيص كل منهما بصورةٍ من صور النذر والله أعلم.



---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة، برقم (٦٦٤)، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف جامع الترمذي».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، (٤/٤٤٦)، برقم (٨٢٢٣).

أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي

(١٠٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» (١).

الشرح (٢):

قوله: (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي) أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف؛ لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»** وهو عند مسلم من حديث جابر (٣). وأما قبل ذلك ففي الأول أقوال ثالثها الاعتدال وقال ابن أبي جمرة: المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله: (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه).

وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده، وقال: ويؤيده قوله في الحديث الآخر: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور **«فليظن بي عبدي ما شاء»** قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] حديث (٧٤٠٥).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (٢٨٧٧).

قوله: (وأنا معه إذا ذكرني) أي: بعلمي وهو كقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه :٤٦] والمعية المذكورة أخص من المعية التي في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ – إلى قوله – ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ وقال ابن أبي جمرة معناه فأنا معه حسب ما قصد من ذكره لي قال: ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما أو بامتثال الأمر واجتناب النهي، قال والذي يدل عليه الإخبار أن الذكر على نوعين:

أحدهما: مقطوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر.

والثاني: على خطر.

قال: والأول يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة :٧] والثاني من الحديث الذي فيه «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا» لكن إن كان في حال المعصية يذكر الله بخوفٍ ووجلٍ مما هو فيه فإنه يرجى له.

قوله: (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) أي إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا. وقال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة :١٥٢] ومعناه اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت :٤٥] أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف آمنه أو مستوحش آنسه قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد :٢٨] .

قوله: (وإن ذكرني في ملأ) بفتح الميم واللام مهموز أي جماعة (ذكرته في ملأ خير منهم).

قال بعض أهل العلم: يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري والتقدير: إن ذكرني في نفسه ذكرته بثوابٍ لا أطلع عليه أحدًا وإن ذكرني جهرًا ذكرته بثوابٍ أطلع عليه الملأ الأعلى.

وقال ابن بطال: هذا نص في أن الملائكة أفضل من بني آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف :٢٠] والخالد أفضل من الفاني فالملائكة أفضل من بني آدم وتعقب بأن المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحي بني آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر فمنهم من فاضل بين الجنسين فقالوا حقيقة الملك أفضل من حقيقة الإنسان؛ لأنها نورانية وخيرة ولطيفة مع سعة العلم والقوة وصفاء الجوهر وهذا لا يستلزم تفضيل كل فرد على كل فرد لجواز أن يكون في بعض الأناسي ما في ذلك وزيادة ومنهم من خص الخلاف بصالحي البشر والملائكة ومنهم من خصه بالأنبياء ثم منهم من فضل الملائكة على

غير الأنبياء ومنهم من فضلهم على الأنبياء أيضًا إلا على نبينا محمد ﷺ.

ومن أدلة تفضيل النبي على الملك: أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء:٦٢] ومنها قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] لما فيه من الإشارة إلى العناية به ولم يثبت ذلك للملائكة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣] ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية:١٣] فدخل في عمومه الملائكة، والمسخر له أفضل من المسخر؛ ولأن طاعة الملائكة بأصل الخلقة وطاعة البشر غالبًا مع المجاهدة للنفس لما طبعت عليه من الشهوة والحرص والهوى والغضب، فكانت عبادتهم أشق، وأيضًا فطاعة الملائكة بالأمر الوارد عليهم وطاعة البشر بالنص تارة وبالاجتهاد تارة والاستنباط تارة، فكانت أشق؛ ولأن الملائكة سلمت من وسوسة الشياطين وإلقاء الشبه والإغواء الجائزة على البشر ولأن الملائكة تشاهد حقائق الملكوت والبشر لا يعرفون ذلك إلا بالإعلام فلا يسلم منهم من إدخال الشبهة من جهة تدبير الكواكب وحركة الأفلاك إلا الثابت على دينه ولا يتم ذلك إلا بمشقةٍ شديدة ومجاهدات كثيرة.

وأما أدلة الآخرين فقد قيل: إن حديث الباب أقوى ما استدل به لذلك للتصريح بقوله فيه في ملأ خير منهم والمراد بهم الملائكة، حتى قال بعض الغلاة في ذلك وكم من ذاكر لله في ملأ فيهم محمد ﷺ ذكرهم الله في ملأ خير منهم.

وأجاب بعض أهل السنة: بأن الخبر المذكور ليس نصا ولا صريحًا في المراد بل يطرقه احتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من الملأ الذاكر الأنبياء والشهداء فإنهم أحياء عند ربهم فلم ينحصر ذلك في الملائكة.

وأجاب آخر: وهو أقوى من الأول بأن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معًا فالجانب الذي فيه رب العزة خير من الجانب الذي ليس هو فيه بلا ارتياب فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع وهذا الجواب ظهر لي وظننت أنه مبتكر. ثم رأيته في كلام القاضي كمال الدين بن الزملكاني في الجزء الذي جمعه في الرفيق الأعلى فقال: إن الله قابل ذكر العبد في نفسه بذكره له في نفسه، وقابل ذكر العبد في الملأ بذكره له في الملأ فإنما صار الذكر في الملإ الثاني خيرًا من الذكر في الأول؛ لأن الله وهو الذاكر فيهم والملأ الذين يذكرون والله فيهم أفضل من الملإ الذين يذكرون وليس الله فيهم.

ومن أدلة المعتزلة: تقديم الملائكة في الذكر في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٩٨] - ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨] - ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥] وتعقب بأن مجرد التقديم في الذكر لا

يستلزم التفضيل؛ لأنه لم ينحصر فيه بل له أسباب أخرى كالتقديم بالزمان في مثل قوله: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأحزاب: ٧] فقدم نوحًا على إبراهيم لتقدم زمان نوح مع أن إبراهيم أفضل ومنها قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] وبالغ الزمخشري فادعى أن دلالتها لهذا المطلوب قطعية بالنسبة لعلم المعاني فقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] أي ولا من هو أعلى قدرًا من المسيح، وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش، كجبريل وميكائيل وإسرافيل، قال: ولا يقتضي علم المعاني غير هذا من حيث إن الكلام إنما سيق للرد على النصارى لغلوهم في المسيح، فقيل لهم: لن يترفع فيه المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع درجة منه انتهى ملخصًا.

وأجيب: بأن الترقي لا يستلزم التفضيل المتنازع فيه وإنما هو بحسب المقام، وذلك أن كلا من الملائكة والمسيح عبد من دون الله، فرد عليهم بأن المسيح الذي تشاهدونه لم يتكبر عن عبادة الله، وكذلك من غاب عنكم من الملائكة لا يتكبر، والنفوس لما غاب عنها أهيب ممن تشاهده؛ ولأن الصفات التي عبدوا المسيح لأجلها من الزهد في الدنيا والاطلاع على المغيبات وإحياء الموتى بإذن الله موجودة في الملائكة، فإن كانت توجب عبادته فهي موجبة لعبادتهم بطريق الأولى، وهم مع ذلك لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى، ولا يلزم من هذا الترقي ثبوت الأفضلية المتنازع فيها، وقال البيضاوي احتج بهذا العطف من زعم أن الملائكة أفضل من الأنبياء، وقال هي مساقة للرد على النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية، وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه، وجوابه أن الآية سيقت للرد على عبدة المسيح والملائكة، فأريد بالعطف المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل، كقول القائل أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرءوس، وعلى تقدير إرادة التفضيل فغايته تفضيل المقربين ممن حول العرش، بل من هو أعلى رتبة منهم على المسيح، وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقًا.

وقال الطيبي: لا تتم لهم الدلالة إلا إن سلم أن الآية سيقت للرد على النصارى فقط فيصح: لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع منه، والذي يدعي ذلك يحتاج إلى إثبات أن النصارى تعتقد تفضيل الملائكة على المسيح، وهم لا يعتقدون ذلك بل يعتقدون فيه الإلهية فلا يتم استدلال من استدل به، قال وسياقه الآية من أسلوب التتميم والمبالغة لا للترقي، وذلك أنه قدم قوله: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١] فقرر الوحدانية والمالكية والقدرة التامة، ثم أتبعه بعدم الاستنكاف، فالتقدير لا يستحق من اتصف بذلك أن يستكبر عليه الذي تتخذونه أيها النصارى إلهًا لاعتقادكم فيه الكمال ولا الملائكة الذين اتخذها غيركم آلهة لاعتقادهم فيهم الكمال.

قلت: وقد ذكر ذلك البغوي ملخصًا، ولفظه لم يقل ذلك رفعًا لمقامهم على مقام عيسى بل ردا على الذين يدعون أن الملائكة آلهة فرد عليهم كما رد على النصارى الذين يدعون التثليث، ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام :٥٠] فنفى أن يكون ملكًا، فدل على أنهم أفضل، وتعقب بأنه إنما نفى ذلك؛ لكونهم طلبوا منه الخزائن وعلم الغيب؛ وأن يكون بصفة الملك من ترك الأكل والشرب والجماع، وهو من نمط إنكارهم أن يرسل الله بشرًا مثلهم فنفى عنه أنه ملك، ولا يستلزم ذلك التفضيل، ومنها أنه سبحانه لما وصف جبريل ومحمدًا، قال في جبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة :٤٠] وقال في حق النبي ﷺ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير :٢٢] وبين الوصفين بونٌ بعيدٌ، وتعقب بأن ذلك إنما سيق للرد على من زعم أن الذي يأتيه شيطان فكان وصف جبريل بذلك تعظيمًا للنبي ﷺ فقد وصف النبي ﷺ في غير هذا الموضع بمثل ما وصف به جبريل هنا وأعظم منه، وقد أفرط الزمخشري في سوء الأدب هنا، وقال كلامًا يستلزم تنقيص المقام المحمدي، وبالغ الأئمة في الرد عليه في ذلك وهو من زلاته الشنيعة.

قوله: (وإن تقرب إلي شبرًا) في رواية المستملي والسرخسي «بشبر» بزيادة موحدة في أوله، وسيأتي شرحه في أواخر «كتاب التوحيد» في باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه.

* * *

(١١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (أنا عند ظن عبدي بي) أي أنا أعامله على حسب ظنه بي وأفعل به ما يتوقعه مني من خيرٍ أو شر، والمراد الحث على تغليب الرجاء على الخوف وحسن الظن بالله كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله». ويجوز أن يراد بالظن اليقين، والمعنى: أنا عند يقينه بي وعلمه بأن مصيره إلي وحسابه علي وأن ما قضيت به له أو عليه من خيرٍ أو شر لا مرد له. لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، قاله الطيبي.

---

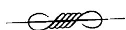
(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حسن الظن بالله، حديث (٢٣٨٨).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٥٣).

وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده قال ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة».

قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه، موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور، فيظن بي عبدي ما شاء.

قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة، وهو يجر إلى مذهب المرجئة (وأنا معه إذا دعاني) أي بعلمٍ، وهو كقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه :٤٦] .

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ) وأخرجه الشيخان والنسائي وابن ماجه [١] .



(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران :٢٨] ، برقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى، برقم (٢٦٧٥)، والنسائي في «الكبرى»، (٤/ ٤١٢)، برقم (٧٧٣٠)، وابن ماجه (٣٨٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ

(١١١) عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا - أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ فَاغْفِرْهُ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا - قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ - آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ» (١).

الشرح (٢):

قوله: (إن عبدًا أصاب ذنبًا وربما قال أذنب ذنبًا) كذا تكرر هذا الشك في هذا الحديث من هذا الوجه، ولم يقع في رواية حماد بن سلمة ولفظه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال «أذنب عبد ذنبًا» وكذا في بقية المواضع.

قوله: (فقال ربه أعلم) بهمزة استفهام والفعل الماضي.

قوله: (ويأخذ به) أي يعاقب فاعله، وفي رواية حماد «ويأخذ بالذنب».

قوله: (ثم مكث ما شاء) أي من الزمان وسقط هذا من رواية حمادٍ.

قوله: (ثم أصاب ذنبًا) في رواية حمادٍ ثم عاد فأذنب.

قوله: (في آخره غفرت لعبدي) في رواية حماد «اعمل ما شئت فقد غفرت لك» قال ابن بطال في هذا الحديث: إن المصر على المعصية في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له مغلبًا الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده أن له ربا خالقًا يعذبه ويغفر له واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه قوله: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ولا حسنة أعظم من التوحيد.

فإن قيل: إن استغفاره ربه توبة منه قلنا ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة، وقد يطلبها

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث (٧٥٠٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٧١).

المصر والتائب ولا دليل في الحديث على أنه تائب مما سأل الغفران عنه؛ لأن حد التوبة الرجوع عن الذنب والعزم أن لا يعود إليه والإقلاع عنه والاستغفار بمجرده لا يفهم منه ذلك انتهى.

وقال غيره: شروط التوبة ثلاثة: الإقلاع، والندم، والعزم على أن لا يعود، والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنى الندم بل هو إلى معنى الإقلاع أقرب.

وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه فإنه يستلزم الإقلاع عنه والعزم على عدم العود فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه ومن ثم جاء الحديث: «**الندم توبة**» وهو حديث حسن من حديث ابن مسعود أخرجه ابن ماجه وصححه الحاكم وأخرجه ابن حبان من حديث أنس وصححه [1]، وقد تقدم البحث في ذلك في باب التوبة من أوائل «كتاب الدعوات» مستوفًى.

وقال القرطبي في المفهم: يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه؛ لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارنًا للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم فهو ترجمة للتوبة، ويشهد له حديث: خياركم كل مفتن تواب، ومعناه الذي يتكرر منه الذنب والتوبة فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة لا من قال أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية، فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار.

قلت: ويشهد له ما أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس مرفوعًا «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه**» [2] والراجح أن قوله: «**والمستغفر**» إلى آخره موقوف وأوله عند ابن ماجه والطبراني من حديث ابن مسعود وسنده حسن [3]، وحديث «**خياركم كل مفتن تواب**» ذكره في مسند الفردوس عن علي [4] قال القرطبي: وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه؛ لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٢٧١)، برقم (٧٦١٢)، وابن حبان في صحيحه، (٢/ ٣٧٧)، برقم (٦١٢)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب»، (٥/ ٤٣٦)، برقم (٧١٧٨)، من طريق ابن أبي الدنيا، والحديث ضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع»، (٢٤٩٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٠)، والطبراني في «الكبير»، (١٠/ ١٥٠)، برقم (١٠٢٨١)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٤) أخرجه الديلمي في «الفردوس»، (٢/ ١٧٣)، برقم (٢٨٦٢)، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة»، (٢٢٤١).

نقض التوبة؛ لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها؛ لأنه انضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه.

قال النووي في الحديث: إن الذنوب ولو تكررت مائة مرة بل ألفًا وأكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته، وقوله: «اعمل ما شئت» معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك، وذكر في «كتاب الأذكار» عن الربيع بن خيثم أنه قال: لا تقل: أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبًا وكذبًا إن لم تفعل بل قل: اللهم اغفر لي وتب علي.

قال النووي: هذا حسن، وأما كراهية أستغفر الله وتسميته كذبًا فلا يوافق عليه؛ لأن معنى أستغفر الله أطلب مغفرته وليس هذا كذبًا، قال: ويكفي في رده حديث ابن مسعود بلفظ: «**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف**»، أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الحاكم [١].

قلت: هذا في لفظ (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم)، وأما (أتوب إليه) فهو الذي عنى الربيع رحمه الله أنه كذب، وهو كذلك إذا قاله ولم يفعل التوبة كما قال، وفي الاستدلال للرد عليه بحديث ابن مسعود نظر لجواز أن يكون المراد منه ما إذا قالها وفعل شروط التوبة، ويحتمل أن يكون الربيع قصد مجموع اللفظين لا خصوص أستغفر الله فيصح كلامه كله والله أعلم.

ورأيت في الحلبيات للسبكي الكبير: الاستغفار طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، فالأول فيه نفع؛ لأنه خير من السكوت؛ ولأنه يعتاد قول الخير، والثاني نافع جدا، والثالث أبلغ منهما لكنهما لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة، فإن العاصي المصر يطلب المغفرة ولا يستلزم ذلك وجود التوبة منه، إلى أن قال: والذي ذكرته من أن معنى الاستغفار هو غير معنى التوبة هو بحسب وضع اللفظ؛ لكنه غلب عند كثير من الناس أن لفظ أستغفر الله معناه التوبة فمن كان ذلك معتقده فهو يريد التوبة لا محالة، ثم قال: وذكر بعض العلماء أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٣] والمشهور أنه لا يشترط.



(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار، برقم (١٥١٧)، والترمذي، (٣٥٧٧)، والحاكم في «المستدرك»، (١/ ٦٩٢)، برقم (١٨٨٤)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا

(١١٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[(١)].

الشرح[(٢)]:

قوله: (عن أنس عن النبي ﷺ) هذه رواية قتادة وخالفه سليمان التيمي كما في الحديث الثاني، فقال: «عن أنس عن أبي هريرة» فالأول مرسل صحابي.

قوله: (يرويه عن ربه عز وجل) في رواية الإسماعيلي «من طريق محمد بن جعفر ومن طريق حجاج بن محمد كلاهما عن شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: قال ربكم»، وفي رواية أبي داود الطيالسي «عن شعبة»[(٣)] ومن طريقه أخرجه أبو نعيم «يقول الله»[(٤)] قال الإسماعيلي: قوله: «قال ربكم» وقوله: «يرويه عن ربكم» سواء أي في المعنى.

قوله: (إذا تقرب العبد إلي شبرًا) في رواية الإسماعيلي «مني» وفي رواية الطيالسي «إن تقرب مني عبدي» والأصل هنا الإتيان بمن، لكن يفيد استعمال «إلى» بمعنى الانتهاء فهو أبلغ.

قوله: (تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إلي) في رواية الكشميهني «مني» وكذا للإسماعيلي والطيالسي.

قوله: (ذراعًا تقربت منه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) لم يقع «وإذا أتاني» إلخ في رواية الطيالسي.

قال ابن بطال: وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بالتقرب إليه ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام وذلك في حقه تعالى محال فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرًا وذراعًا وإتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي وروايته عن ربه، حديث (٧٥٣٦).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٢١٥).

(٣) أخرجه الطيالسي في «المسند»، (١/ ٦٢)، برقم (٤٦٤)، وقد صححه الألباني كما في «المشكاة» (٢٢٦٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، (٧/ ٢٦٨).

مفترضاته ونوافله ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشي عبارة عن إثباته على طاعته وتقربه من رحمته، ويكون قوله: أتيته هرولة أي أتاه ثوابي مسرعًا، ونقل عن الطبري أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلًا على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأن الكرامة مجاوزة حده إلى ما يثيبه الله تعالى.

وقال ابن التين: القرب هنا نظير ما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم:٩] فإن المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر.

قال: والهرولة ضرب من المشي السريع وهي دون العدو.

وقال صاحب المشارق: المراد بما جاء في هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايته وتوفيقه والله أعلم بمراده.

وقال الراغب: قرب العبد من الله التخصيص بكثيرٍ من الصفات التي يصح أن يوصف الله بها وإن لم تكن على الحد الذي يوصف به الله تعالى نحو الحكمة والعلم والحلم والرحمة وغيرها، وذلك يحصل بإزالة القاذورات المعنوية من الجهل والطيش والغضب وغيرها بقدر طاقة البشر وهو قرب روحاني لا بدني، وهو المراد بقوله إذا تقرب العبد مني شبرًا تقربت منه ذراعًا.

* * *

(١١٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا - أَوْ بُوعًا -».

وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: سَمِعْتُ أَبِي سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (ربما ذكر النبي ﷺ قال إذا تقرب العبد مني) كذا للجميع ليس فيه الرواية عن الله تعالى، وكذا أخرجه الإسماعيلي من رواية محمد بن خلاد عن يحيى القطان، وأخرجه من رواية محمد بن أبي بكر المقدمي عن يحيى فقال فيه: «عن أبي هريرة ذكر النبي ﷺ قال: قال الله عز

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، حديث (٧٥٣٧).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٣١٥).

وجل» وقال مسلم: حدثنا محمد بن بشار حدثنا «يحيى» هو ابن سعيد وابن أبي عدي كلاهما عن سليمان فذكره بلفظ: «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل» [1].

قوله: (وإذا تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا أو بوعًا) كذا فيه بالشك وكذا في رواية مسلم والإسماعيلي، وقد تقدم في باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] بغير شك من رواية أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي»، فذكر الحديث وفيه: «وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا» [2]، ووقع ذكر الهرولة في حديث أبي ذر الذي أوله رفعه: «يقول الله تعالى من عمل حسنة فجزاؤه عشر أمثالها»، وفيه «ومن تقرب إليه شبرًا» الحديث، وفي آخره: «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة لم يشرك بي شيئًا جعلتها له مغفرة» أخرجه مسلم [3].

قال الخطابي: الباع معروف وهو قدر مد اليدين، وأما البوع: بفتح الموحدة فهو مصدر باع يبوع بوعًا، قال: ويحتمل أن يكون بضم الباء جمع باع مثل دار ودور، وأغرب النووي فقال الباع والبوع بالضم والفتح كله بمعنًى، فإن أراد ما قال الخطابي وإلا لم يصرح أحد بأن البوع بالضم والباع بمعنًى واحد.

وقال الباجي: الباع طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره وذلك قدر أربعة أذرع وهو من الدواب قدر خطوها في المشي وهو ما بين قوائمها، وزاد مسلم في روايته المذكورة «وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة» وفي رواية ابن أبي عدي عن سليمان التيمي عند الإسماعيلي: «وإذا تقرب مني بوعًا أتيته هرولة» [4].

قوله: (وقال معتمر) هو ابن سليمان التيمي المذكور وأراد بهذا التعليق بيان التصريح بالرواية فيه عن الله عز وجل وقد وصله مسلمٌ وغيره من رواية المعتمر كما سأنبه عليه.

قوله: (عن أبي هريرة عن ربه عز وجل) كذا سقط من رواية أبي ذر عن السرخسي والكشميهني لفظة: «عن النبي ﷺ» وثبتت للمستملي والباقين، وقال عياض عن الأصيلي لم يكن عن النبي ﷺ في كتاب الفربري، وقد ألحقها عبدوس.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، برقم (٢٦٧٥).

(٢) سبق تخريجه.

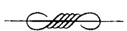
(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، برقم (٢٦٨٧).

(٤) سبق تخريجه.

قلت: وثبتت عند مسلم عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر ولم يسق لفظه لكنه أحال به على رواية محمد بن بشار [١] وأخرجه الإسماعيلي عن القاسم بن زكريا عن محمد بن عبد الأعلى فقال في سياقه: «عن أبيه حدثني أنس أن أبا هريرة حدثه عن النبي ﷺ أنه حدثه عن ربه تعالى»، ووصلها الإسماعيلي أيضًا من رواية عبيد الله بن معاذ حدثنا المعتمر قال: حدث أبي عن أنس أن أبا هريرة حدثه عن النبي ﷺ أنه حدثه عن ربه تبارك وتعالى، ووصله أبو نعيم من طريق إسحاق ابن إبراهيم الشهيد حدثنا المعتمر عن أبيه عن أنس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل، ووقع عند ابن حبان في صحيحه من طريق الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني حدثنا معتمر بن سليمان حدثني أبي أخبرني أنس بن مالك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله عز وجل: إذا تقرب العبد مني شبرًا»** [٢] فذكره وقال فيه: **«باعًا»** ولم يشك، وفي آخره **«أتيته هرولة»** وزاد **«وإن هرول سعيت إليه والله أسرع بالمغفرة»** قال البرقاني بعد أن أخرجه في مستخرجه من طريق الحسن بن سفيان: لم أجد هذه الزيادة في حديث غيره يعني محمد بن المتوكل انتهى، وهو صدوق عارف بالحديث عنده غرائب وأفراد وهو من شيوخ أبي داود في السنن والقول في معناه كما تقدم.

قال الخطابي: في مثل مضاعفة الثواب يقبل من أقبل نحو آخر قدر شبر فاستقبله بقدر ذراع، قال: ويحتمل أن يكون معناه التوفيق له بالعمل الذي يقربه منه.

وقال الكرماني: لما قامت البراهين على استحالة هذه الأشياء في حق الله تعالى وجب أن يكون المعنى: من تقرب إلي بطاعةٍ قليلة جازيته بثوابٍ كثير وكلما زاد في الطاعة أزيد في الثواب وإن كانت كيفية إتيانه بالطاعة بطريق التأني يكون كيفية إتياني بالثواب بطريق الإسراع، والحاصل أن الثواب راجح على العمل بطريق الكيف والكم ولفظ القرب والهرولة مجاز على سبيل المشاكلة أو الاستعارة أو إرادة لوازمها.



(١) من أطراف حديث مسلم الذي سبق تخريجه.
(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، (٢/ ١٠٠)، برقم (٣٧٦).

إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟

(١١٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟» [١].

* * *

(١١٥) عن أَنَس بْن مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟» [٢].

الشرح [٣]:

قوله: (لن يبرح الناس يتساءلون) في رواية المستملي «يسألون» وعند مسلم في رواية عروة عن أبي هريرة: «لا يزال الناس يتساءلون» [٤].

قوله: (هذا الله خالق كل شيء) في رواية عروة «هذا الله خلق الخلق» ولمسلم أيضًا وهو في رواية البخاري في بدء الخلق من رواية عروة أيضًا «يأتي الشيطان العبد أو أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك؟» [٥] وفي لفظ لمسلم «من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول الله» [٦] ولأحمد والطبراني من حديث خزيمة بن ثابت مثله [٧].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وماذا يفعل من وجدها، حديث (١٣٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، حديث (٧٢٩٦).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم (١٣٤).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفه إبليس وجنوده، برقم (٣٢٧٦).

(٦) من أطراف حديث مسلم المتقدم.

(٧) أخرجه أحمد، (٨١٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٥١، ٢٥٢)، برقم (١٨٩٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (١٦٥٦).

ولمسلم من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة «حتى يقولوا هذا الله خلقنا»[١] وله في رواية يزيد بن الأصم عنه «حتى يقولوا الله خلق كل شيء»[٢] وفي رواية المختار بن فلفل عن أنس عن رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إن أمتك لا تزال تقول ما كذا وكذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق» وللبزار من وجه آخر عن أبي هريرة «لا يزال الناس يقولون كان الله قبل كل شيء فمن قبله»[٣].

قال التوربشتي: قوله: «هذا الله خلق الخلق» يحتمل أن يكون هذا مفعولاً والمعنى حتى يقال هذا القول وأن يكون مبتدأ حذف خبره، أي هذا الأمر قد علم، وعلى اللفظ الأول يعني رواية أنس عند مسلم «هذا الله» مبتدأ وخبر أو «هذا» مبتدأ و «الله» عطف بيان و «خلق الخلق» خبره. قال الطيبي: والأول أولى، ولكن تقديره هذا مقرر معلوم وهو أن الله خلق الخلق وهو شيء، وكل شيء مخلوق فمن خلقه فيظهر ترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها.

قوله: (فمن خلق الله) في رواية بدء الخلق «من خلق ربك» وزاد فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته، وفي لفظ لمسلم «فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله»[٤] وزاد في أخرى و«رسله» ولأبي داود والنسائي من الزيادة «فقولوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ السورة ثم ليتفل عن يساره ثم ليستعذ»[٥] ولأحمد من حديث عائشة «فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله» فإن ذلك يذهب عنه[٦]، ولمسلم في رواية أبي سلمة عن أبي هريرة نحو الأول وزاد «فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب»[٧] فذكر سؤالهم عن ذلك وأنه رماهم بالحصا وقال: «صدق خليلي» وله في رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة «صدق الله ورسوله».

قال ابن بطال: في حديث أنس الإشارة إلى ذم كثرة السؤال لأنها تفضي إلى المحذور كالسؤال المذكور، فإنه لا ينشأ إلا عن جهل مفرط، وقد ورد بزيادةٍ من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يزال

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم (١٣٥).
(٢) من أطراف حديث مسلم المتقدم.
(٣) عزاه الهيثمي في «المجمع»، (١/ ٣٥) للبزار، وقال: وله في الصحيح هذا، ورجاله موثقون.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه أبو داود، كتاب: السنة، باب: في الجهمية، برقم (٤٧٢٢)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٦٩)، برقم (١٠٤٩٧) والحديث حسنه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».
(٦) أخرجه أحمد، (٢٥٦٧١)، وقد حسنه الألباني كما في «الصحيحة»، (١١٦).
(٧) من أطراف مسلم وقد سبق تخريجه.

الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله، فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله» وفي رواية «ذاك صريح الإيمان» ولعل هذا هو الذي أراد الصحابي فيما أخرجه أبو داود من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: «جاء ناس إلى النبي ﷺ من أصحابه فقالوا: يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلم به ما نحب أن لنا الدنيا وأنا تكلمنا به، فقال أو قد وجدتموه؟ ذاك صريح الإيمان» [(١)] ولابن أبي شيبة من حديث ابن عباس: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحدث نفسي بالأمر؛ لأن أكون حممة أحب إلي من أن أتكلم به قال: «الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة» [(٢)] ثم نقل الخطابي المراد بصريح الإيمان هو الذي يعظم في نفوسهم إن تكلموا به، ويمنعهم من قبول ما يلقي الشيطان، فلولا ذلك لم يتعاظم في أنفسهم حتى أنكروه، وليس المراد أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان بل هي من قبل الشيطان وكيده.

وقال الطيبي: قوله: «نجد في أنفسنا الشيء» أي القبيح، نحو ما تقدم في حديث أنس وأبي هريرة، وقوله: «يعظم أن نتكلم به» أي للعلم بأنه لا يليق أن نعتقده.

وقوله: «ذاك صريح الإيمان» أي علمكم بقبيح تلك الوساوس وامتناع قبولكم ووجودكم النفرة عنها دليل على خلوص إيمانكم، فإن الكافر يصر على ما في قلبه من المحال ولا ينفر عنه.

وقوله في الحديث الآخر: «فليستعذ بالله ولينته» أي يترك التفكر في ذلك الخاطر ويستعيذ بالله إذا لم يزل عنه التفكر، والحكمة في ذلك أن العلم باستغناء الله تعالى عن كل ما يوسوسه الشيطان أمر ضروري لا يحتاج للاحتجاج والمناظرة، فإن وقع شيء من ذلك فهو من وسوسة الشيطان وهي غير متناهية فمهما عورض بحجة يجد مسلكًا آخر من المغالطة والاسترسال فيضيع الوقت إن سلم من فتنته، فلا تدبير في دفعه أقوى من الإلجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] الآية، وقال في شرح الحديث الذي فيه: «فليقل: الله الأحد» الصفات الثلاث منبهة على أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مخلوقًا، أما أحد فمعناه الذي لا ثاني له ولا مثل، فلو فرض مخلوقًا لم يكن أحدًا على الإطلاق. وسيأتي مزيد لهذا في شرح حديث عائشة في أول «كتاب التوحيد».

وقال المهلب: قوله: «صريح الإيمان»، يعني الانقطاع في إخراج الأمر إلى ما لا نهاية له، فلا بد عند ذلك من إيجاب خالق لا خالق له لأن المتفكر العاقل يجد للمخلوقات كلها خالقًا لأثر

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في رد الوسوسة، برقم (٥١١١)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) عزاه الحافظ في «الفتح»، (١٣/ ٢٧٣) لابن أبي شيبة، عن ابن عباس به.

الصنعة فيها والحدث الجاري عليها والخالق بخلاف هذه الصفة فوجب أن يكون لكل منها خالق لا خالق له فهذا هو صريح الإيمان، لا البحث الذي هو من كيد الشيطان المؤدي إلى الحيرة.

وقال ابن بطال: فإن قال الموسوس فما المانع أن يخلق الخالق نفسه، قيل له هذا ينقض، بعضه بعضًا، لأنك أثبت خالقًا وأوجبت وجوده ثم قلت: يخلق نفسه فأوجبت عدمه، والجمع بين كونه موجودًا معدومًا فاسد لتناقضه، لأن الفاعل يتقدم وجوده على وجود فعله فيستحيل كون نفسه فعلًا له. وهذا واضح في حل هذه الشبهة وهو يفضي إلى صريح الإيمان انتهى ملخصًا موضحًا.

وحديث أبي هريرة أخرجه مسلم فعزوه إليه أولى؛ ولفظه: «**إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان**»[1] وأخرج بعده من حديث ابن مسعود «**سئل النبي ﷺ** عن الوسوسة فقال: تلك محض الإيمان»[2] وحديث ابن عباس أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان[3].

وقال ابن التين: «**لو جاز لمخترع الشيء أن يكون له مخترع لتسلسل فلا بد من الانتهاء إلى موجد قديم، والقديم من لا يتقدمه شيء ولا يصح عدمه، وهو فاعل لا مفعول، وهو الله تبارك وتعالى**».

وقال الكرماني: «**ثبت أن معرفة الله بالدليل فرض عين أو كفاية، والطريق إليها بالسؤال عنها متعينٌ لأنها مقدمتها**» لكن لما عرف بالضرورة أن الخالق غير مخلوق أو بالكسب الذي يقارب الصدق كان السؤال عن ذلك تعنتًا فيكون الذم يتعلق بالسؤال الذي يكون على سبيل التعنت وإلا فالتوصل إلى معرفة ذلك وإزالة الشبهة عنه صريح الإيمان، إذ لا بد من الانقطاع إلى من لا يكون له خالق دفعًا للتسلسل. وقد تقدم نحو هذا في صفة إبليس من «**بدء الخلق**» وما ذكره من ثبوت الوجوب يأتي البحث فيه إن شاء الله تعالى في أول «**كتاب التوحيد**» ويقال إن نحو هذه المسألة وقعت في زمن الرشيد في قصة له مع صاحب الهند، وأنه كتب إليه هل يقدر الخالق أن يخلق مثله فسأل أهل العلم، فبدر شاب فقال: هذا السؤال محال لأن المخلوق محدث والمحدث لا يكون مثل القديم، فاستحال أن يقال يقدر أن يخلق مثله أو لا يقدر، كما يستحيل أن يقال في القادر العالم يقدر أن يصير عاجزًا جاهلًا.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها برقم (١٣٣).
(٣) سبق تخريجه.

هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ

(١١٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ فَفَتَحَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ بِإِدْرِيسَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولانِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلامِ».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ

إِلَى مُوسَى قُلْتُ : وَضَعَ شَطْرَهَا ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُهُ ، فَقَالَ : هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَقُلْتُ : اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ» [(١)] .

الشرح [(٢)]:

قوله : (فرج) بضم الفاء وبالجيم أي فتح ، والحكمة فيه أن الملك انصب إليه من السماء انصبابةً واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المناجاة وتنبيهًا على أن الطلب وقع على غير ميعاد ، ويحتمل أن يكون السر في ذلك التمهيد لما وقع من شق صدره ، فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفًا به وتثبيتًا له ، والله أعلم .

قوله : (ففرج صدري) هو بفتح الفاء وبالجيم أيضًا أي شقه ، ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليمة ، وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب ، وسيأتي تحقيقه عند الكلام على حديث شريك في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى ، ومحصله أن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك . والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة ، وقد روى الطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء والله أعلم . ومناسبته ظاهرة . وروي الشق أيضًا وهو ابن عشر أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب أخرجها أبو نعيم في الدلائل . وروي مرة أخرى خامسة ولا تثبت .

قوله : (ثم جاء بطست) بفتح الطاء وبكسرها إناء معروف سبق تحقيقه في الوضوء ، وخص بذلك ؛ لأنه آلة الغسل عرفًا وكان من ذهب ؛ لأنه أعلى أواني الجنة ، وقد أبعد من استدل به على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب ؛ لأن المستعمل له الملك ، فيحتاج إلى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ، ووراء ذلك كان على أصل الإباحة ؛ لأن تحريم الذهب إنما وقع بالمدينة كما سيأتي واضحًا في اللباس .

قوله : (ممتلئ) كذا وقع بالتذكير على معنى الإناء لا على لفظ الطست ؛ لأنها مؤنثة ، و(حكمة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، حديث (٣٤٩).
(٢) فتح الباري (١/ ٤٦٠).

وإيمانًا) بالنصب على التمييز، والمعنى أن الطست جعل فيها شيءٌ يحصل به كمال الإيمان والحكمة فسمي حكمة وإيمانًا مجازًا، أو مثلاً له بناء على جواز تمثيل المعاني كما يمثل الموت كبشًا.

قال النووي: في تفسير الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها أن الحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك. اهـ. ملخصًا. وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتملٌ على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط، وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك.

قوله: (ثم أخذ بيدي) استدل به بعضهم على أن المعراج وقع غير مرة لكون الإسراء إلى بيت المقدس لم يذكر هنا، ويمكن أن يقال هو من اختصار الراوي، والإتيان بثم المقتضية للتراخي لا ينافي وقوع أمر الإسراء بين الأمرين المذكورين وهما الإطباق والعروج بل يشير إليه، وحاصله أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر، ويؤيده ترجمة المصنف كما تقدم.

قوله: (فعرج) بالفتح أي الملك (بي) وفي رواية الكشميهني «به» على الالتفات أو التجريد.

قوله: (افتح) يدل على أن الباب كان مغلقًا. قال ابن المنير حكمته التحقق أن السماء لم تفتح إلا من أجله، بخلاف ما لو وجده مفتوحًا.

قوله: (قال جبريل) فيه من أدب الاستئذان أن المستأذن يسمي نفسه لئلا يلتبس بغيره.

قوله: (أأرسل إليه) وللكشميهني «أوأرسل إليه» يحتمل أن يكون خفي عليه أصل إرساله لاشتغاله بعبادته، ويحتمل أن يكون استفهم عن الإرسال إليه للعروج إلى السماء وهو الأظهر لقوله: «إليه»، ويؤخذ منه أن رسول الرجل يقوم مقام إذنه؛ لأن الخازن لم يتوقف عن الفتح له على الوحي إليه بذلك، بل عمل بلازم الإرسال إليه، وسيأتي في هذا حديثٌ مرفوعٌ في كتاب الاستئذان إن شاء الله تعالى، ويؤيد الاحتمال الأول قوله في رواية شريك: «أوقد بعث» لكنها من المواضع التي تعقبت كما سيأتي تحريرها في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

قوله: (أسودة) وزن أزمنة وهي الأشخاص من كل شيء.

قوله: (قلت لجبريل: من هذا) ظاهره أنه سأل عنه بعد أن قال له آدم مرحبًا، ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها إذ ليس في هذه أداة ترتيب.

قوله: (نسم بنيه) النسم بالنون والمهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح، وحكى ابن التين أنه رواه بكسر الشين المعجمة وفتح الياء آخر الحروف بعدها ميم وهو تصحيف، وظاهره أن

أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء، وهو مشكلٌ.

قال القاضي عياض: قد جاء أن أرواح الكفار في سجين وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة، يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا؟ وأجاب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتًا فصادف وقت عرضها مرور النبيﷺ ، ويدل - على أن كونهم في الجنة والنار إنما هو في أوقاتٍ دون أوقاتٍ - قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[غافر:٤٦] واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما هو نص القرآن. والجواب عنه ما أبداه هو احتمالاً أن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله، وكان يكشف له عنهما، اهـ.

ويحتمل أن يقال: إن النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد وهي مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله. وقد أعلم بما سيصيرون إليه، فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره، بخلاف التي في الأجساد فليست مرادة قطعًا، وبخلاف التي انتقلت من الأجساد إلى مستقرها من جنة أو نار فليست مرادة أيضًا فيما يظهر. وبهذا يندفع الإيراد ويعرف أن قوله: «نسم بنيه» عام مخصوصٌ، أو أريد به الخصوص.

وأما ما أخرجه ابن إسحاق والبيهقي من طريقه في حديث الإسراء **«فإذا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين»**[(١)] وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار **«فإذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر عن يمينه استبشر، وإذا نظر عن شماله حزن»**[(٢)] فهذا لو صح لكان المصير إليه أولى من جميع ما تقدم، ولكن سنده ضعيفٌ.

قوله: (قال أنس فذكر) أي أبو ذر (أنه وجد) أي النبيﷺ.

قوله: (ولم يثبت) أي أبو ذر.

قوله: (وإبراهيم في السماء السادسة) هو موافق لرواية شريك عن أنس، والثابت في جميع الروايات غير هاتين أنه في السابعة. فإن قلنا بتعدد المعراج فلا تعارض، وإلا فالأرجح رواية الجماعة لقوله فيها: **«أنه رآه مسندًا ظهره إلى البيت المعمور»** وهو في السابعة بلا خلاف، وأما ما جاء عن علي أنه في السادسة عند شجرة طوبى فإن ثبت حمل على أنه البيت الذي في السادسة بجانب شجرة طوبى؛ لأنه جاء عنه أن في كل سماء بيتًا يحاذي الكعبة وكل منها معمور بالملائكة،

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره»، (٣/ ١٣١٢)، وعزاه للبيهقي في «الدلائل».
(٢) المصدر السابق، (٣/ ١٩-٢١).

وكذا القول فيما جاء عن الربيع بن أنس وغيره أن البيت المعمور في السماء الدنيا، فإنه محمول على أول بيت يحاذي الكعبة من بيوت السماوات ويقال إن اسم البيت المعمور «الضراح» بضم المعجمة وتخفيف الراء وآخره مهملة، ويقال بل هو اسم سماء الدنيا، ولأنه قال هنا إنه لم يثبت كيف منازلهم فرواية من أثبتها أرجح، وسأذكر مزيدًا لهذا في كتاب التوحيد.

قوله: (قال أنس: فلما مر) ظاهره أن هذه القطعة لم يسمعها أنسٌ من أبي ذر.

قوله: (مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس) الباء الأولى للمصاحبة والثانية للإلصاق أو بمعنى على.

قوله: (ثم مررت بعيسى) ليست «ثم» على بابها في الترتيب، إلا إن قيل بتعدد المعراج، إذ الروايات متفقةٌ على أن المرور به كان قبل المرور بموسى.

قوله: (قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم) أي أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. وأما أبوه محمد فلم يسمع الزهري منه لتقدم موته، لكن رواية أبي بكر عن أبي حبة منقطعةٌ؛ لأنه استشهد بأحدٍ قبل مولد أبي بكر بدهرٍ وقبل مولد أبيه محمد أيضًا، وأبو حبة بفتح المهملة وبالموحدة المشددة على المشهور، وعند القابسي بمثناةٍ تحتانية وغلط في ذلك، وذكره الواقدي بالنون.

قوله: (حتى ظهرت) أي ارتفعت، و (المستوى) المصعد و (صريف الأقلام) بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى.

قوله: (قال ابن حزم) أي عن شيخه (وأنس) أي عن أبي ذر كذا جزم به أصحاب الأطراف، ويحتمل أن يكون مرسلاً من جهة ابن حزم ومن رواية أنس بلا واسطة.

قوله: (ففرض الله على أمتي خمسين صلاة) في رواية ثابت عن أنس عند مسلم «فرض الله علي خمسين صلاة كل يوم وليلة» (١) ونحوه في رواية مالك بن صعصعة عند المصنف، فيحتمل أن يقال في كل من رواية الباب والرواية الأخرى اختصار، أو يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الأمة وبالعكس إلا ما يستثنى من خصائصه.

قوله: (فراجعني) وللكشميهني فراجعت والمعنى واحد.

قوله: (فوضع شطرها) في رواية مالك بن صعصعة «فوضع عني عشرًا» ومثله لشريك، وفي رواية ثابت «فحط عني خمسًا» قال ابن المنير: ذكر الشطر أعم من كونه وقع في دفعة واحدة.

قلت: وكذا العشر فكأنه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات، أو المراد بالشطر

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ، برقم (١٦٢).

في حديث الباب البعض وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسًا خمسًا وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها، وأما قول الكرماني الشطر هو النصف ففي المراجعة الأولى وضع خمسًا وعشرين وفي الثانية ثلاثة عشر يعني نصف الخمسة والعشرين بجبر الكسر وفي الثالثة سبعًا، كذا قال. وليس في حديث الباب في المراجعة الثالثة ذكر وضع شيء، إلا أن يقال حذف ذلك اختصارًا فيتجه، لكن الجمع بين الروايات يأبى هذا الحمل، فالمعتمد ما تقدم.

وأبدى ابن المنير هنا نكتة لطيفة في قوله ﷺ لموسى عليه السلام لما أمره أن يرجع بعد أن صارت خمسًا فقال: استحييت من ربي، قال ابن المنير: يحتمل أنه ﷺ تفرس من كون التخفيف وقع خمسًا خمسًا أنه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمسًا لكان سائلاً في رفعها فلذلك استحيا. اهـ. ودلت مراجعته ﷺ لربه في طلب التخفيف تلك المرات كلها أنه علم أن الأمر في كل مرة لم يكن على سبيل الإلزام، بخلاف المرة الأخيرة ففيها ما يشعر بذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾[ق: ٢٩] . ويحتمل أن يكون سبب الاستحياء أن العشرة آخر جمع القلة وأول جمع الكثرة، فخشي أن يدخل في الإلحاح في السؤال لكن الإلحاح في الطلب من الله مطلوب، فكأنه خشي من عدم القيام بالشكر والله أعلم.

وسيأتي في التوحيد زيادة في هذا ومخالفةٌ. وأبدى بعض الشيوخ حكمة لاختيار موسى تكرير ترداد النبي ﷺ فقال لما كان موسى قد سأل الرؤية فمنع وعرف أنها حصلت لمحمد ﷺ قصد بتكرير رجوعه تكرير رؤيته ليرى من رأى، كما قيل: لعلي أراهم أو أرى من رآهم قلت: ويحتاج إلى ثبوت تجدد الرؤية في كل مرة.

قوله: (هن خمسٌ وهن خمسون) وفي رواية غير أبي ذر «هي» بدل «هن» في الموضعين، والمراد هن خمس عددًا باعتبار الفعل وخمسون اعتدادًا باعتبار الثواب، واستدل به على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر، وعلى دخول النسخ في الإنشاءات ولو كانت مؤكدة، خلافًا لقوم فيما أكد، وعلى جواز النسخ قبل الفعل.

قال ابن بطال وغيره: ألا ترى أنه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل أن تصلى، ثم تفضل عليهم بأن أكمل لهم الثواب. وتعقبه ابن المنير فقال: هذا ذكره طوائف من الأصوليين والشراح، وهو مشكل على من أثبت النسخ قبل الفعل كالأشاعرة أو منعه كالمعتزلة، لكونهم اتفقوا جميعًا على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ، وحديث الإسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ، فهو مشكل عليهم جميعًا. قال: وهذه نكتةٌ مبتكرةٌ. قلت: إن أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوعٌ، وإن أراد قبل البلاغ إلى الأمة فمسلمٌ، لكن قد يقال: ليس هو بالنسبة إليهم نسخًا، لكن هو نسخٌ بالنسبة إلى النبي ﷺ؛ لأنه كلف بذلك قطعًا ثم نسخ بعد أن بلغه وقبل أن يفعل، فالمسألة صحيحة التصوير

في حقه ﷺ، والله أعلم. وسيأتي لذلك مزيد في شرح حديث الإسراء في الترجمة النبوية إن شاء الله تعالى.

قوله: (حبايل اللؤلؤ) كذا وقع لجميع رواة البخاري في هذا الموضع بالحاء المهملة ثم الموحدة وبعد الألف تحتانية ثم لام، وذكر كثير من الأئمة أنه تصحيف وإنما هو «جنابذ» بالجيم والنون وبعد الألف موحدة ثم ذال معجمة كما وقع عند المصنف في أحاديث الأنبياء من رواية ابن المبارك وغيره عن يونس، وكذا عند غيره من الأئمة. ووجدت في نسخة معتمدة من رواية أبي ذر في هذا الموضع «جنابذ» على الصواب وأظنه من إصلاح بعض الرواة، وقال ابن حزم في أجوبته على مواضع من البخاري: فتشت على هاتين اللفظتين فلم أجدهما ولا واحدة منهما ولا وقفت على معناهما. انتهى.

وذكر غيره أن الجنابذ شبه القباب واحدها جنبذة بالضم، وهو ما ارتفع من البناء، فهو فارسي معرب وأصله بلسانهم كنبذة بوزنه لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة، ويؤيده ما رواه المصنف في التفسير من طريق شيبان عن قتادة عن أنس قال: لما عرج بالنبي ﷺ قال: «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ» (١) وقال صاحب المطالع في الحبائل قيل: هي القلائد والعقود، أو هي من حبال الرمل أي فيها لؤلؤ مثل حبال الرمل جمع حبل وهو ما استطال من الرمل، وتعقب بأن الحبائل لا تكون إلا جمع حبالة أو حبيلة بوزن عظيمة، وقال بعض من اعتنى بالبخاري: الحبائل جمع حبالة وحبالة جمع حبل على غير قياس، والمراد أن فيها عقودًا وقلائد من اللؤلؤ.

* * *

(١١٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: برقم (٤٩٦٤).

إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ

إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ» (١).

الشرح (٢):

قوله ﷺ: (أتيت بالبراق) هو بضم الباء الموحدة. قال أهل اللغة البراق اسم الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. قال الزبيدي في مختصر العين، وصاحب التحرير: هي دابةٌ كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها. وهذاالذي قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقلٍ صحيحٍ.

قال ابن دريدٍ: اشتقاق البراق من البرق إن شاء الله تعالى يعني لسرعته. وقيل: سمي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض. وقال القاضي: يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين يقال شاةٌ برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقاتٌ سودٌ. قال: ووصف في الحديث بأنه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهي معدودةٌ في البيض. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط به الأنبياء صلوات الله عليهم) أما بيت المقدس ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة إحداهما بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة، والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة.

قال الواحدي: أما من شدده فمعناه المطهر، وأما من خففه فقال أبو علي الفارسي: لا يخلو إما أن يكون مصدرًا أو مكانًا فإن كان مصدرًا كان كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾[الأنعام: ٦٠] ونحوه من المصادر وإن كان مكانًا فمعناه بيت المكان: الذي جعل فيه الطهارة، أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها. وقال الزجاج البيت المقدس المطهر وبيت المقدس أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب ويقال فيه أيضًا إيلياء. والله أعلم.

وأما(الحلقة) فبإسكان اللام على اللغة الفصيحة المشهورة. وحكى الجوهري وغيره فتح اللام أيضًا. قال الجوهري: حكى يونس عن أبي عمرو بن العلاء(حلقةٌ) بالفتح وجمعها حلقٌ وحلقاتٌ. وأما على لغة الإسكان فجمعها حلقٌ وحلقٌ بفتح الحاء وكسرها.

وأما قوله ﷺ: (الحلقة التي يربط به) فكذا هو في الأصول(به) بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة وهو الشيء قال صاحب التحرير: المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس. والله أعلم. وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب وأن ذلك لا يقدح في التوكل

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات. . .، حديث (١٦٢).
(٢) شرح مسلم للنووي (٢/ ٢١١).

إذا كان الاعتماد على الله تعالى. والله أعلم.

وقوله ﷺ: (فجاءني جبريل بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة) هذا اللفظ وقع مختصرًا هنا والمراد أنه ﷺ قيل له: اختر أي الإناءين شئت كما جاء مبينًا بعد هذا في هذا الباب من رواية أبي هريرة، فألهم ﷺ اختيار اللبن.

وقوله: (اخترت الفطرة) فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة. وجعل اللبن علامةً لكونه سهلًا طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين سليم العاقبة. وأما الخمر فإنها أم الخبائث، وجالبةٌ لأنواعٍ من الشر في الحال والمآل. والله أعلم.

قوله ﷺ: (ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل له: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه) أما قوله: عرج فبفتح العين والراء أي صعد وقوله: (جبريل) فيه بيان الأدب فيمن استأذن بدق الباب ونحوه فقيل له من أنت فينبغي أن يقول: زيدٌ مثلًا إذا كان اسمه زيدًا ولا يقول: أنا فقد جاء الحديث بالنهي عنه ولأنه لا فائدة فيه.

وأما قول بواب السماء: (وقد بُعث إليه؟) فمراده وقد بعث إليه للإسراء وصعود السموات؟ وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة فهذا هو الصحيح والله أعلم في معناه. ولم يذكر الخطابي في شرح البخاري وجماعةٌ من العلماء غيره وإن كان القاضي قد ذكر خلافًا أو أشار إلى خلافٍ في أنه استفهم عن أصل البعثة أو عما ذكرته. قال القاضي وفي هذا أن للسماء أبوابًا حقيقةً وحفظةً موكلين بها وفيه إثبات الاستئذان. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فإذا أنا بآدم ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير) ثم قال ﷺ في السماء الثانية (فإذا أنا بابني الخالة فرحبا بي ودعوا) وذكر ﷺ في باقي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم نحوه فيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم وإن كانوا أفضل من الداعي. وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة.

وقوله ﷺ: (فإذا أنا بابني الخالة) قال الأزهري: قال ابن السكيت: يقال: هما ابنا عمٍ، ولا يقال ابنا خالٍ. ويقال: ابنا خالةٍ، ولا يقال: ابنا عمةٍ.

وقوله ﷺ: (فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور) قال القاضي رحمه الله يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها.

قوله ﷺ: (ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى) هكذا وقع في الأصول (السدرة) بالألف واللام، وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى. قال ابن عباسٍ والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى

لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحدٌ إلا رسول الله ﷺ. وحكي عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى.

وقوله ﷺ: (وإذا ثمرها كالقلال) هو بكسر القاف جمع قلةٍ والقلة جرةٌ عظيمةٌ تسع قربتين أو أكثر.

قوله ﷺ: (فرجعت إلى ربي) معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته منه أولاً فناجيته فيه ثانيًا.

وقوله ﷺ: (فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ) معناه بين موضع مناجاة ربي. والله أعلم.

* * *

(١١٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ، ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا، ثُمَّ نُودِيَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ».

قال: وَفِي الْبَاب عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَبِي ذَرٍّ وَأَبِي قَتَادَةَ وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ أَنَسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (فرضت على النبي ﷺ ليلة أسري به الصلاة خمسين) وفي رواية ثابتٍ عن أنسٍ عند مسلم: «فرض الله علي خمسين صلاةً كل يومٍ وليلةٍ» [٣] وفي روايةٍ للبخاري: «فرض الله على أمتي خمسين صلاةً» [٤].

قال الحافظ: فيحتمل أن يقال في كل من رواية الباب اختصارٌ، أو يقال ذكر الفرض عليه

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب كم فرض الله على عباده من الصلوات، حديث (٢١٣).

(٢) تحفة الأحوذي (١/ ٥٣٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء، برقم (٣٤٩).

يستلزم الفرض على الأمة وبالعكس إلا ما يستثنى من خصائصه (ثم نقصت حتى جعلت خمسًا) قاله الحافظ قد حققت رواية ثابتٍ أن التخفيف كان خمسًا خمسًا وهي زيادةٌ معتمدةٌ يتعين حمل باقي الروايات عليها (ثم نودي يا محمد إنه) الضمير للشأن (لا يبدل القول) ي لا يغير (وإن لك بهذا الخمس خمسين) أي ثواب خمسين صلاةً والحديث استدل به على فرضية الصلوات الخمس وعدم فرضية ما زاد عليها كالوتر، وعلى جواز النسخ قبل الفعل.

قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطالٍ وغيره: ألا ترى أنه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل أن تصلى ثم تفضل عليهم بأن أكمل لهم الثواب، وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الأصوليين والشراح وهو مشكلٌ على من أثبت النسخ قبل الفعل كالأشاعرة أو منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعًا على أن لا يتصور قبل البلاغ، وحديث الإسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكلٌ عليهم جميعًا. وقال: وهذه نكتةٌ مبتكرةٌ.

قال الحافظ: إن أراد البلاغ لكل أحدٍ فممنوعٌ، وإن أراد قبل البلاغ إلى أمته فمسلمٌ. لكن قد يقال ليس هو بالنسبة إليهم نسخًا، لكن هو بالنسبة إلى النبي ﷺ نسخٌ لأنه كلف بذلك قطعًا ثم نسخ بعد أن بلغه، وقبل أن يفعل فالمسألة صحيحة التصوير في حقه ﷺ انتهى.

قوله: (وفي الباب عن عبادة بن الصامت وطلحة بن عبيد الله وأبي قتادة وأبي ذر ومالك ابن صعصعة وأبي سعيدٍ الخدري).

أما حديث عبادة بن الصامت فأخرجه أحمد والنسائي عنه مرفوعًا: «خمس صلواتٍ افترضهن الله تعالى من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهدٌ أن يغفر له»[1] الحديث، وروى مالكٌ والنسائي نحوه[2].

وأما حديث طلحة بن عبيد الله فأخرجه الشيخان عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من أهل نجدٍ ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول . . . الحديث، وفيه «خمس صلواتٍ في اليوم والليلة» الحديث[3].

---

(١) أخرجه أحمد، (٢٢١٩٦)، والنسائي، كتاب: الصلاة، باب: المحافظة على الصلوات الخمس، برقم (٤٦١)، والحديث صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٢) أخرجه مالك، كتاب: النداء للصلاة، باب: الأمر بالوتر، برقم (٢٧٠)، وقد سبق من رواية النسائي وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام، برقم (٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، برقم (١١).

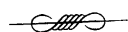
وأما حديث أبي قتادة فلينظر من أخرجه [١] .

وأما حديث أبي ذر فأخرجه الشيخان [٢] .

وأما حديث مالك بن صعصعة فأخرجه الشيخان أيضًا [٣] .

وأما حديث أبي سعيدٍ الخدري فلينظر من أخرجه [٤] .

قوله: (حديث أنسٍ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ) وأخرجه أحمد والنسائي والحديث طرفٌ من حديث الإسراء الطويل [٥] وأخرجه الشيخان مطولاً [٦] .



(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في المحافظة على وقت الصلوات، برقم (٤٣٠)، وابن ماجه، (١٤٠٣)، وقد حسنه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: المعراج برقم (٣٨٨٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ، برقم (١٦٤).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ

(١١٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم :٣٦] الْآيَةَ . وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة :١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ : مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامِ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ : يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ»[1] .

الشرح [2]:

قوله : (أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم ﷺ : ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم :٣٦]الآية . وقال عيسى ﷺ : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة :١١٨])

هكذا هو في الأصول (وقال عيسى) : قال القاضي عياض : قال بعضهم : قوله : (قال) هو اسم للقول لا فعل . يقال : قال قولاً وقالاً وقيلاً كأنه قال : وتلا قول عيسى . هذا كلام القاضي عياض .

قوله عن النبي ﷺ : إنه (رفع يديه وقال : اللهم أمتي وبكى . فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره النبي ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك) .

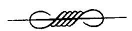
هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها : بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم، ومنها : استحباب رفع اليدين في الدعاء، ومنها : البشارة العظيمة لهذه الأمة - زادها الله تعالى شرفًا - بما وعدها الله تعالى بقوله : سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها، ومنها : بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ ، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبي ﷺ ، وأنه بالمحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضيه والله أعلم . وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى :٥] .

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي لأمته، حديث (٢٠٢) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٨٥) .

وأما قوله تعالى: (ولا نسوءك)، فقال صاحب (التحرير): هو تأكيد للمعنى أي: لا نحزنك؛ لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقي النار فقال تعالى: نرضيك ولا ندخل عليك حزنًا بل ننجي الجميع. والله أعلم.



قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ

(١٢٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ - ثَلَاثًا - غَيْرُ تَمَامٍ». فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

قَالَ سُفْيَانُ: حَدَّثَنِي بِهِ الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَرِيضٌ فِي بَيْتِهِ فَسَأَلْتُهُ أَنَا عَنْهُ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ح) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ أَنَّ أَبَا السَّائِبِ مَوْلَى بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً فَلَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ...» بِمِثْلِ حَدِيثِ سُفْيَانَ، وَفِي حَدِيثِهِمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي».

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْقِرِيُّ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ أَبِي وَمِنْ أَبِي السَّائِبِ وَكَانَا جَلِيسَيْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ - يَقُولُهَا ثَلَاثًا -». بِمِثْلِ حَدِيثِهِمْ [1].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث (٣٩٥).

الشرح [(١)]:

قوله: (فالخداج) بكسر الخاء المعجمة قال الخليل بن أحمد والأصمعي وأبو حاتم السجستاني والهروي وآخرون: الخداج النقصان، يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج، وإن كان تام الخلق، وأخدجته إذا ولدته ناقصًا وإن كان لتمام الولادة، ومنه قيل لذي اليدين: مخدج اليد أي ناقصها. قالوا فقوله ﷺ: «خداج» أي ذات خداج. وقال جماعة من أهل اللغة: خدجت وأخدجت إذا ولدت لغير تمام. وأم القرآن اسم الفاتحة وسميت أم القرآن لأنها فاتحته كما سميت مكة أم القرى لأنها أصلها.

قوله عز وجل: (مجدني عبدي) أي عظمني.

قوله: (أن أبا السائب أخبره) أبو السائب هذا لا يعرفون له اسمًا وهو ثقة.

قوله: (حدثني أحمد بن جعفر المعقري) هو بفتح الميم وإسكان العين وكسر القاف منسوب إلى معقر وهي ناحية من اليمن.

قوله سبحانه وتعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) الحديث قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها كقوله ﷺ: «الحج عرفة» ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة قال العلماء: والمراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى. وتمجيد وثناء عليه، وتفويض إليه، والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار، واحتج القائلون بأن البسملة ليست من الفاتحة بهذا الحديث، وهو من أوضح ما احتجوا به قالوا: لأنها سبع آيات بالإجماع، فثلاث في أولها ثناء أولها الحمد لله، وثلاث دعاء أولها اهدنا الصراط المستقيم، والسابعة متوسطة وهي إياك نعبد وإياك نستعين. قالوا: ولأنه سبحانه وتعالى قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فلم يذكر البسملة، ولو كانت منها لذكرها، وأجاب أصحابنا وغيرهم ممن يقول إن البسملة آية من الفاتحة بأجوبة:

أحدها: أن التنصيف عائد إلى جملة الصلاة لا إلى الفاتحة، هذا حقيقة اللفظ.

والثاني: أن التنصيف عائد إلى ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة.

والثالث: معناه فإذا انتهى العبد في قراءته إلى الحمد لله رب العالمين.

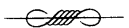
---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١٠٢).

قال العلماء: وقوله تعالى: حمدني عبدي وأثنى علي ومجدني إنما قاله لأن التحميد الثناء بجميل الفعال، والتمجيد الثناء بصفات الجلال، ويقال: أثنى عليه في ذلك كله، ولهذا جاء جوابًا للرحمن الرحيم، لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية والفعلية.

وقوله: وربما قال: (فوض إلي عبدي) وجه مطابقة هذا لقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم وبجزاء العباد وحسابهم. والدين الحساب، وقيل: الجزاء، ولا دعوى لأحدٍ ذلك اليوم، ولا مجاز، وأما في الدنيا فلبعض العباد ملك مجازي، ويدعي بعضهم دعوى باطلة، وهذا كله ينقطع في ذلك اليوم، هذا معناه، وإلا فالله سبحانه وتعالى هو المالك والملك على الحقيقة للدارين وما فيهما ومن فيهما، وكل من سواه مربوب له عبد مسخر، ثم في هذا الاعتراف من التعظيم والتمجيد وتفويض الأمر ما لا يخفى.

وقوله تعالى: (فإذا قال العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة فهذا لعبدي) [(١)] هكذا هو في صحيح مسلم، وفي غيره فهؤلاء لعبدي، وفي هذه الرواية دليل على أن اهدنا وما بعده إلى آخر السورة ثلاث آيات لا آيتان، وفي المسألة خلاف مبني على أن البسملة من الفاتحة أم لا؛ فمذهبنا ومذهب الأكثرين أنها من الفاتحة، وأنها آية، واهدنا وما بعده آيتان، ومذهب مالك وغيره ممن يقول إنها ليست من الفاتحة يقول: اهدنا وما بعده ثلاث آيات، وللأكثرين أن يقولوا: قوله: هؤلاء، المراد به الكلمات لا الآيات. بدليل رواية مسلم: فهذا لعبدي وهذا أحسن من الجواب بأن الجمع محمول على الاثنين لأن هذا مجاز عند الأكثرين فيحتاج إلى دليل على صرفه عن الحقيقة إلى المجاز والله أعلم.



---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة..، برقم (٣٩٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟

(١٢١) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» [١].

الشرح [٢]:

قوله ﷺ: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء) هذا الحديث ظاهر الدلالة في فضل يوم عرفة، وهو كذلك، ولو قال رجل: امرأتي طالق في أفضل الأيام، فلأصحابنا وجهان:

أحدهما: تطلق يوم الجمعة؛ لقوله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة»، كما سبق في صحيح مسلم [٣].

وأصحهما: يوم عرفة؛ للحديث المذكور في هذا الباب، ويتأول حديث يوم الجمعة على أنه أفضل أيام الأسبوع.

قال القاضي عياض: قال المازري: معنى (يدنو) في هذا الحديث: أي تدنو رحمته وكرامته، لا دنو مسافة ومماسة. قال القاضي: يتأول فيه ما سبق في حديث النزول إلى السماء الدنيا، كما جاء في الحديث الآخر من غيظ الشيطان يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة، قال القاضي: وقد يريد دنو الملائكة إلى الأرض أو إلى السماء بما ينزل معهم من الرحمة ومباهاة الملائكة بهم عن أمره سبحانه وتعالى، قال: وقد وقع الحديث في صحيح مسلم مختصرًا، وذكره عبد الرزاق في مسنده من رواية ابن عمر قال: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة يقول: هؤلاء عبادي جاءوني شعثًا غبرًا يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني؟» [٤] وذكر باقي الحديث.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث (١٣٤٨).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١١٧).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ١٥، ١٦)، برقم (٨٨٣٠)، وقد حسنه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (١٣٦٠).

تَجَوَّزُوا عَنْهُ

(١٢٢) عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَلَقَّتْ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لاَ، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ» [١].

* * *

(١٢٣) وفي رواية: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَلَقَّتْ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ: عَنْ رِبْعِيٍّ «كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ».

وَتَابَعَهُ شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ رِبْعِيٍّ.

وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ: عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ رِبْعِيٍّ «أُنْظِرُ الْمُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ».

وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنْ رِبْعِيٍّ: «فَأَقْبَلُ مِنَ الْمُوسِرِ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ» [٢].

الشرح [٣]:

قوله: (منصور) هو ابن المعتمر.

قوله: (إن حذيفة حدثه) زاد مسلم في روايته من طريق نعيم بن أبي هندٍ عن ربعي «اجتمع حذيفة وأبو مسعود، فقال حذيفة: رجلٌ لقي ربه» [٤] فذكر الحديث وفي آخره «فقال أبو مسعودٍ هكذا سمعت رسول الله ﷺ» ومثله رواية أبي عوانة عن عبد الملك عن ربعي كما سيأتي في هذا الباب.

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، حديث (١٥٦٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب من أنظر معسرا، حديث (٢٠٧٧).

(٣) فتح الباري (٤/٣٠٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، برقم (١٥٦٠).

قوله: (تلقت الملائكة) أي استقبلت روحه عند الموت، وفي رواية عبد الملك بن عميرٍ عن ربعي في ذكر بني إسرائيل «أن رجلاً كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه».

قوله: (أعملت من الخير شيئًا؟) وفي روايةٍ بحذف همزة الاستفهام وهي مقدرةٌ، زاد في رواية عبد الملك المذكورة «فقال ما أعلم، قيل انظر، قال ما أعلم شيئًا غير أني» فذكره. ولمسلم من طريق شقيقٍ عن أبي مسعود رفعه «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيءٌ إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا»[1] وفي رواية أبي مالك المعلقة هنا ووصلها عند مسلم «أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً فقال له: ما عملت في الدنيا؟ - قال ولا يكتمون الله حديثًا - قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان خلقي الجواز» الحديث، وفي رواية ابن أبي عمر في هذا الحديث «فيقول: يا رب ما عملت لك شيئًا أرجو به كثيرًا. إلا أنك كنت أعطيتني فضلاً من مالٍ»؛ فذكره.

قوله: (فتياني) بكسر أوله جمع فتًى وهو الخادم حرا كان أو مملوكًا.

قوله: (أن ينظروا ويتجاوزوا عن الموسر) كذا وقع في رواية أبي ذر والنسفي وهو لا يخالف الترجمة، وللباقين «أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر» وكذا أخرجه مسلمٌ عن أحمد بن يونس شيخ البخاري فيه، وظاهره غير مطابقٍ للترجمة، ولعل هذا هو السر في إيراد التعاليق الآتية لأن فيها ما يطابق الترجمة.

قوله: (وقال أبو مالكٍ عن ربعي كنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر) وهذه الطريق عن حذيفة في هذا الحديث وصلها مسلمٌ من طريق أبي خالدٍ الأحمر عن أبي مالك كما تقدم أولاً وقال في آخره: «فقال أبو مسعود الأنصاري وعقبة بن عامر الجهني: هكذا سمعناه من في رسول الله ﷺ».

قوله: (وتابعه شعبة عن عبد الملك) يعني ابن عمير (عن ربعي) أي عن حذيفة يعني في قوله: «وأنظر المعسر» وقد وصله ابن ماجه من طريق أبي عامر عن شعبة بهذا اللفظ، ووصله المؤلف في الاستقراض عن مسلم بن إبراهيم عن شعبة بلفظ: «فأتجوز عن الموسر وأخفف عن المعسر»[2] وفي آخره قول أبي مسعودٍ: «هكذا سمعت».

قوله: (وقال أبو عوانة عن عبد الملك إلخ) وصله المؤلف في ذكر بني إسرائيل مطولاً، وهو

---

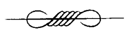
(١) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، برقم (١٥٦١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: حسن التقاضي، برقم (٢٣٩١)، وابن ماجه، كتاب: الأحكام، باب: إنظار المعسر، برقم (٢٤٢٠).

كما قال: «**أنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر**» وفي آخره قول أبي مسعود: «**هكذا سمعت**».

قوله: (وقال نعيم بن أبي هندٍ إلخ) وصله مسلم من طريق مغيرة بن مقسم عنه وقد تقدم لفظه، وفيه قول أبي مسعود أيضًا، قال ابن التين: رواية من روى «**وأنظر الموسر**» أولى من رواية من روى «**وأنظر المعسر**» لأن إنظار المعسر واجبٌ.

قلت: ولا يلزم من كونه واجبًا أن لا يؤجر صاحبه عليه أو يكفر عنه بذلك من سيئاته، وسأذكر الاختلاف في الوجوب في الباب الذي يليه.



هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟

(١٢٤) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ - فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا» [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (حدثني يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة - وذكر إسناده إلى مسروق - قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران :١٦٩]، أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر).

قال المازري: كذا جاء عبد الله غير منسوب، قال أبو علي الغساني: ومن الناس من ينسبه فيقول: عبد الله بن عمر، وذكره أبو مسعود الدمشقي في مسند ابن مسعود، قال القاضي عياض: ووقع في بعض النسخ من صحيح مسلم (عبد الله بن مسعود) قلت: وكذا وقع في بعض نسخ بلادنا المعتمدة، ولكن لم يقع منسوبًا في معظمها، وذكره خلف الواسطي والحميدي وغيرهما في مسند ابن مسعود، وهو الصواب. وهذا الحديث مرفوع لقوله: إنا قد سألنا عن ذلك فقال: يعني: النبي ﷺ.

قوله ﷺ في الشهداء: (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل) فيه: بيان أن الجنة مخلوقة موجودة، وهو مذهب أهل السنة، وهي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة. هذا إجماع أهل السنة، وقالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضًا وغيرهم: إنها ليست موجودة، وإنما توجد بعد البعث في القيامة، قالوا: والجنة التي أخرج منها آدم غيرها، وظواهر القرآن والسنة تدل لمذهب

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، حديث (١٨٨٧).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٣١).

أهل الحق.

وفيه: إثبات مجازاة الأموات بالثواب والعقاب قبل القيامة، قال القاضي: وفيه: أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن ويعذب المسيء، وقد جاء به القرآن والآثار، وهو مذهب أهل السنة خلافًا لطائفةٍ من المبتدعة قالت: تفنى.

قال القاضي: وقال هنا: (أرواح الشهداء)، وقال في حديث مالك: (إنما نسمة المؤمن)، والنسمة تطلق على ذات الإنسان جسمًا وروحًا، وتطلق على الروح مفردة، وهو المراد بهذا التفسير في الحديث الآخر بالروح، ولعلمنا بأن الجسم يفنى ويأكله التراب، ولقوله في الحديث: (حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم القيامة).

قال القاضي: وذكر في حديث مالك رحمه الله تعالى: (نسمة المؤمن) وقال هنا: (الشهداء) لأن هذه صفتهم لقوله تعالى: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وكما فسره في هذا الحديث. وأما غيرهم فإنما يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، كما جاء في حديث ابن عمر، وكما قال في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦] قال القاضي: وقيل: بل المراد جميع المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير عذاب فيدخلونها الآن، بدليل عموم الحديث، وقيل: بل أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم. والله أعلم.

قوله ﷺ في هذا الحديث: (في جوف طير خضر) وفي غير مسلم (بطير خضر) وفي حديث آخر: (بحواصل طير) وفي الموطأ: (إنما نسمة المؤمن طير) وفي حديث آخر عن قتادة: (في صورة طير أبيض) قال القاضي: قال بعض المتكلمين على هذا: الأشبه صحة قول من قال: طير، أو صورة طير، وهو أكثر ما جاءت به الرواية لا سيما مع قوله: (تأوي إلى قناديل تحت العرش).

قال القاضي: واستبعد بعضهم هذا، ولم ينكره آخرون، وليس فيه ما ينكر، ولا فرق بين الأمرين، بل رواية طير، أو جوف طير، أصح معنًى، وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم، وكله من المجوزات، فإذا أراد الله أن يجعل هذه الروح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل، أو أجواف طير، أو حيث يشاء كان ذلك ووقع، ولم يبعد، لا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام.

قال القاضي: وقيل: إن هذا المنعم أو المعذب من الأرواح جزء من الجسد تبقى فيه الروح، هو الذي يتألم ويعذب ويلتذ وينعم، وهو الذي يقول: رب ارجعون، وهو الذي يسرح في شجر الجنة، فغير مستحيل أن يصور هذا الجزء طائرًا أو يجعل في جوف طائر، وفي قناديل تحت العرش، وغير ذلك مما يريد الله عز وجل، قال القاضي: وقد اختلف الناس في الروح - ما هي؟ اختلافًا لا يكاد يحصر، فقال كثير من أرباب المعاني وعلم الباطن المتكلمين: لا تعرف حقيقته،

ولا يصح وصفه، وهو مما جهل العباد علمه، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] وغلت الفلاسفة فقالت بعدم الروح.

وقال جمهور الأطباء: هو البخار اللطيف الساري في البدن، وقال كثيرون من شيوخنا: هو الحياة، وقال آخرون: هي أجسام لطيفة مشابكة للجسم يحيى لحياته، أجرى الله تعالى العادة بموت الجسم عند فراقه، وقيل: هو بعض الجسم، ولهذا وصف بالخروج والقبض وبلوغ الحلقوم، وهذه صفة الأجسام لا المعاني، وقال بعض مقدمي أئمتنا: هو جسم لطيف متصور على صورة الإنسان داخل الجسم، وقال بعض مشايخنا وغيرهم: إنه النفس الداخل والخارج.

وقال آخرون: هو الدم، هذا ما نقله القاضي، والأصح عند أصحابنا: أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن، فإذا فارقته مات.

قال القاضي: واختلفوا في النفس والروح فقيل: هما بمعنًى، وهما لفظان لمسمى واحد. وقيل: إن النفس هي النفس الداخل والخارج، وقيل: هي الدم، وقيل: هي الحياة. والله أعلم.

قال القاضي: وقد تعلق بحديثنا هذا وشبهه بعض الملاحدة القائلين بالتناسخ وانتقال الأرواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة، وزعموا أن هذا هو الثواب والعقاب، وهذا ضلال بين، وإبطال لما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر، والجنة والنار، ولهذا قال في الحديث: (حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) يعني: يوم يجيء بجميع الخلق. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فقال لهم الله تعالى: هل تشتهون شيئًا . . .) إلخ، هذا مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر، ثم رغبهم في سؤال الزيادة، فلم يجدوا مزيدًا على ما أعطاهم، فسألوه حين رأوا أنه لا بد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا، أو يبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى، ويستلذوا بالقتل في سبيل الله. والله أعلم.



لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى

(١٢٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: - يَعْنِي اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - «لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي - وفي رواية: لِعَبْدِي - أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَام» [١].

الشرح [٢]:

قوله ﷺ: (ما ينبغي لعبدٍ أن يقول أنا خير من يونس) فالضمير في (أنا) قيل: يعود إلى النبي ﷺ وقيل: يعود إلى القائل أي لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادةٍ أو علمٍ أو غير ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ النبوة، ويؤيد هذا التأويل الروايةُ التي قبله، وهي قوله تعالى: (لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام... حديث (٢٣٧٦).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٣٢).

أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ بِجَلَالِي؟

(١٢٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي» (١).

الشرح (٢):

قوله ﷺ: (إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) فيه دليل لجواز قول الإنسان: الله يقول، وهو الصواب الذي عليه العلماء كافة إلا ما قدمناه في كتاب الإيمان عن بعض السلف من كراهة ذلك، وأنه لا يقال: يقول الله، بل يقال: قال الله، وقدمنا أنه جاء بجوازه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤] وأحاديث صحيحة كثيرة.

قوله تعالى: (المتحابون بجلالي) أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا.

وقوله تعالى: (يوم لا ظل إلا ظلي) أي أنه لا يكون من له ظل مجازًا كما في الدنيا. وجاء في غير مسلم: ظل عرشي قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس، ووهج الموقف وأنفاس الخلق. قال: وهذا قول الأكثرين. وقال عيسى بن دينار: ومعناه كفه عن المكاره، وإكرامه، وجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم: السلطان ظل الله في الأرض. وقيل: يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم، يقال: هو في عيش ظليل أي طيب.

* * *

(١٢٧) عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلاَنِيِّ حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب في فضل الحب في الله، حديث (٢٥٦٦).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٢٣).
(٣) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، حديث (٢٣٩٠).

الشرح [١]:

قوله: (المتحابون في جلالي) أي لأجل إجلالي وتعظيمي (يغبطهم النبيون والشهداء) قال القاري: بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر، وهي تمني نعمةً على ألا تتحول عن صاحبها، بخلاف الحسد فإنه تمني زوالها عن صاحبها فالغبطة في الحقيقة عبارةٌ عن حسن الحال كذا قيل.

وفي القاموس: الغبطة حسن الحال والمسرة، فمعناها الحقيقي مطابقٌ للمعنى اللغوي، فمعنى الحديث يستحسن أحوالهم الأنبياء والشهداء. قال: وبهذا يزول الإشكال الذي تحير فيه العلماء.

وقال القاضي: كل ما يتحلى به الإنسان أو يتعاطاه من علم وعملٍ فإن له عند الله منزلةً لا يشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك وإن كان له من نوعٍ آخر ما هو أرفع قدرًا وأعز ذخرًا فيغبطه بأن يتمنى ويحب أن يكون له مثل ذلك مفهومًا إلى ما له من المراتب الرفيعة أو المنازل الشريفة، وذلك معنى قوله: يغبطهم النبيون والشهداء فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق وإظهار الحق وإعلاء الدين وإرشاد العامة والخاصة، إلى غير ذلك من كلياتٍ أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها، والشهداء وإن نالوا رتبة الشهادة وفازوا بالفوز الأكبر، فلعلهم لن يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء، فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله، ودوا لو كانوا ضامين خصالهم فيكونون جامعين بين الحسنتين وفائزين بالمرتبتين.

وقيل: إنه لم يقصد في ذلك إلى إثبات الغبطة لهم على هؤلاء بل بيان فضلهم وعلو شأنهم وارتفاع مكانهم وتقريرها على آكد وجهٍ وأبلغه. والمعنى أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذٍ مع جلالة قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم لغبطوهم.

قوله: (وفي الباب عن أبي الدرداء وابن مسعودٍ وعبادة بن الصامت وأبي هريرة) وأبي مالكٍ الأشعري أما حديث أبي الدرداء فأخرجه الطبراني بإسنادٍ حسنٍ [٢]، وأما حديث ابن مسعودٍ فأخرجه الطبراني في الأوسط [٣]، وأما حديث عبادة بن الصامت فأخرجه أحمد بإسنادٍ صحيحٍ [٤]، وأما حديث أبي مالكٍ الأشعري فأخرجه أحمد وأبو يعلى بإسنادٍ حسنٍ والحاكم [٥]،

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٥٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، (٢/ ٨٥)، برقم (١٣٢٨).

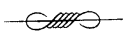
(٣) لم أقف عليه من حديث ابن مسعود عند الطبراني.

(٤) أخرجه أحمد، (٢١٥٧٥)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (٤٣٢١).

(٥) أخرجه أحمد مطولاً، (٢٢٣٩٩)، ولم أقف عليه عند أبي يعلى ولا عند الحاكم، وقد صححه الألباني= =

وقال صحيح الإسناد. ذكر المنذري أحاديث هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم في ترغيبه، وأما حديث أبي هريرة فأخرجه مسلمٌ عنه مرفوعًا: **«أن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»** [١]. وله أحاديث أخرى في هذا الباب.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ) وأخرجه مالكٌ وأحمد والطبراني والحاكم والبيهقي بلفظ: **«قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في»** [٢].



كما في «صحيح الجامع»، (٤٣٢١).

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، برقم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه أحمد، (٢١٥٢٥)، ومالك، كتاب الجامع، باب: ما جاء في المتحابين في الله، برقم (١٧٧٩)، والطبراني في «الكبير»، (٢٠/ ٨٠)، برقم (١٥٠)، والحاكم في «المستدرك»، (٤/ ١٨٦)، برقم (٧٣١٤)، والبيهقي في «الشعب»، (٦/ ٤٨٣)، برقم (٨٩٩٢)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣١).

يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي!!

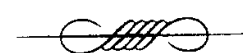
(١٢٨) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله عز وجل: (مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟).

قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى، والمراد العبد تشريفًا للعبد وتقريبًا له.

قالوا: ومعنى (وجدتني عنده) أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث: «لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي» أي ثوابه. والله أعلم.



---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض، حديث (٢٥٦٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢٦).

يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا

(١٢٩) عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ» (١).

الشرح (٢):

قوله تعالى: (إني حرمت الظلم على نفسي) قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى. كيف يجاوز سبحانه حدا وليس فوقه من يطيعه؟ وكيف يتصرف في غير ملك، والعالم كله في ملكه وسلطانه؟ وأصل التحريم في اللغة المنع، فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء.

قوله تعالى: (جعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا) هو بفتح التاء أي لا تتظالموا، والمراد لا يظلم بعضكم بعضًا، وهذا توكيد لقوله تعالى: (يا عبادي وجعلته بينكم محرمًا) وزيادة تغليظ في تحريمه.

قوله تعالى: (كلكم ضال إلا من هديته) قال المازري: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال إلا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور «كل مولود يولد على الفطرة» قال: فقد يكون المراد

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث (٢٥٧٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٣٢).

بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ ، وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا. وهذا الثاني أظهر.

وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله، وبهدى الله اهتدى، وبإرادة الله تعالى ذلك، وأنه سبحانه وتعالى إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون، ولم يرد هداية الآخرين، ولو أرادها لاهتدوا، خلافًا للمعتزلة في قولهم الفاسد: إنه سبحانه وتعالى أراد هداية الجميع. جل الله أن يريد ما لا يقع، أو يقع ما لا يريد.

قوله تعالى: **«ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»** المخيط بكسر الميم وفتح الياء هو الإبرة: قال العلماء: هذا تقريب إلى الأفهام، ومعناه لا ينقص شيئًا أصلاً كما قال في الحديث الآخر: **«لا يغيضها نفقة»** أي لا ينقصها نفقة؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص، فضرب المثل بالمخيط في البحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة، والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه؛ فإن البحر من أعظم المرئيات عيانًا، وأكبرها، والإبرة من أصغر الموجودات، مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء. والله أعلم.

قوله تعالى: (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار) الرواية المشهورة (تخطئون) بضم التاء، وروي بفتحها وفتح الطاء، يقال: خطئ يخطأ إذا فعل ما يأثم به فهو خاطئ، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩٧] ويقال في الإثم أيضًا: أخطأ، فهما صحيحان.

* * *

(١٣٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلاَّ مَنْ أَغْنَيْتُ فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلاَّ مَنْ عَافَيْتُ فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ وَلاَ أُبَالِي، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْكُمْ مَا سَأَلَ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلاَّ كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ فَغَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلاَمٌ، وَعَذَابِي كَلاَمٌ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ».

قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَن النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (يا عبادي) قال الطيبي: الخطاب للثقلين لتعاقب التقوى والفجور فيهم، ويحتمل أن يعم الملائكة فيكون ذكرهم مدرجًا في الجن لشمول الاجتنان لهم وتوجه هذا الخطاب لا يتوقف على صدور الفجور ولا على إمكانه انتهى.

قلت: والظاهر هو الاحتمال الأول (إلا من هديت) قيل المراد به وصفهم بما كانوا عليه قبل بعثة النبي ﷺ لا أنهم خلقوا في الضلالة. والأظهر أن يراد أنهم لو تركوا بما في طباعهم لضلوا، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: إن الله خلق الخلق في ظلمةٍ ثم رش عليهم من نوره. وهو لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام: «كل مولودٍ يولد على الفطرة»، فإن المراد بالفطرة التوحيد والمراد بالضلالة جهالة تفصيل أحكام الإيمان وحدود الإسلام ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ [الضحى: ٧] (وكلكم مذنبٌ) قيل أي كلكم يتصور منه الذنب (إلا من عافيت) أي من الأنبياء والأولياء، أي عصمت وحفظت، وإنما قال عافيت تنبيهًا على أن الذنب مرضٌ ذاتي، وصحته عصمة الله تعالى وحفظه منه أو كلكم مذنبٌ بالفعل. وذنب كل بحسب مقامه إلا من عافيته بالمغفرة والرحمة والتوبة (ولا أبالي) أي لا أكترث (ولو أن أولكم وآخركم) يراد به الإحاطة والشمول (وحيكم وميتكم) تأكيدٌ لإرادة الاستيعاب كقوله: (ورطبكم ويابسكم) أي شبابكم وشيوخكم أو عالمكم وجاهلكم أو مطيعكم وعاصيكم. قال الطيبي هما عبارتان عن الاستيعاب التام كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] والإضافة إلى ضمير المخاطبين تقتضي أن يكون الاستيعاب في نوع الإنسان فيكون تأكيدًا للشمول بعد تأكيد الاستيعاب وتقريرًا بعد تقريرٍ انتهى (اجتمعوا على أتقى قلب عبدٍ من عبادي) وهو نبينا ﷺ (ما زاد ذلك) أي الاجتماع (اجتمعوا على أشقى قلب عبدٍ من عبادي) وهو إبليس اللعين (اجتمعوا في صعيدٍ واحدٍ) أي أرضٍ واسعةٍ مستويةٍ (ما بلغت أمنيته) بضم الهمزة وكسر النون وتشديد الياء، أي مشتهاه وجمعها المنى والأماني، يعني كل حاجةٍ تخطر بباله (ما نقص ذلك) أي الإعطاء أو قضاء حوائجهم (فغمس) بفتح الميم أي أدخل (إبرةً) بكسر الهمزة وسكون الموحدة وهي المخيط (ذلك) أي عدم نقص ذلك من ملكي (بأني جوادٌ) أي كثير الجود (واجدٌ) هو الذي يجد ما يطلبه

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، حديث (٢٤٩٥).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ١٦٦).

ويريده وهو الواجد المطلق لا يفوته شيءٌ (ماجدٌ) هو بمعنى المجيد، كالعالم بمعنى العليم من المجد وهو سعة الكرم (إنما أمري لشيءٍ إذا أردت أن أقول له: كن فيكون) بالرفع والنصب، أي من غير تأخيرٍ عن أمري. وهذا تفسيرٌ لقوله: (عطائي كلامٌ وعذابي كلامٌ).

قال القاضي: يعني ما أريد إيصاله إلى عبدٍ من عطاءٍ أو عذابٍ لا أفتقر إلى كد ومزاولة عملٍ بل يكفي لحصوله ووصوله تعلق الإرادة به وكن من كان التامة أي احدث فيحدث.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ) وأخرجه أحمد وابن ماجه، وروى مسلمٌ نحوه بزيادةٍ ونقصٍ [1].

(١٣١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلاَّ مَنْ عَافَيْتُ فَسَلُونِي الْمَغْفِرَةَ فَأَغْفِرَ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفَرَنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُ فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلاَّ مَنْ أَغْنَيْتُ فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَتْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي لَمْ يَزِدْ فِي مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَشْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا فَسَأَلَ كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِي إِلاَّ كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ الْبَحْرِ فَغَمَسَ فِيهَا إِبْرَةً ثُمَّ نَزَعَهَا، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، عَطَائِي كَلاَمٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ» [2].

الشرح [3]:

قوله: (وكلكم ضال) أي عارٍ من الهداية ليس له هداية من ذاته بل هي من عناية ربه ولطفه وهذا لا ينافي حديث كل مولود يولد على الفطرة بمعنى أنه يولد خاليًا عن دواعي الضلالة وفيه أن العبد محتاج إلى الله تعالى في كل شيء وأن أحدًا لا يغني أحدًا شيئًا من دونه فحقه أن يتبتل إليه بشراشره.

قوله: (بأني جواد) بيان لسبب ما تقدم وذلك لأنه إذا كان عطاؤه الكلام فلا يتصور في خزائنه النقصان.

---

(١) أخرجه أحمد، (٢٠٨٦٠)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٧)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث (٤٢٥٧).

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، حديث (٤٢٥٧).

الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ

(١٣٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ» (١).

(١٣٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ» (٢).

الشرح (٣):

قوله ﷺ: (العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته) هكذا هو في جميع النسخ فالضمير في: (إزاره ورداؤه) يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالى: «ومن ينازعني ذلك أعذبه». ومعنى (ينازعني) يتخلق بذلك، فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه. وأما تسميته إزارًا ورداء فمجاز واستعارة حسنة كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد، ودثاره التقوى لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار، بل معناه صفته، كذا قال المازري.

ومعنى الاستعارة هنا: أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان، ويلزمانه، وهما جمال له. قال: فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق، وله ألزم، واقتضاهما جلاله. ومن مشهور كلام العرب فلان واسع الرداء، وغمر الرداء أي واسع العطية.

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر، حديث (٢٦٢٠).
(٢) رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، حديث (٤٠٩٠).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٧٤).

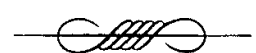
انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ

(١٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا قَالَ حَمَّادٌ فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ قَالَ: وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ قَالَ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قَالَ حَمَّادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا (١).

الشرح (٢):

قوله في روح المؤمن: (ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل، ثم قال في روح الكافر فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل) قال القاضي: المراد بالأول: انطلقوا بروح المؤمن إلى سدرة المنتهى، والمراد بالثاني انطلقوا بروح الكافر إلى سجين، فهي منتهى الأجل، ويحتمل أن المراد إلى انقضاء أجل الدنيا.

قوله: (فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه) الريطة بفتح الراء وإسكان الياء وهو ثوب رقيق، وقيل: هي الملاءة، وكان سبب ردها على الأنف بسبب ما ذكر من نتن ريح روح الكافر.



---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، حديث (٢٨٧٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٢٠٥).

إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ

(١٣٥) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ؛ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لاَ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ. ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ؛ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ؛ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ

فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» [1].

الشرح [2]:

قوله: (سمع النواس بن سمعان) بفتح السين وكسرها. (ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل) هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان:

أحدهما: أن خفض بمعنى حقر، وقوله: (رفع) أي عظمه وفخمه، فمن تحقيره وهو أنه على الله تعالى عوره، ومنه قوله ﷺ: «هو أهون على الله من ذلك» وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره، ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه. ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه.

والوجه الثاني: أنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه، فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد.

قوله ﷺ: (غير الدجال أخوفني عليكم) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا: (أخوفني) بنونٍ بعد الفاء، وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين. قال: ورواه بعضهم بحذف النون، وهما لغتان صحيحتان، ومعناهما واحد. قال شيخنا الإمام أبو عبد الله: قال مالك رحمه الله تعالى: الحاجة داعية إلى الكلام في لفظ الحديث ومعناه، فأما لفظه لكونه تضمن ما لا يعتاد من إضافة أخوف إلى ياء المتكلم مقرونة بنون الوقاية، وهذا الاستعمال إنما يكون مع الأفعال المتعدية، والجواب أنه كان الأصل إثباتها، ولكنه أصل متروك، فنبه عليه في قليل من كلامهم، وأنشد فيه أبياتًا منها ما أنشده الفراء.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، حديث (٢٩٣٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/٦٣).

فما أدري فظني كل ظن أمسلمتي إلى قومي شراحي

يعني شراحيل فرخمه في غير الندا للضرورة وأنشد غيره: وليس الموافيني ليرفد خائبًا فإن له أضعاف ما كان أملاً ولأفعل التفضيل أيضًا شبه بالفعل، وخصوصًا بفعل التعجب، فجاز أن تلحقه النون المذكورة في الحديث كما لحقت في الأبيات المذكورة. هذا هو الأظهر في هذه النون هنا، ويحتمل أن يكون معناه أخوف لي فأبدلت النون من اللام كما أبدلت في (لعن وعن) بمعنى (لعل وعل).

وأما معنى الحديث: ففيه أوجه:

أظهرها: أنه من أفعل التفضيل، وتقديره غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم، ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون، معناه أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون.

والثاني: بأن يكون أخوف من أخاف بمعنى خوف، ومعناه غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم.

والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: شعر شاعر، وخوف فلان أخوف من خوفك، وتقديره خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم، ثم حذف المضاف الأول، ثم الثاني. هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله.

قوله ﷺ: (إنه شاب قطط) هو بفتح القاف والطاء أي شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة.

قوله ﷺ: (إنه خارجٌ خلة بين الشام والعراق) هكذا في نسخ بلادنا: (خلة) بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين الهاء. وقال القاضي: المشهور فيه (حلة) بالحاء المهملة، ونصب التاء يعني غير منونة. قيل: معناه سمت ذلك وقبالته وفي كتاب العين الحلة موضع حزن وصخور.

قال: ورواه بعضهم (حله) بضم اللام وبهاء الضمير أي نزوله وحلوله قال: وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين. قال: وذكره الهروي (خلة) بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين، وفسره بأنه ما بين البلدين. هذا آخر ما ذكره القاضي، وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود في نسخ بلادنا، وفي الجمع بين الصحيحين أيضًا ببلادنا، وهو الذي رجحه صاحب نهاية الغريب، وفسره بالطريق بينهما.

قوله: (فعاث يمينًا وعاث شمالاً) هو بعينٍ مهملة وثاء مثلثة مفتوحة، وهو فعل ماضٍ،

والعيث الفساد، أو أشد الفساد والإسراع فيه، يقال منه: عاث يعيث، وحكى القاضي أنه رواه بعضهم فعاث بكسر الثاء منونة اسم فاعل، وهو بمعنى الأول.

قوله ﷺ: (يوم كسنةٍ، ويوم كشهرٍ، ويوم كجمعةٍ، وسائر أيامه كأيامكم) قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله ﷺ: (وسائر أيامه كأيامكم).

وأما قولهم: (يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره) فقال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع. قالوا: ولولا هذا الحديث، ووكلنا إلى اجتهادنا، لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعنى (اقدروا له قدره) أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم. وقد وقع فيه صلوات سنة، فرائض كلها مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشهرٍ، والثالث الذي كجمعةٍ، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه، والله أعلم.

قوله ﷺ: (فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر) أما (تروح) فمعناه ترجع آخر النهار، (والسارحة) هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى. وأما (الذري) فبضم الذال المعجمة وهي الأعالي و (الأسنمة) جمع ذروة بضم الذال وكسرها.

وقوله: (وأسبغه) بالسين المهملة والغين المعجمة أي أطوله لكثرة اللبن، وكذا (أمده خواصر) لكثرة امتلائها من الشبع.

قوله ﷺ: (فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) هي ذكور النحل، هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها، لأنه متى طار تبعته جماعته. والله أعلم.

قوله ﷺ: (فيقطعه جزلتين رمية الغرض) بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها، أي قطعتين. ومعنى (رمية الغرض) أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته. هذا هو الظاهر المشهور، وحكى القاضي هذا، ثم قال: وعندي أن فيه تقديمًا وتأخيرًا، وتقديره فيصيبه إصابة رمية الغرض، فيقطعه جزلتين، والصحيح الأول.

قوله: (فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين) أما (المنارة) فبفتح الميم وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق، ودمشق بكسر الدال وفتح الميم، وهذا هو المشهور، وحكى صاحب المطالع كسر الميم، وهذا الحديث من فضائل دمشق. وفي (عند) ثلاث لغات: كسر العين وضمها وفتحها، والمشهور الكسر.

وأما (المهرودتان) فروي بالدال المهملة، والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورسٍ ثم بزعفرانٍ، وقيل: هما شقتان، والشقة نصف الملاءة.

قوله ﷺ: (تحدر منه جمان كاللؤلؤ) الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمانًا لشبهه به في الصفاء.

قوله ﷺ: (فلا يحل لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات) هكذا الرواية: (فلا يحل) بكسر الحاء. و (نفسه) بفتح الفاء. ومعنى (لا يحل) لا يمكن ولا يقع، وقال القاضي: معناه عندي حق وواجب. قال: ورواه بعضهم بضم الحاء، وهو وهم وغلط.

قوله ﷺ: (يدركه بباب لد) هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف، وهو بلدة قريبة من بيت المقدس.

قوله ﷺ: (ثم يأتي عيسى ﷺ قومًا قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم) قال القاضي يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره، فيمسح على وجوههم تبركًا وبرا. ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف.

قوله تعالى: (أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور) فقوله: (لا يدان) بكسر النون تثنية (يد).

قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة، يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان؛ لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه.

ومعنى: (حرزهم إلى الطور) أي ضمهم واجعله لهم حرزًا. يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازًا إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن الأخذ. وقع في بعض النسخ (حزب) بالحاء والزاي والباء أي اجمعهم. قال القاضي: وروي (حوز) بالواو والزاي، ومعناه نحهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور.

قوله: (وهم من كل حدب ينسلون) (الحدب) النشز و(ينسلون) يمشون مسرعين.

قولهﷺ: (فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى) (النغف) بنونٍ وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء، وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة: نغفة. و(الفرسى) بفتح الفاء مقصور أي قتلى، واحدهم فريس.

قولهﷺ: (ملأه زهمهم ونتنهم) هو بفتح الهاء أي دسمهم ورائحتهم الكريهة.

قولهﷺ: (لا يكن منه بيت مدر) أي لا يمنع من نزول الماء بيت. (المدر) بفتح الميم والدال، وهو الطين الصلب.

قولهﷺ: (فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة) روي بفتح الزاي واللام والقاف، وروي (الزلفة) بضم الزاء وإسكان اللام وبالفاء، وروي (الزلفة) بفتح الزاي واللام وبالفاء.

وقال القاضي: روي بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها. وكلها صحيحة. قال في المشارق: والزاي مفتوحة. واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: معناه كالمرآة، وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضًا، شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها، وقيل: كمصانع الماء أي إن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل: كالروضة.

قولهﷺ: (تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها) العصابة الجماعة، و(قحفها) بكسر القاف هو مقعر قشرها، شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

قولهﷺ: (ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس) (الرسل) بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن، واللقحة بكسر اللام وفتحها، لغتان مشهورتان، والكسر أشهر، وهي القريبة العهد بالولادة، وجمعها لقح بكسر اللام وفتح القاف، كبركةٍ وبرك. واللقوح ذات اللبن، وجمعها لقاح. والفئام بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة، وهي الجماعة الكثيرة. هذا هو المشهور والمعروف في اللغة وكتب الغريب، ورواية الحديث أنه بكسر الفاء والهمز. قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز، بل يقوله بالياء.

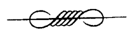
وقال في المشارق: وحكاه الخليل بفتح الفاء، وهي رواية القابسي. قال: وذكره صاحب العين غير مهموز، فأدخله في حرف الياء، وحكى الخطابي أن بعضهم ذكره بفتح الفاء وتشديد الياء، وهو غلط فاحش.

قوله ﷺ: (لتكفي الفخذ من الناس) قال أهل اللغة: الفخذ الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. قال القاضي: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال إلا بإسكانها، بخلاف الفخذ التي هي العضو، فإنها تكسر وتسكن.

قوله ﷺ: (فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم) هكذا هو في جميع نسخ مسلم: (وكل مسلم) بالواو.

قوله ﷺ: (يتهارجون تهارج الحمر) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك: (والهرج) بإسكان الراء الجماع، يقال: هرج زوجته أي جامعها يهرجها، بفتح الراء وضمها وكسرها.

قوله ﷺ: (يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر) هو بخاءٍ معجمة وميم مفتوحتين، والخمر الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس.



كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا

(١٣٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ» [١].

الشرح [٢]:

قوله ﷺ: (فيقال لأركانه) أي لجوارحه.

وقوله: (كنت أناضل) أي أدافع وأجادل.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب منه، حديث (٢٩٦٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٠٥).

أَنَا أَغْنَى الشُرَكَاءِ عَنِ الشِرْكِ

(١٣٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُرَكَاءِ عَنِ الشِرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» [١].

الشرح [٢]:

قوله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه) هكذا وقع في بعض الأصول (وشركه)، وفي بعضها (وشريكه)، وفي بعضها: (وشركته). ومعناه أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير. والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به.



---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله...، حديث (٢٩٨٥).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/١١٦).

انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاةَ يَخَافُ مِنِّي

(١٣٨) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ وَيُصَلِّي فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاَةَ يَخَافُ مِنِّي؛ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ» [١].

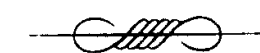
الشرح [٢]:

قوله: (يعجب ربك): أي يرضى. قال النووي: التعجب على الله محال إذ لا يخفى عليه أسباب الأشياء والتعجب إنما يكون مما خفي سببه، فالمعنى عظم ذلك عنده وكبر، وقيل معناه الرضا والخطاب إما للراوي أو لواحدٍ من الصحابة غيره.

وقيل: الخطاب عام (من راعي غنم): اختار العزلة من الناس (في رأس شظية بجبل): بفتح الشين المعجمة وكسر الظاء المعجمة وتشديد التحتانية أي قطعة من رأس الجبل، وقيل هي الصخرة العظيمة الخارجة من الجبل كأنها أنف الجبل (يؤذن للصلاة ويصلي): وفائدة تأذينه إعلام الملائكة والجن بدخول الوقت فإن لهم صلاة أيضًا، وشهادة الأشياء على توحيده ومتابعة سنته والتشبه بالمسلمين في جماعتهم.

وقيل: إذا أذن وأقام تصلي الملائكة معه ويحصل له ثواب الجماعة والله أعلم (فيقول الله عز وجل): أي لملائكته وأرواح المقربين عنده، (انظروا إلى عبدي هذا): تعجيب للملائكة من ذلك الأمر بعد التعجب لمزيد التفخيم وكذا تسميته بالعبد وإضافته إلى نفسه والإشارة بهذا تعظيم على تعظيم (يخاف مني): أي يفعل ذلك خوفًا من عذابي لا ليراه أحد.

وفي الحديث: دليل على استحباب الأذان والإقامة للمنفرد (قد غفرت لعبدي): فإن الحسنات يذهبن السيئات (وأدخلته الجنة): فإنها دار المثوبات قال المنذري: رجال إسناده ثقات.



(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الأذان في السفر، حديث (١٢٠٣).
(٢) عون المعبود (٤/ ٥٠).

يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ

(١٣٩) عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ» (١).

الشرح (٢):

(يا ابن آدم): وفي بعض النسخ بحذف حرف النداء (لا تعجزني): يقال: أعجزه الأمر إذا فاته أي لا تفوتني من العبادة.

قال الحافظ العراقي: أي تفتني بأن لا تفعل ذلك فيفوتك كفايتي آخر النهار (في أول نهارك): يحتمل أن يراد بها فرض الصبح وركعتا الفجر أو أريد بالأربع المذكورة صلاة الضحى وإليه جنح المؤلف وعليه عمل الناس (أكفك آخره): يحتمل أن يراد كفايته من الآفات والحوادث الضارة، وأن يراد حفظه من الذنوب والعفو عما وقع منه في ذلك أو أعم من ذلك قاله السيوطي.

قال الشوكاني: واستدل بالحديث على مشروعية الضحى ولكنه لا يتم إلا على تسليم أنه أريد بالأربع المذكورة صلاة الضحى. وقد قيل يحتمل أن يراد بها فرض الصبح وركعتا الفجر لأنها هي التي أول النهار حقيقة ويكون معناه كقوله ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله» (٣).

قال العراقي: وهذا ينبنيء على أن النهار هل هو من طلوع الفجر أو من طلوع الشمس، والمشهور الذي يدل عليه كلام جمهور أهل اللغة وعلماء الشريعة أنه من طلوع الفجر. قال: وعلى تقدير أن يكون النهار من طلوع الفجر فلا مانع من أن يراد بهذه الأربع الركعات بعد طلوع الشمس لأن ذلك الوقت ما خرج عن كونه أول النهار وهذا هو الظاهر من الحديث وعمل الناس، فيكون المراد بهذه الأربع ركعات صلاة الضحى انتهى.

وقد اختلف في وقت دخول الضحى فروى النووي في الروضة عن أصحاب الشافعي أن وقت الضحى يدخل بطلوع الشمس ولكن يستحب تأخيرها إلى ارتفاع الشمس، وذهب البعض منهم إلى

---

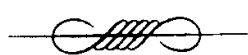
(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى، حديث (١٢٨٩).

(٢) عون المعبود (٤/ ١١٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، برقم (٦٥٧)، والترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، برقم (٢٢٢)، وأحمد، (١٨٣٢٦)، من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنهما.

أن وقتها يدخل من الارتفاع، وبه جزم الرافعي وابن الرفعة.

قال المنذري: وأخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء وأبي ذر [(١)] وقال حسن غريب هذا آخر كلامه. وفي إسناده إسماعيل بن عياش وفيه مقال، ومن الأئمة من يصحح حديثه عن الشاميين، وهذا الحديث شامي الإسناد، وحديث أبي همار قد اختلف الرواة فيه اختلافًا كثيرًا وقد جمعت طرقه في جزء مفرد. وحمل العلماء هذه الركعات على صلاة الضحى. وقال بعضهم النهار يقع عند أكثرهم على ما بين طلوع الشمس إلى غروبها وأخرجه أبو داود والترمذي في باب صلاة الضحى [(٢)]، وذكر بعضهم أن نعيم بن همار روى عن النبي ﷺ حديثًا واحدًا وذكر هذا الحديث. وقد وقع لنا أحاديث من روايته عن رسول الله ﷺ غير هذا. وقد قيل في اسم أبيه هبار بالباء الموحدة وهدار بالدال المهملة وهمام بميمين، وقيل خمار بالخاء المفتوحة المعجمة، وقيل حمار بالحاء المهملة المكسورة انتهى.



(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في صلاة الضحى، برقم (٤٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».
(٢) سبق تخريجه.

انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ

(١٤٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ يَعْنِي أَصْحَابَهُ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ [١].

الشرح [٢]:

(عجب ربنا): قال المناوي: أي رضي واستحسن. وقال في النهاية: أي عظم عنده وكبر لديه، وإطلاق التعجب على الله مجاز لأنه لا يخفى عليه أسباب الأشياء. والعجب ما خفي سببه ولم يعلم (فعلم ما عليه).

قال المناوي: من حرمة الفرار (حتى أهريق): بضم الهمزة وفتح الهاء الزائدة أي أريق (دمه): نائب الفاعل (فيقول الله عز وجل لملائكته): أي مباهيًا به (فيما عندي): أي من الثواب (وشفقة): أي خوفًا (مما عندي): أي من العقاب. قال العلقمي: في الحديث دليل على أن الغازي إذا انهزم أصحابه وكان في ثباته للقتال نكاية للكفار فيستحب الثبات لكن لا يجب كما قاله السبكي، وأما إذا كان الثبات موجهًا للهلاك المحض من غير نكاية فيجب الفرار قطعًا. انتهى.

والحديث سكت عنه المنذري.

* * *

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يشري نفسه، حديث (٢٥٣٦).

(٢) عون المعبود (٧/ ١٥١).

أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ

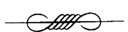
(١٤١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه رَفَعَهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا» (١).

الشرح (٢):

قوله: (أنا ثالث الشريكين): أي معهما بالحفظ والبركة أحفظ أموالهما وأعطيهما الرزق والخير في معاملتهما (خرجت من بينهم): وفي بعض النسخ «من بينهما» بالتثنية وهو الظاهر، أي زالت البركة بإخراج الحفظ عنهما. وزاد رزين «وجاء الشيطان» أي ودخل بينهما وصار ثالثهما.

قال الطيبي رحمه الله: الشركة عبارة عن اختلاط أموال بعضهم ببعض بحيث لا يتميز، وشركة الله تعالى إياهما على الاستعارة، كأنه تعالى جعل البركة والفضل والربح بمنزلة المال المخلوط، فسمى ذاته تعالى ثالثهما، وجعل خيانة الشيطان ومحقه البركة بمنزلة المخلوط وجعله ثالثهما.

وقوله: (خرجت من بينهما) ترشيح الاستعارة. وفيه استحباب الشركة فإن البركة منصبة من الله تعالى فيها بخلاف ما إذا كان منفردًا، لأن كل واحد من الشريكين، يسعى في غبطة صاحبه، وأن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم. والحديث سكت عنه المنذري.



---

(١) رواه أبو داود، كتاب البيوع، باب في الشركة، حديث (٣٣٨٣).
(٢) عون المعبود (٩/ ١٧٠).

اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا

(١٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا» [١].

الشرح [٢]:

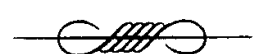
(لا يسمع بها أحد إلا دخلها) أي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يهتم إلا بشأنها لحسنها وبهجتها (ثم حفها) أي أحاطها الله (بالمكاره) جمع كره وهو المشقة والشدة على غير قياس، والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الإنسانية (وعزتك) الواو للقسم (لقد خشيت أن لا يدخلها أحد) قال الطيبي رحمه الله: أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة النفس وكسر الشهوات (لا يسمع بها أحد فيدخلها) أي لا يسمع بها أحد إلا فزع منها واحترز فلا يدخلها (لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها) أي لميلان النفس إلى الشهوات وحب اللذات وكسلها عن الطاعات.

قال المنذري: وأخرجه الترمذي والنسائي [٣]، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديثه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» [٤] وأخرجه أيضًا من حديث الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، ذكر بعضهم أن هذا من بديع الكلام وجوامعه الذي أوتيه ﷺ من التمثيل الحسن،

(١) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، حديث (٤٧٤٤).
(٢) عون المعبود (١٣/ ٥٤).
(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، برقم (٢٥٦٠)، والنسائي، (٣٧٦٣)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح جامع الترمذي».
(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: برقم (٢٨٢٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فإن حفاف الشيء جانباه فكأنه أخبر ﷺ أنه لا يوصل إلى الجنة إلا بتخطي المكاره، وكذلك الشهوات وما تميل إليه النفوس، وأن اتباع الشهوات يلقي في النار ويدخلها، فإنه لا ينجو منها إلا من تجنب الشهوات وفيه تنبيه على اجتنابها.



أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا

(١٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا».

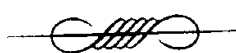
قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا) أي أكثرهم تعجيلاً في الإفطار. قال الطيبي: ولعل السبب في هذه المحبة المتابعة للسنة والمباعدة عن البدعة والمخالفة لأهل الكتاب انتهى.

وقال القاري: وفيه إيماءٌ إلى أفضلية هذه الأمة لأن متابعة الحديث توجب محبة الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وإليه الإشارة بحديث: «لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون» انتهى.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) ورواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما [(٣)] نقله ميركٌ، كذا في المرقاة.



---

(١) رواه الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في تعجيل الإفطار، حديث (٧٠٠).

(٢) تحفة الأحوذي (٣/ ٣١٦).

(٣) أخرجه أحمد، (٧٢٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ٢٧٥)، برقم (٣٥٠٧) من حديث أبي هريرة ولم أقف عليه عند ابن خزيمة، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع»، (٤٠٤١).

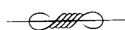
ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ

(١٤٤) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (على شفير القبر) أي على طرفه (حدثني ضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب) بفتح المهملة وسكون الراء وفتح الزاي ثم موحدةٌ ثقةٌ من الثالثة (قال الله لملائكته) أي ملك الموت وأعوانه (قبضتم) على تقدير الاستفهام (ولد عبدي) أي روحه (فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده) أي يقول ثانيًا إظهارًا لكمال الرحمة كما أن الوالد العطوف يسأل الفصاد هل فصدت ولدي مع أنه بأمره ورضاه. وقيل سمى الولد ثمرة فؤاده لأنه نتيجة الأب كالثمرة للشجرة (واسترجع) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون (وسموه بيت الحمد) أضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة لأنه جزاء ذلك الحمد، قاله القاري.



(١) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، حديث (١٠٢١).
(٢) تحفة الأحوذي (٤/ ٨٧).

إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ

(١٤٥) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَعْنِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»**.

قال الترمذي: صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (يعني يقول الله) الظاهر أن قائله أنسٌ، أي يريد ﷺ أن المجاهد في سبيل إلخ من الأحاديث الإلهية. ووقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه قال: **«أيما عبدٍ من عبادي خرج مجاهدًا في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له إن أرجعته أن أرجعه بما أصاب من أجرٍ أو غنيمةٍ، وإن قبضته غفرت له»** [(٣)]، رواه النسائي (وهو علي ضامنٌ) كذا في النسخ الحاضرة بلفظ ضمانٍ. وفي ترغيب المنذري نقلاً عن الترمذي بلفظ ضامنٌ، وكذا نقله الحافظ في الفتح وقال: قوله هو علي ضامنٌ أي مضمونٌ، أو معناه أنه ذو ضمانٍ انتهى.

(وإن رجعته) أي أرجعته. قال في القاموس: رجع يرجع رجوعًا انصرف، والشيء عن الشيء وإليه رجعًا صرفه ورده كأرجعه.

قوله: (هذا حديثٌ غريبٌ صحيحٌ) قال المنذري بعد ذكره: وهو في الصحيحين وغيرهما بنحوه من حديث أبي هريرة وتقدم انتهى [(٤)]. قلت: ذكر المنذري فيما تقدم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي فهو ضامنٌ أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ إلخ»** [(٥)]، رواه مسلمٌ واللفظ له، ورواه مالكٌ والبخاري والنسائي ولفظهم: **«تكفل الله من**

---

(١) رواه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الجهاد، حديث (١٦٢٠).

(٢) تحفة الأحوذي (٥/ ٢٠٦).

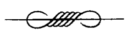
(٣) أخرجه النسائي، كتاب: الجهاد، باب: ثواب السرية التي تخفق، برقم (٣١٢٦)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح سنن النسائي».

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله..، برقم (٢٧٨٧)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم (١٨٧٦).

(٥) انظر ما قبله.

مجاهدٍ في سبيله» [1] إلخ .

قال الحافظ في الفتح : تضمن الله ، وتكفل الله ، وانتدب الله بمعنًى واحدٍ ومحصله تحقيق المذكور في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة :١١١] وذلك التحقيق على وجه الفضل منه سبحانه وتعالى ، وقد عبر ﷺ عن الله سبحانه وتعالى بتفضله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه مما جرت به عادة المخاطبين فيما تطمئن به نفوسهم .



(١) أخرجه البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب: قول النبي ﷺ، أحلت لي الغنائم برقم (٣١٢٣)، والنسائي، كتاب: الجهاد، باب: ما تكفل الله عز وجل عن المجاهد في سبيله، برقم (٣١٢٢)، ومالك، (٩٧٤).

يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ

(١٤٦) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وفي رواية عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَى لِي الأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَأَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ» [١].

الشرح [٢]:

قوله ﷺ: (إن الله قد زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض) أما (زوي) فمعناه جمع، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ.

قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام. فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع. وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

قوله ﷺ: (فيستبيح بيضتهم) أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضًا العز والملك.

قوله سبحانه وتعالى: (وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة) أي لا أهلكهم بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام. فلله الحمد والشكر على جميع نعمه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث (٢٨٨٩).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٣).

(١٤٧) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إن الله زوى لي الأرض) أي جمعها لأجلي. قال التوربشتي زويت الشيء جمعته وقبضته، يريد به تقريب البعيد منها، حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب منها (فرأيت مشارقها ومغاربها) أي جميعها (وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها) قال الخطابي توهم بعض الناس أن من في منها للتبعيض، وليس ذلك كما توهمه بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة، ومعناه أن الأرض زويت لي جملتها مرةً واحدةً فرأيت مشارقها ومغاربها، ثم هي تفتح لأمتي جزءًا فجزءًا حتى يصل ملك أمتي إلى كل أجزائها.

قال القاري: ولعل وجه من قال بالتبعيض هو أن ملك هذه الأمة ما بلغ جميع الأرض فالمراد بالأرض أرض الإسلام، وأن ضمير منها راجعٌ إليها على سبيل الاستخدام (وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض) بدلان مما قبلهما أي كنز الذهب والفضة. قال التوربشتي: يريد بالأحمر والأبيض خزائن كسرى وقيصر، وذلك أن الغالب على نقد ممالك كسرى الدنانير، والغالب على نقد ممالك قيصر الدراهم (بسنةٍ عامةٍ) أي بقحطٍ شائعٍ لجميع بلاد المسلمين. قال الطيبي: السنة القحط والجدب وهو من الأسماء الغالبة (وأن لا يسلطَ عليهم عدوا) وهم الكفار.

وقوله: (من سوى أنفسهم) صفةٌ (عدوا) أي كائنًا من سوى أنفسهم (فيستبيح) أي العدو وهو مما يستوي فيه الجمع والمفرد أي يستأصل (بيضتهم) قال الجزري في النهاية أي مجتمعهم، وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم، وبيضة الدار وسطها ومعظمها، أراد عدوا يستأصلهم

(١) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ثلاثا في أمته، حديث (٢١٧٦).
(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٣٢).

ويهلكهم جميعهم، قيل: أراد إذا أهلك أصل البيضة كان هلاك كل ما فيها من طعم أو فرخ. وإذا لم يهلك أصل البيضة بما سلم بعض فراخها. وقيل أراد بالبيضة الخوذة، فكأنه شبه مكان اجتماعهم والتآمهم ببيضة الحديد، انتهى ما في النهاية.

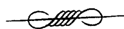
(إذا قضيت قضاءً) أي حكمت حكمًا مبرمًا (فإنه لا يرد) أي بشيءٍ لخلاف الحكم المعلق بشرط وجود شيءٍ أو عدمه (وإني أعطيتك) أي عهدي وميثاقي (لأمتك) أي لأجل أمة إجابتك (أن لا أهلكهم بسنةٍ عامةٍ) أي: بحيث يعمهم القحط ويهلكهم بالكلية.

قال الطيبي: اللام في لأمتك هي التي في قوله سابقًا: سألت ربي لأمتي أي أعطيت سؤالك لدعائك لأمتك والكاف هو المفعول الأول.

وقوله: أن لا أهلكهم المفعول الثاني كما هو في قوله: سألت ربي أن لا يهلكها هو المفعول الثاني (ولو اجتمع عليهم من) أي الذين هم (بأقطارها) أي بأطرافها جمع قطرٍ وهو الجانب والناحية. والمعنى فلا يستبيح عدو من الكفار بيضتهم ولو اجتمع على محاربتهم من أطراف بيضتهم، وجواب «لو» ما يدل عليه قوله: (وأن لا أسلط).

(أو قال من بين أقطارها) أو الشك من الراوي (ويسبي) كيرمي بالرفع عطفٌ على يهلك أي ويأسر (بعضهم) بوضع الظاهر موضع المضمر (بعضًا) أي بعضًا آخر.

قال الطيبي: «حتى» بمعنى «كي» أي لكي يكون بعض أمتك يهلك بعضًا، فقوله إني إذا قضيت قضاءً فلا يرد توطئةً لهذا المعنى، ويدل عليه حديث خباب ابن الأرت يعني حديثه المذكور في هذا الباب، قال المظهر: اعلم أن لله تعالى في خلقه قضاءين مبرمًا ومعلقًا بفعلٍ، كما قال إن الشيء الفلاني كان كذا وكذا، وإن لم يفعله فلا يكون كذا وكذا من قبيل ما يتطرق إليه المحو والإثبات كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] وأما القضاء المبرم فهو عبارةٌ عما قدره سبحانه في الأزل من غير أن يعلقه بفعلٍ، فهو في الوقوع نافذٌ غاية النفاذ، بحيث لا يتغير بحالةٍ ولا يتوقف على المقضى عليه، ولا المقضي له؛ لأنه من علمه بما كان وما يكون، وخلاف معلومه مستحيلٌ قطعًا، وهذا من قبيل ما لا يتطرق إليه المحو والإثبات قال تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١] وقال النبي عليه السلام: «لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه». فقوله ﷺ: «إذا قضيت قضاءً فلا يرد من القبيل الثاني» ولذلك لم يجب إليه، وفيه أن الأنبياء مستجابو الدعوة إلا في مثل هذا.



أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى

(١٤٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَمَنْ اتَّقَانِي فَلَمْ يَجْعَلْ مَعِي إِلَهًا فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَسُهَيْلٌ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ ثَابِتٍ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المدثر: ٥٦]) أي هو الحقيق بأن يتقيه المتقون بترك معاصيه والعمل بطاعته (﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]) أي هو الحقيق بأن يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب والحقيق بأن يقبل توبة التائبين من العصاة فيغفر ذنوبهم (فمن اتقاني) أي خافني (فأنا أهلٌ أن أغفر له) أي لمن اتقاني.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) وأخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والبزار وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه [٣] وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباسٍ مرفوعًا نحوه [٤].

* * *

(١٤٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ أَوْ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى فَلَا يُجْعَلْ مَعِي إِلَهٌ آخَرُ، فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهًا آخَرَ فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ».

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] قَالَ

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المدثر، حديث (٣٣٢٨).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ١٤٧).

(٣) أخرجه أحمد، (١٢٠٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٥٠١)، برقم (١١٦٣٠)، وابن ماجه، (٤٢٩٩)، وأبو يعلى في «مسنده»، (٦/ ٦٦)، برقم (٣٣١٧)، وعزاه ابن أبي عاصم في «السنة» لابن مردويه، وقد ضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع»، (٤٠٦١).

(٤) انظر ما قبله.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ رَبُّكُمْ أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى فَلاَ يُشْرَكُ بِي غَيْرِي، وَأَنَا أَهْلٌ لِمَنِ اتَّقَى أَنْ يُشْرِكَ بِي أَنْ أَغْفِرَ لَهُ» (١).

الشرح (٢):

قوله: (أنا أهل أن أتقى) على بناء المفعول من اتقى (أن يجعل معي إلهًا) وفي بعض النسخ فمن اتقى أن لا يشرك معي إلهًا فكلمة لا زائدة.

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث (٤٢٩٩).

(٢) حاشية السندي على ابن ماجه، حديث (٤٢٩٩).

أَلَمْ أُعلمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟

(١٥٠) عن عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلاَ قُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ.

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثَ قَلِيلاً ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: أَفْعَلُ، لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلاً ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلاَنًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ». ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقَالَ الْوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّ شُفَيًّا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ. وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦] .[١]

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

الشرح [٢]:

قوله: (أنه) أي شفيا (فلما سكت) أي عن التحديث (وخلا) أي بقي منفردًا (وأسالك بحق وبحق) التكرار للتأكيد والباء زائدةٌ. والمعنى أسألك حقا غير باطل (لما حدثتني حديثًا) كلمة لما هاهنا بمعنى ألا. قال في القاموس ولما يكون بمعنى حين ولم الجازمة وألا، وإنكار الجوهري كونه بمعنى ألا غير جيدٍ. يقال: سألتك كما فعلت أي ألا فعلت. ومنه ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] انتهى.

(ثم نشغ) بفتح النون والشين المعجمة بعدها غينٌ معجمةٌ أي شهق حتى كاد يغشى عليه أسفًا أو خوفًا قاله المنذري. وقال الجزري في النهاية: النشغ في الأصل الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشي وإنما يفعل الإنسان ذلك تشوقًا إلى شيءٍ فائتٍ وأسفًا عليه ومنه. حديث أبي هريرة أنه ذكر النبي ﷺ فنشغ نشغةً أي شهق وغشي عليه، انتهى.

(مال خارا) من الخرور أي ساقطًا (فأسندته). قال في الصراح إسناد تكية دادن جيزي رابجيزي (وكل أمةٍ جاثيةٌ) قال في القاموس: جثا كدعا ورمى جثوا وجثيا بضمهما جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه انتهى (يدعو) أي الله تعالى (به) الضمير راجعٌ إلى من (رجلٌ جمع القرآن) أي حفظه (قتل) بصيغة المجهول (فماذا عملت) من العمل (فيما علمت) من العلم (كنت أقوم به) أي بالقرآن (آناء الليل وآناء النهار) أي ساعاتهما.

قال الأخفش: واحدها إِنًى مثل مِعًى، وقيل واحدها إِنْيٌ وإِنْوٌ، يقال مضى من الليل إنوانٌ

(١) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، حديث (٢٣٨٢).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٦).

وإنيانٌ (فقد قيل ذلك) أي ذلك القول فحصل مقصودك وغرضك (ألم أوسع عليك) أي ألم أكثر مالك (حتى لم أدعك) أي لم أترك من ودع يدع (جوادٌ) أي سخي كريمٌ (جريءٌ) فعيلٌ من الجرأة فهو مهموزٌ، وقد يدغم أي شجاعٌ (تسعر) من التسعير أي توقد.

والحديث دليلٌ على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصًا، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمولٌ على من فعل ذلك لله تعالى مخلصًا (وحدثني العلاء بن أبي حكيم) قال في التقريب: العلاء بن أبي حكيم يحيى الشامي سياف معاوية ثقةٌ من الرابعة (قد فعل بهؤلاء) أي القارئ والشهيد والجواد المذكورين في الحديث (﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود:١٥]) يعني بعمله الذي يعمله من أعمال البر. نزلت في كل من عمل عملاً يبتغي به غير الله عز وجل (﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ [هود:١٥]) يعني أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم الرزق ويدفع عنهم المكاره في الدنيا ونحو ذلك (﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾ [هود:١٥]) أي لا ينقصون من أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملةً موفورةً (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ [هود:١٦]) أي وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود:١٦]) لأنه لغير الله.

واختلف المفسرون في المعنيّ بهذه الآية: فروى قتادة عن أنسٍ أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله.

وقال الضحاك: من عمل عملاً صالحًا في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطي على ذلك أجرًا في الدنيا وهو أن يصل رحمًا أو يعطي سائلاً أو يرحم مضطرا أو نحو هذا من أعمال البر فيعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما حوله، ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيبٌ.

ويدل على صحة هذا القول: سياق الآية وهو قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ [هود:١٦]) الآية. وهذه حالة الكافر في الآخرة.

وقيل: نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله ﷺ الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة.

وقيل: إن حمل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن

الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة.

قال مجاهدٌ في هذه الآية: هم أهل الرياء وهذا القول مشكلٌ لأن قوله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [هود:١٦] لا يليق بحال المؤمن إلا إذا قلنا إن تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار، كذا في تفسير الخازن.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه [١].



(١) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١١٥، ١١٦)، برقم (٢٤٨٢)، وقد صححه الألباني كما في تخريجه لصحيح ابن خزيمة.

يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ

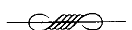
(١٥١) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي: قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يُرْجَعُونَ، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآيَةَ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ جَابِرٍ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَلاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْحَدِيثِ هَكَذَا عَنْ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (ما لي أراك منكسرًا) وفي رواية ابن مردويه «مهتمًا» (فكلمه كفاحًا) أي مواجهةً ليس بينهما حجابٌ ولا رسولٌ (تحييني) من الإحياء مضارعٌ بمعنى الأمر أي أحيني (ثانيةً) أي مرةً ثانيةً (قال الرب تبارك تعالى: إنه قد سبق مني ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥])زاد في رواية ابن مردويه قاله أي رب فأبلغ من ورائي.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) وأخرجه ابن مردويه (هكذا عن موسى ابن إبراهيم) أي مطولاً (وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيلٍ عن جابرٍ شيئًا من هذا) أي مختصرًا ورواية عبد الله بن محمد بن عقيلٍ هذه وصلها أحمد في مسنده [٣].



(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، حديث (٣٠١٠).
(٢) تحفة الأحوذي (٨/ ٢٨٧).
(٣) أخرجه أحمد، (١٤٤٦٧)، وقد صححه الألباني كما في «الصحيحة»، (٣٢٩٠).

يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟

(١٥٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ أَحْسَبُهُ قَالَ: فِي المَنَامِ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فِي الكَفَّارَاتِ، وَالكَفَّارَاتُ: المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» قَالَ: «وَالدَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّلاَمِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**».

قَالَ أَبُو عِيسَى: وَقَدْ ذَكَرُوا بَيْنَ أَبِي قِلاَبَةَ وَبَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الحَدِيثِ رَجُلاً، وَقَدْ رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ اللَّجْلاَجِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [(١)].

الشرح [(٢)]:

قوله: (أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة) الظاهر أن إتيانه تعالى كان في المنام يدل على ذلك قول الراوي: أحسبه في المنام. ويدل على ذلك أيضًا حديث معاذ بن جبلٍ الآتي ففيه «**فنعست في صلاتي فاستثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة**».

قال القاري في المرقاة: إذا كان هذا في المنام فلا إشكال فيه إذ الرائي قد يرى غير المتشكل متشكلاً والمتشكل بغير شكله ثم لم يعد ذلك بخللٍ في الرؤيا ولا في خلد الرائي بل له أسبابٌ أخر تذكر في علم المنام أي التعبير، ولولا تلك الأسباب لما افتقرت رؤيا الأنبياء عليهم السلام إلى تعبيرٍ وإن كان في اليقظة وعليه ظاهر ما روى أحمد بن حنبلٍ فإن فيه «**فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة**» [(٣)] الحديث، فذهب السلف في أمثال هذا

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، حديث (٣٢٣٣).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٧٣).

(٣) أخرجه أحمد، (٢١٦٠٤)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقد صححه الألباني كما في «المشكاة»، (٧٤٨).

الحديث إذا صح أن يؤمن بظاهره ولا يفسر بما يفسر به صفات الخلق بل ينفى عنه الكيفية ويوكل علم باطنه إلى الله تعالى فإنه يري رسوله ما يشاء من وراء أستار الغيب بما لا سبيل لعقولنا إلى إدراكه، لكن ترك التأويل في هذا الزمان مظنة الفتنة في عقائد الناس لفشو اعتقادات الضلال وإن تأول بما يوافق الشرع على وجه الاحتمال لا القطع حتى لا يحمل على ما لا يجوز شرعًا فله وجهٌ، فقوله: (في أحسن صورةٍ) يحتمل أن يكون معناه رأيت ربي حال كوني في أحسن صورةٍ وصفةٍ من غاية إنعامه ولطفه علي. أو حال كون الرب في أحسن صورةٍ وصورة الشيء ما يتميز به عن غيره سواءً كان عين ذاته أو جزأه المميز له عن غيره أو صفته المميزة، وكما يطلق ذلك في الجثة يطلق في المعاني، يقال في صورة المسألة كذا وصورة الحال كذا، فصورته تعالى والله أعلم ذاته المخصوصة المنزهة عن مماثلة ما عداه من الأشياء البالغة إلى أقصى مراتب الكمال أو صفته المخصوصة به أي كان ربي أحسن إكرامًا ولطفًا من وقتٍ آخر، كذا نقله الطيبي والتوربشتي انتهى ما في المرقاة.

قلت: الظاهر الراجح أنه كان في المنام فإن رواية الترمذي الآتية أرجح من رواية أحمد. قال ابن حجرٍ المكي: والظاهر أن رواية حتى استيقظت تصحيفٌ فإن المحفوظ من رواية أحمد والترمذي حتى استثقلت انتهى.

وقال الحافظ ابن كثير بعد نقل هذا الحديث عن مسند الإمام أحمد: وهو حديث المنام المشهور «ومن جعله يقظةً فقد غلط» انتهى. وعلى تقدير كون ذلك في اليقظة فمذهب السلف في مثل هذا من أحاديث الصفات إمراره كما جاء من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ والإيمان به من غير تأويلٍ له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بأن الله تعالى ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير؛ ومذهب السلف هذا هو المتعين ولا حاجة إلى التأويل. وأما القول بأن ترك التأويل في هذا الزمان مظنة الفتنة في عقائد الناس لفشو اعتقادات الضلال فمما لا التفات إليه.

(فيم) أي في أي شيءٍ (يختصم) أي يبحث (الملأ الأعلى) أي الملائكة المقربون والملأ هم الأشراف الذين يملئون المجالس والصدور عظمةً وإجلالاً ووصفوا بالأعلى إما لعلو مكانهم وإما لعلو مكانتهم عند الله تعالى.

واختصامهم إما عبارةٌ عن تبادرهم إلى إثبات تلك الأعمال والصعود بها إلى السماء وإما عن تقاولهم في فضلها وشرفها وإما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل لاختصاصهم بها وتفضلهم على الملائكة بسببها مع تهافتهم في الشهوات، وإنما سماه مخاصمةً لأنه ورد مورد سؤالٍ وجوابٍ وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه (قال) أي النبي ﷺ: «فوضع» أي ربي «يده» أي كفه «بين كتفي» بتشديد الياء وهو كنايةٌ عن تخصيصه إياه

بمزيد الفضل عليه وإيصال الفيض إليه فإن من شأن المتلطف بمن يحنو عليه أن يضع كفه بين كتفيه تنبيهًا على أنه يريد بذلك تكريمه وتأييده قاله القاري.

قلت: قد عرفت مذهب السلف في مثل هذا وهو المعتمد «بين ثديي» بالتثنية والإضافة إلى ياء المتكلم أي قلبي أو صدري (أو قال في نحري) شك من الراوي (نعم في الكفارات) أي يختصمون في الكفارات (والكفارات) مبتدأ وخبره المكث في المسجد إلخ وسميت هذه الخصال الكفارات لأنها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه (المكث) في القاموس المكث مثلثًا ويحرك أي اللبث (في المسجد) وفي بعض النسخ في المساجد (وإسباغ الوضوء) أي إكماله (في المكاره) أي في مدة البرد (ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير) قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] (وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه) أي فيه بفتح يوم.

قال الطيبي: مبني على الفتح لإضافته إلى الماضي وإذا أضيف إلى المضارع اختلف في بنائه؛ أي كان مبرأً كما كان مبرأً يوم ولدته أمه (إذا صليت) أي فرغت من الصلاة (فعل الخيرات) بكسر الفاء وقيل بفتحها وقيل الأول اسمٌ والثاني مصدرٌ والخيرات ما عرف من الشرع من الأقوال الحميدة والأفعال السعيدة (وترك المنكرات) هي التي لم تعرف من الشرع من الأقوال القبيحة والأفعال السيئة (وإذا أردت بعبادك فتنةً) أي ضلالةً أو عقوبةً دنيويةً (فاقبضني) بكسر الموحدة أي توفني (غير مفتونٍ) أي غير منالٍ أو غير معاقبٍ (قال) أي النبي ﷺ (والدرجات) مبتدأٌ أي ما ترفع به الدرجات (إفشاء السلام) أي بذله على من عرفه ومن لم يعرفه وإنما عدت هذه الأشياء من الدرجات لأنها فضلٌ منه على ما وجب عليه فلا جرم استحق بها فضلاً وهو على الدرجات (والناس نيامٌ) جمع نائمٍ والجملة حاليةٌ.

* * *

(١٥٣) عَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى قُلْتُ: رَبِّ لاَ أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ، وَفِي نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، وَانْتِظَارِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ

جَبَلٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِطُولِهِ وَقَالَ: «إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَثْقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟»[١].

الشرح[٢]:

قوله: (فقلت: لبيك) من التلبية وهي إجابة المنادي أي إجابتي لك يا رب وهو مأخوذٌ من لب بالمكان وألب إذا أقام به وألب على كذا لم يفارقه ولم يستعمل إلا على لفظ التثنية في معنى التكرير أي إجابةً بعد إجابةٍ وهو منصوبٌ على المصدر بعاملٍ لا يظهر كأنك قلت ألب إلبابًا بعد إلبابٍ والتلبية من لبيك كالتهليل من لا إله إلا الله (ربي) بحذف حرف النداء (وسعديك) أي ساعدت طاعتك مساعدةً بعد مساعدةٍ وإسعادًا بعد إسعادٍ، ولهذا ثني وهو من المصادر المنصوبة بفعلٍ لا يظهر في الاستعمال. قال الجرمي: لم يسمع سعديك مفردًا (رب) بحذف حرف النداء وياء الإضافة.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميدٍ ومحمد بن نصرٍ في كتاب الصلاة[٣].

قوله: (وفي الباب عن معاذ بن جبلٍ وعبد الرحمن بن عائشٍ) أما حديث معاذٍ فأخرجه الترمذي بعد هذا[٤]، وأما حديث عبد الرحمن بن عائشٍ فأخرجه الدارمي والبغوي في شرح السنة[٥].

* * *

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، حديث (٣٢٣٤).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٧٦).

(٣) لم أقف عليه عند عبد الرزاق، وأخرجه عبد بن حميد في «مسنده»، (١/ ٢٢٨)، برقم (٦٨٢)، وقد صححه الألباني كما في «صحيح الجامع»، (٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص، برقم، (٣٢٣٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح جامع الترمذي».

(٥) أخرجه الدارمي، كتاب: الرؤيا، باب: في رؤية الرب تعالى في النوم، برقم (٢١٤٩)، وقد صححه الألباني كما في «المشكاة»، (٧٢٥).

يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا آدَمُ

(١٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ. فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا آدَمُ اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ - إِلَى مَلَإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ - فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ اللَّهُ لَهُ - وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ -: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ - أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ - قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمْرِهِ. قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ. قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ قَالَ فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَّلْتَ قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ، قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ؛ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ؛ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ. قَالَ: فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

الشرح (٢):

قوله: (أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذبابٍ) في التقريب الحارث ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذبابٍ بضم المعجمة وموحدتين الدوسي بفتح الدال المدني صدوقٌ يهم من الخامسة.

قوله: (عطس) من باب نصر وضرب (فقال: الحمد لله) أي فأراد أن يقول الحمد لله (فحمد الله بإذنه) أي بأمره وحكمه أو بقضائه وقدره أو بتيسيره وتوفيقه (إلى ملأٍ منهم) يحتمل أن يكون بدلاً فيكون من كلام الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المعوذتين، حديث (٣٣٦٨).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢١٥).

ويحتمل أن يكون حالاً فيكون من كلام رسول الله ﷺ بيانًا لكلام الله تعالى وهو إلى الحال أقرب منه إلى البدل، يعني قال الله تعالى أولئك مشيرًا به إلى ملإٍ منهم (جلوسٍ) بالجر صفة ملإٍ أي جالسين أو ذوي جلوسٍ (فقل: السلام عليكم. قالوا: وعليك السلام ورحمة الله) هذا اختصارٌ والتقدير: فقل السلام عليكم فذهب آدم إليهم فقال السلام عليكم فقال وعليك السلام ورحمة الله (قال) أي الرب سبحانه (إن هذه) أي الكلمات المذكورة (وتحية بنيك) فيه تغليبٌ أي ذريتك (بينهم) أي فيما بينهم عند ملاقاتهم فهذه سنةٌ قديمةٌ (ويداه مقبوضتان) الجملة حالٌ والضمير لله.

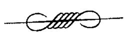
قال القاري: مذهب السلف من نفي التشبيه وإثبات التنزيه مع التفويض أسلم انتهى. قلت: بل هو الصواب (اختر أيهما) أي من اليدين. وفي المشكاة أيتهما وهو الظاهر (وكلتا يدي ربي يمينٌ) من كلام آدم أو من كلام النبي ﷺ.

وقوله: (مباركةٌ) صفةٌ كاشفةٌ (ثم بسطها) أي فتح الرب سبحانه وتعالى يمينه (فإذا فيها) أي موجودٌ (آدم وذريته) قال الطيبي: يقول النبي ﷺ يعني رأى آدم مثاله ومثال بنيه في عالم الغيب (هؤلاء ذريتك) الظاهر من كونهم في اليمين اختصاصهم بالصالحين من أصحاب اليمين والمقربين ويدل عليه أيضًا قوله: فإذا كل إنسانٍ إلخ (فإذا فيهم رجلٌ أضوءهم) فيه دلالةٌ على أن لكلهم ضياءً لكنه يختلف فيهم بحسب نور إيمانهم (أو من أضوئهم) الظاهر أنه شك من الراوي (من هذا) قال الطيبي ذكر أولاً ما هؤلاء لأنه ما عرف ما رآه ثم لما قيل له هم ذريتك فعرفهم فقال من هذا (وقد كتبت له عمر أربعين سنةً).

قال الطيبي: قوله: عمر أربعين مفعول كتبت ومؤدى المكتوب لأن المكتوب عمره أربعون سنةً ونصب أربعين على المصدر على تأويل كتبت له أن يعمر أربعين سنةً (قال يا رب زده في عمره) أي من عندك وفضلك (ذاك الذي كتب له) بصيغة المجهول، وفي بعض النسخ: كتبت بصيغة المتكلم المعلوم. قال الطيبي: ذاك الذي مبتدأٌ وخبرٌ معرفتان فيفيد الحصر أي لا مزيد على ذلك ولا نقصان (قال) يعني آدم (أي رب) أي يا رب (فإني) أي إذا أبيت من عندك فإني (قد جعلت له من عمري) أي من جملة مدة عمري وسني (ستين سنةً) أي تكملةً للمائة، والظاهر أن المراد بهذا الخبر الدعاء والاستدعاء من ربه أن يجعله سبحانه كذلك فإن أحدًا لم يقدر على هذا الجعل، وقوله قد جعلت له من عمري ستين سنةً هنا يخالف ما وقع في رواية أبي هريرة في تفسير سورة الأعراف بلفظ: زده من عمري أربعين سنةً وقد تقدم وجه الجمع هناك (قال أنت وذاك) قال القاري: يحتمل البراءة ويحتمل الإجابة.

وقال الطيبي: هو نحو قولهم كل رجلٍ وضيعته أي أنت مع مطلوبك مقرونان (ثم أسكن) بصيغة المجهول من الإسكان (ثم أهبط) أي أنزل (منها) أي من الجنة (يعد لنفسه) أي يقدر له

ويراعي أوقات أجله سنةً فسنةً (فأتاه ملك الموت) أي امتحانًا بعد تمام تسعمائةٍ وأربعين سنةً (قد عجلت) بكسر الجيم أي استعجلت وجئت قبل أوانه (فجحد) أي أنكر آدم (فجحدت ذريته) أي بناءً على أن الولد من سر أبيه (ونسي فنسيت ذريته) لأن الولد من طينة أبيه والظاهر أن معناه أن آدم نسي هذه القضية فجحد فيكون اعتذارًا له إذ يبعد منه عليه السلام أن ينكر مع التذكر (قال) أي النبي ﷺ (أمر) بصيغة المجهول أي أمر الناس أو الغائب (بالكتاب والشهود) أي بكتابة القضايا والشهود فيها.



يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي

(١٥٥) عن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ [١].

الشرح [٢]:

قوله: (إنك ما دعوتني ورجوتني) ما مصدريةٌ ظرفيةٌ أي ما دمت تدعوني وترجوني يعني في مدة دعائك ورجائك (غفرت لك على ما كان فيك) أي من المعاصي وإن تكررت وكثرت (ولا أبالي) أي والحال أني لا أتعظم مغفرتك علي وإن كان ذنبًا كبيرًا أو كثيرًا.

قال الطيبي: في قوله ولا أبالي معنى لا يسأل عما يفعل (عنان السماء) بفتح العين أي سحابها. وقيل ما علا منها أي ظهر لك منها إذا رفعت رأسك إلى السماء.

قال الطيبي: العنان السحاب وإضافتها إلى السماء تصويرٌ لارتفاعه وأنه بلغ مبلغ السماء (بقراب الأرض) بضم القاف ويكسر أي بما يقارب ملأها (خطايا) تمييز قرابٍ أي بتقدير تجسمها (لا تشرك بي شيئًا) الجملة حالٌ من الفاعل أو المفعول على حكاية الحال الماضية لعدم الشرك وقت اللقي (بقرابها مغفرةً) قال الطيبي: ثم هذه للتراخي في الإخبار وأن عدم الشرك مطلوبٌ أولى ولذلك قال لقيتني وقيد به وإلا لكان يكفي أن يقال خطايا لا تشرك بي. قال القاري: فائدة القيد أن يكون موته على التوحيد.

قوله: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ) وأخرجه أحمد والدارمي عن أبي ذر [٣].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، حديث (٣٥٤٠).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه أحمد، (٢٠٩٦١)، والدارمي، كتاب: الرقاق، باب: إذا تقرب العبد إلى الله، برقم (٢٧٨٨)، وقد حسنه الألباني في «الصحيحة»، (١٢٧).

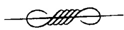
أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي

(١٥٦) عَن ابْنِ عُمَرَ عَن النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ»[١].

(١٥٧) عن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «انْتَدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْإِيمَانُ بِي وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِي أَنَّهُ ضَامِنٌ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ بِأَيِّهِمَا كَانَ إِمَّا بِقَتْلٍ أَوْ وَفَاةٍ أَوْ أَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَالَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[٢].

الشرح [٣]:

قوله: (انتدب الله) أي تكفل (لا يخرجه إلا الإيمان بي) هذا من كلامه تعالى فلا بد من تقدير القول هاهنا أي قائلًا لا يخرجه وهو حال من فاعل انتدب أو تقدير ما يؤدي مؤداه أول الكلام والمعنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول حاكيًا عن الله انتدب أو يقول قال الله تعالى انتدب الله ونحو ذلك فيكون من باب وضع الظاهر موضع الضمير وأصله انتدبت وهذا في كلامه تعالى كثير ويكون قوله: إلا الإيمان بي من باب الالتفات (أنه) أي ذلك الخارج (ضامن) أي ذو ضمان أو مضمون مرعى حاله على أنه فاعل بمعنى المفعول (حتى أدخله) من الإدخال.



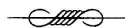
(١) رواه النسائي، كتاب الجهاد، باب ثواب السرية التي تخفق، حديث (٣١٢٦).
(٢) رواه النسائي، كتاب الجهاد، باب ما تكفل الله عز وجل لمن يجاهد في سبيله، حديث (٣١٢٣).
(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٦/١٧).

يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ

(١٥٨) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ خَيْرَ مَنْزِلٍ. فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ. فَيَقُولُ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ»[١].

الشرح[٢]:

قوله: (يؤتى بالرجل) أي الشهيد أو غيره فإنه يتمنى الرجوع إذا رأى فضل الشهيد لكن الموافق للحديث المتقدم هو الأول ويمكن التوفيق بحمل الحديث السابق على أيام البرزخ وهذا على ما بعد دخول الجنة يوم القيامة وهو مبني على إمكان غفول بعض الناس عن فناء الدنيا (أن تردني إلى الدنيا) أي عشر مرات أو مرة وعلى الثاني فمعنى فأقتل في سبيلك عشر مرات أن يقتل ثم يحيا من ساعته في مكانه والله تعالى أعلم.



(١) رواه النسائي، كتاب الجهاد، باب ما يتمنى أهل الجنة، حديث (٣١٦٠).
(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (٦/٣٦).

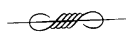
اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا

(١٥٩) عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ : «أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ : يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَا يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي قَالَا يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا : اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا»[١] .

الشرح [٢]:

قوله : (فعضلت بالملكين) الظاهر أن ضمير عضلت لهذه الكلمة والباء في الملكين للتعدية يقال أعضلني فلان أي أعياني أمره وقوله : فلم يدريا كيف يكتبانها تفسير له .

وفي الزوائد : في إسناده قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات وصدقة بن بشير ولم أر من جرحه ولا من وثقه وباقي رجال الإسناد ثقات .



---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، حديث (٣٨٠١).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، حديث (٣٨٠١).

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ

(١٦٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ»[1].

الشرح [2]:

قوله تعالى: (فله عشر أمثالها وأزيد) معناه: أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف، والزيادة بَعْدُ بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة، يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئته سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: (ومن لقيني بِقُراب الأرض خطيئة) هو بضم القاف على المشهور، وهو ما يقارب ملأها وحكي كسر القاف، نقله القاضي وغيره. والله أعلم.

* * *

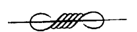
(١٦١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»[3].

الشرح [4]:

قوله: (وأزيد) على صيغة المتكلم أو على صيغة اسم التفضيل والثاني غير مناسب لقوله في

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، حديث (٢٦٨٧).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٢).
(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل العمل، حديث (٣٨٢١).
(٤) حاشية السندي على ابن ماجه، حديث (٣٩٢١).

مقابلة أو أغفر (ومن تقرب مني شبرًا) المقصود أن إقبال الله على العبد إذا أقبل العبد عليه تعالى أكثر من إقبال العبد عليه وفي النهاية المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان لأن ذلك من صفات الأجسام والله تعالى عن ذلك متقدس والمراد بقرب الله تعالى من العبد قرب نعمه وألطافه منه وبره وإحسانه إليه وترادف مننه وفيض مواهبه عليه (بقراب) بكسر القاف في النهاية أي بما يقارب ملأها وهو مصدر قارب يقارب.



الفهرس

تم الصف والتحقيق بمكتب الهدى
ت/ ٠٢٤٧٢٩٢٩٠ ت م/ ٠١٢٧٩١٢٠٠٩